



مَجَلَّةُ مَجَعَ الْعَرَبِ الْعَرَبَيِّنَ الْأَرْبَعِينَ

ISSN 0258 - 1094



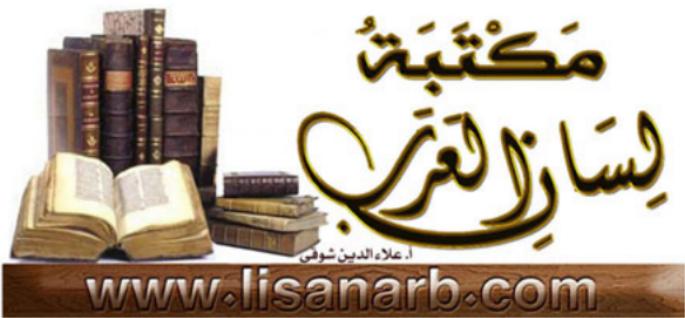
مَجْلِسُ مَجَمِعِ الْغُرَبَةِ لِلْعَرَبِيَّةِ الْأَرْدُنِيَّةِ

السنة العشرون

تموز - كانون الأول ١٩٩٦

العدد ٥١

ذو القعدة ١٤١٦ هـ - ربيع الآخر ١٤١٧ هـ



أ.علاه الدين شوقي

www.lisanarab.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com رابط بديل

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الاستاذ عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء:

الأستاذ محمود السرعة نائب رئيس المجمع
الأستاذ سعيد التل
الأستاذ محمود ابراهيم
الأستاذ عبدالرحمن بشناق
الأستاذ قنديل شاكر
الأستاذ عبد المجيد نصيف
الأستاذ احسان عباس
الأستاذ عبد اللطيف عربات
الأستاذ عبد الغنيز الدوري
الأستاذ ابراهيم زيد الكيلاني
الأستاذ همام غصيّب

الفهرس

رقم الصفحة

أولاً : البحوث ٩	١ - كتاب العين و موقف علماء اللغة منه ١
حتى نهاية القرن الرابع الهجري ١١	الدكتور محمد جبار المعيد
٢ - الصفة المشبهة ٢	قراءة جديدة في البنية الشكلية والدلالية
بعض الأوصاف المشتقة ٦١	الدكتور فيصل إبراهيم صفا
٣ - مرئيات التخطيط اللغوي ٣	عرض ونقد ٥
الدكتور فواز محمد الرشيد العبد الحق	٤ - الفلاسفة المسلمين وفن الشعر الأرسطي ٤
١٤٣	في دراسات المستشرقين الألمان ١٤٣
١٦٥	ثانياً : مع الكتب ١٦٥
١٦٧	تأليف : عبدالله بن المعتز ١٦٧
٢١١	الأستاذ عبد الكريم الحبيب ٢١١
٢١٣	ثالثاً : تعليقات ومناقشات ٢١٣
٢٣٧	ـ نقد مشروع «معجم المصطلحات
	الكيميائية الموحدة» ٢٣٧
	رابعاً : أخبار مجتمعية ٢٣٧

أولاً : البحوث

كتاب العين و موقف علماء اللغة منه حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الدكتور محمد جبار المعيبد
(جامعة البصرة)

تقديم ...

هذا البحث جزء من بحث أوسع يتناول (الخليل وكتاب العين) ، إذ طالما تساءل الأقدمون والحدثون : ما مدى العلاقة بين (الخليل) و (كتاب العين) ؟ .. الأقدمون يكادون يجمعون على الشك في نسبة هذا الكتاب ، كله أو بعضه ، إلى الخليل . لكنهم يختلفون درجات في هذا الشك :

فمنهم ، أولاً ، من يرد الكتاب كله عن الخليل إجلالاً له .

ومنهم ، ثانياً ، من ينسب فكرة الكتاب وخطته إليه ، ولكنه ينفي نسبة المادة اللغوية إليه لاضطرابها وما فيها من أوهام أو أخطاء .

أما القسم الثالث من هؤلاء الأقدمين فتعلموا برواية تقول : إن الخليل كتب باب العين فقط ، وإن باقي الكتاب أكمله الليث أو غيره .

وهناك قسم رابع ، وهو قلة قليلة ، تنسب الكتاب تأسيساً وحسناً إلى الخليل . الذين يرفضون نسبة المادة اللغوية في الكتاب إلى الخليل من الأقدمين - وأبرزهم أبو منصور الأزهري وأبو بكر الزبيدي - بنوا رفضهم على أساس وحجج أطالوا في شرحها وعرضها ، وهي مقتنة في الغالب ، واستندوا إلى الكتاب يستخرجون منه النصوص ويردون عليها .

أما الحدثون ، فالغالبية منهم مالت في دراساتها إلى نسبة الكتاب إلى الخليل ، لكنَّ معظم هذه الدراسات ، على كثرتها ، لم تعتمد العين - مخطوطاً أو مطبوعاً - مصدرأً من مصادرها ، وإنما تعتمد الأقدمين وأقوالهم أو المعجمات وما نقلت عن العين .

لذا فإن آية دراسة تتناول (الخليل وكتاب العين) لا بد من أن يكون لكتاب العين
- وقد طبع - النصيب الأوفر فيها .

وسيكون هذا المبحث مدخلاً إلى هذه الدراسة ، وسيتناول موقف الأقدمين من
هذا الكتاب ، بدءاً بالنصر بن شمبل من أصحاب الخليل وانتهاءً بالجوهري آخر علماء
القرن الرابع الهجري . يتلوه ، إن شاء الله ، بحث آخر يتناول دراسة مادة الكتاب
اللغوية .

على الرغم من الشهرة الواسعة التي حظي بها كتاب (العين) ، وتردد اسم الليث معه ونسبته إليه ، فإن الدارس لا يكاد يعثر على ما يروي ظماء عن هذا العلم الذي ارتبط اسمه برجل كالخليل وكتاب كالعين .

تذكر المصادر أنه : الليث بن المظفر بن نصر بن سيّار^(١) . ونصر بن سيّار قائدٌ ووالٍ عربيٍّ على خراسان للأمويين من عام ١٢٠ - ١٣١ هـ .

ويبدو أنَّ أسرته وعشائرته لم يارحوا خراسانَ بعد مجيء العباسيين إلى الحكم ، إذ ظلت لهم مكانة وحظوظ في هذا الإقليم الذي سكتته قبائل عربية شتى .

لا نعرف للبيث سنة ولادة ، كما لم تؤرخ المصادر لوفاته . ويذهب الدكتور حسين نصار^(٢) مذهب من يجعلُ وفاته ، ترجيحاً ، في سنة ١٨٠ هـ ، وهو تاريخ لا نطمئن إليه ، لأنَّ هناك رواية تشير إلى معاصرته المأمون . يقول ابن النديم^(٣) « جهد به المأمون أن يوليه القضاء فلم يقبل ». ويبدو أنَّ اتصاله بالmAمون كان في أثناء وجود الأخير في خراسان وحربه مع الأمين .

الذي نعرفه عنه اهتمام أبيه ، المظفر بن نصر ، به . فقد لاحظ تأثير اللغة الفارسية على لغة ابنه العربية « فسّيره إلى الباذية فمكث فيها قريباً من عشر سنين أو أكثر ، ففيها تأدب ثم رجع »^(٤) .

(١) معجم الأدباء ١٧ / ٥٠ ، وقد يرد في بعض المصادر اختصاراً باسم : الليث بن نصر بن سيّار .

(٢) المعجم العربي ١ / ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) الفهرست ٤٩ ، وفيه (فلم يفعل) ، وهو تحريف .

(٤) معجم الأدباء ١٧ / ٥٠ - ٥١ .

وصفه أحد معاصريه ، وهو عالم خراسان إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه المروزي ، بأنه « رجل صالح »^(١). كما وصفه ابن النديم بأنه « من الفقهاء والزهاد »^(٢) . أما ابن المعتز^(٣) فقال عنه : « من أكتب الناس في زمانه ، وكان بارع الأدب بصيراً بالتحو والشعر والغريب ، وكان يكتب لليرامكة ، ويظير معهم في دولتهم بجناحين ، وكانوا به معجبين » .

وكان إلى جانب علمه وأدبه ذا معرفة بالنجوم وتعبير الرؤيا . ومن خلال هذه المعرفة اتصل بعليّ بن عيسى بن ماهان والي خراسان للرشيد^(٤) .

مات الليث وترك ولداً يقال له رافع . يبدو فضله من خلال اتصال إسحاق بن راهويه المروزي به وروايته عنه^(٥) ، كما ذكر الطبرى^(٦) أنه كان أحد التأثيرين على العباسين في سمرقند .

الخليل والليث

من خلال ما تقدم ، يتضح لنا أنَّ الليث كان خراسانياً ولادةً وسكنىً ، ويتخذ من مرو - قاعدة خراسان - مدينة لسكناه . وعلى الرغم من عدم وجود إشارة إلى رحلته إلى العراق في المصادر التي ترجمت له ، فإن الليث ، في كلام له في العين^(٧) ، أشار إلى وجوده في البصرة ، فضلاً عن إشارات أخرى إلى ذهابه إلى الحج^(٨) .

(١) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

(٢) الفهرست ٤٩ .

(٣) طبقات الشعراء ٩٧ .

(٤) معجم الأدباء ٤٩/١٧ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) تاريخه ٣١٩/٨ (حوادث سنة ١٩٠ وما بعدها) .

(٧) ٤٢٢/٤ ، وعنـه في تهذيب اللغة ٤/٤ .

(٨) العين ١٨٣/٣ ومعجم الأدباء ١٧/٥٢ .

و قبل أن تتوجّل في الحديث عن علاقـة الرجلـين ، لا بد لنا أن نـسأـل : لماذا ؟ لماـذا
نشـأت هذه العلاقة بين رـجـل عـالم عـلـم بين رـجـال عـصـرـه ، له أـصـحـاب و تـلـامـيـذ كـالـخـلـيل ،
و آخر ليسـت له شـهـرة الخـلـيل و لا عـلـمـه كـالـلـيـث ؟ تـفـصـل بـيـنـهـما مـسـافـات شـاسـعـة بـحـسـابـ
تـلـكـ الـأـيـامـ و حـسـابـ أـيـامـاـ هـذـهـ . هـذـهـ الـعـلـاقـةـ تـدـفـعـ بالـخـلـيلـ العـالـمـ إـلـىـ الـأـرـتـحـالـ إـلـىـ خـرـاسـانـ
و الـبـقـاءـ فـيـهـاـ مـدـةـ لـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ طـوـبـيـلـةـ كـيـ يـؤـلـفـ كـاـبـاـ كـالـعـيـنـ وـيـهـدـيـهـ إـلـىـ مـنـ رـحـلـ إـلـيـهـ .

ما أـرجـحـهـ أـنـ اللـقـاءـ تـمـ بـيـنـ الرـجـلـيـنـ فـيـ مـكـةـ فـيـ موـسـمـ الـحـجـ(١) ، حيثـ
وـجـدـ رـجـلـ سـرـيـ ثـرـيـ وـجـيـهـ كـالـلـيـثـ ، رـجـلـاـ كـالـخـلـيلـ فـيـ عـلـمـهـ وـفـضـلـهـ مـاـ جـعـلـهـ يـرـافقـهـ
إـلـىـ بـلـدـهـ ، الـبـصـرـةـ ، لـسـمـاعـ الـزـيـدـ مـنـ عـلـمـهـ وـمـعـرـفـهـ . وـتـكـرـرـ الـلـقـاءـتـ بـيـنـ الرـجـلـيـنـ فـيـ
مـكـةـ وـالـبـصـرـةـ وـتـعـمـقـ ، وـتـكـوـنـ خـاتـمـتـهاـ دـعـوـةـ الـلـيـثـ الـخـلـيلـ إـلـىـ بـلـدـهـ خـرـاسـانـ .

وـقـدـ عـبـرـتـ المـصـادـرـ التـيـ تـرـجـمـتـ لـلـرـجـلـيـنـ عـنـ هـذـاـ اللـقـاءـ بـشـكـلـ لـاـ يـتـفـقـ وـماـ
عـرـفـ عـنـ الـخـلـيلـ مـنـ زـهـدـ وـعـفـةـ نـفـسـ . فـابـنـ الـمـعـتـزـ(٢)ـ يـقـولـ : «ـ كـانـ الـلـيـثـ مـنـ أـكـتـبـ
الـنـاسـ فـيـ زـمـانـهـ وـكـانـ بـارـعـ الـأـدـبـ ، بـصـيرـاـ بـالـنـحـوـ وـالـشـعـرـ وـالـغـرـبــ فـارـتـخـلـ إـلـيـهـ
الـخـلـيلـ بـنـ أـحـمـدـ ، فـلـمـ عـاـشـهـ (ـ الـلـيـثـ)ـ وـجـدـ بـحـراـ فـأـجـزـلـ لـهـ وـأـغـنـاهـ . وـأـحـبـ الـخـلـيلـ
أـنـ يـهـدـيـ إـلـيـهـ هـدـيـةـ تـلـيقـ بـهـ ...ـ فـجـهـدـ نـفـسـهـ فـيـ تـصـنـيفـ كـتـابـ الـعـيـنـ ...ـ فـوـصـلـهـ
(ـ الـلـيـثـ)ـ بـمـائـةـ أـلـفـ دـرـهـمـ ...ـ .

الـرـوـاـيـةـ أـعـلاـهـ تـجـعـلـ سـبـبـ اـرـتـحـالـ الـخـلـيلـ إـلـىـ الـلـيـثـ كـونـ الـأـخـيـرـ «ـ بـصـيرـاـ بـالـنـحـوـ
وـالـشـعـرـ وـالـغـرـبـ »ـ وـأـنـ الـلـيـثـ لـمـاـ وـجـدـ الـخـلـيلـ «ـ بـحـراـ »ـ «ـ أـجـزـلـ لـهـ وـأـغـنـاهـ »ـ . وـنـاـ أـرـادـ
الـخـلـيلـ أـنـ يـقـدـمـ هـدـيـةـ إـلـىـ الـلـيـثـ جـزـاءـ إـكـرـامـهـ صـنـفـ لـهـ كـتـابـ الـعـيـنـ ، وـهـنـاـ عـاـودـ الـلـيـثـ
إـكـرـامـ الـخـلـيلـ «ـ فـوـصـلـهـ بـمـائـةـ أـلـفـ دـرـهـمـ »ـ .

(١) قال المرباني : وكان الخليل يحج سنة ويغزو سنة إلى أن مات (نور القبس ٥٦) .

(٢) طبقات الشعراء ٩٧ .

الذي يتضح لنا من هذه الرواية أن الخليل لم يستفد علمًا من الليث وإنما استفاد مالًا ، وهو خلاف ما عرف عنه من زهد . فقد كتب إليه سليمان بن علي الهاشمي^(١) (والي البصرة) - وهي بلده - يستدعيه إلى صحبته ، وبعث إليه بطرف وكسا ومال وفاكهه ، قبل الفاكهة وصرف ما سوى ذلك وكتب إليه أياتاً ، منها هذا البيت الأول :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة

وفي غنى غير أني لست ذا مال

أيّاً كانت الأسباب التي دعت الخليل إلى مصاحبة الليث إلى خراسان ، أو الارتحال إليه ، فإنها - بلا شك - لم تكن أسباباً مادية ، إذ لم يكن همَّ الخليل الجري وراء المال أو الجاه . وها هو صاحبه وتلميذه النضر بن شمبل يقول^(٢) : « أقام الخليل في خص من أخ hacca الصبرة لا يقدر على فلس ، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال » . ويقول آخر من تلاميذه ، وهو علي بن نصر الجهمي^(٣) ، « كان الخليل بن أحمد من أزهد الناس وأعلاهم نفساً وأشدّهم تعفناً ، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرضون له لبيان منهم ولم يكن يفعل . وكان يعيش من بستان له خلفه عليه أبوه بالخرية » .

وصل الخليل إلى خراسان بصحبة الليث . المصادر كعادتها سكتت عن تسجيل تاريخ وصوله إليها ، فلم تذكر زمن خليفة أو وال من ولاة خراسان . ما أرجحه ، أيضاً ، أن هذا حدث في أواخر أيام حياة الخليل ، إذ بعد رجوعه إلى البصرة لم تمثله المنية وقتاً كي يتحدث إلى أصحابه عن فكرة بناء كتاب العين . وهذا يفسر جهل أصحابه وتلاميذه بهذا الكتاب . وإنما الذي يدعو الخليل إلى عدم إطلاع أصحابه

(١) طبقات النحوين للزبيدي ٤٧ .

(٢) أنباء الرواة ٣٤٥/١ .

(٣) مراتب النحوين ٢٩ .

على كتاب له خطورته ككتاب العين؟ وما الذي يدعو - أيضاً - أصحاب الخليل إلى إنكار الكتاب وهم عارفون به ومطلعون عليه؟

ويبدو أن الخليل بقى في خراسان أكثر من عام ، كما نستنتج من الرواية التالية التي يرويها عن الليث تلميذه وراوي كتاب العين أحمد^(١) بن منصور الزاج ، وهو مروزى من خراسان ، وعن الزاج يرويه على بن مهدي الكسروي الأصبهانى ، وعنه ابن درستويه . يقول الليث^(٢) :

كنت أصير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألف حروف : أب ت ث على ما أمثاله لاستوعب في ذلك جميعَ كلام العرب ، وتهيا له أصل لا يخرج عنه شيءٌ بالباء . قال (الليث) : فقلت له : وكيف يكون ذلك؟ قال : يؤلّفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخمساني ، فإنه ليس يُعرف للعرب كلاماً أكثر منه .

قال الليث : فجعلت أستفهمه ويصف لي ولا أقف على ما يصف ، فاختلت إليه في هذا المعنى أيامًا . ثم اعتقل ، وحججت ، فما زلت مشفقاً عليه وخشيته أن يموت في علته فيُبْطَل ما كان يشرحه لي . فرجعت من الحج وصرت إليه ، فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب . فكان ي ملي على ما يحفظ ، وما شئَ فيه يقول لي : سُلْ عنه فإذا صبح فائتبه ، إلى أن عملت الكتاب .

إن صبح هذا الخبر عن الليث ، فهو صورة صادقة للواقع الذي قام عليه تأليف (العين) ، والواقع الذي يعكسه الكتاب في صورته التي وصلت إلينا . فكتاب العين ، من خلال الخبر ، كان فكرة طرأت على بال الخليل (...) فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألف حروف ...) ، وحينما استفهم منه الليث عن الأمر وصف له الخليل فكرة

(١) في المصادرتين التاليتين : محمد بن منصور ، وهو تحرير .

(٢) الفهرست ٤٨ ، وعنه في معجم الأدباء ٥١/١٧ .

الكتاب وطريقة ترتيب المعجم ، ولكن الليث كان لا يفهم ما يصف له الخليل . ويمرض الخليل ، ويحجّ الليث تاركاً الخليل في خراسان . وحينما يعود من الحجّ يجد الخليل قد ألف الحروف كلها على ما هي في مقدمة كتاب العين ، أي أنّ خطة الكتاب ومنهجه وفكرة ترتيبه قد أنجزها الخليل في أثناء تغيب الليث في الحجّ .

بعدها يأتي دور الليث في حشو الكتاب بالمادة اللغوية ، يقول الليث (وكان على) على ما يحفظ وما شئَ فيه يقول لي : سل عنه فإذا صحَّ فثبته ، إلى أن عملت الكتاب) . فالسطور الأخيرة صريحة في إلقاء الخليل تبعة إكمال الكتاب على الليث ، والليث صريح في قوله (إلى أن عملت الكتاب) .

ويعلق الدكتور حسين نصار^(١) على قول الليث : (وما شئَ فيه (الخليل) يقول لي سل عنه فإذا صحَّ فثبته ...) ، يقول : (وكان لهذه النصيحة أثرها الخطير في العين ، إذ يبدو أنَّ الليث أخذ يسأل من قابله من الأعراب والعلماء ، ويبحث عن روايات غير الخليل من الأثبات ويدخلها دون تحرّج) .

ما أراه أن الخليل بدعوته الليث هذه ، أو نصيحته ، كان لا ينوي أن يقوم هو نفسه بتأليف الكتاب ووضع مادته اللغوية وإنما كان يوضح نهجاً أو طریقاً لإتقامه ، وإنما فمن غير المعقول أن يطالبه بسؤال الآخرين عن مادته اللغوية وهو حيّ ، إلا إذا كان الخليل يشعر شعراً صادقاً أن الكتاب ليس من تأليفه .

ويعود الخليل إلى بلده البصرة ، وينتقل بعدها إلى جوار ربه ، وأصحابه وتلاميذه جاهلون أمر الكتاب . ربّما . كما أشرنا سلفاً . لأن الخليل رجع عليهـا فلم تمهد المية وقتاً كي يخبر أصحابه عن فكرة بناء الكتاب ، أو ربما كان شعور الخليل وإحساسه أن الكتاب ليس له وإنما هي فكرة وخطة ألقاها إلى الليث كي يقوم هو بتنفيذها ويحشو الكتاب بالمادة اللغوية .

(١) المعجم العربي ٢٩١/١

أما الليث فيبدأ بتنفيذ نصيحة الخليل بسؤال المترددين على خراسان من العلماء والأعراب الواقعين على باب عبدالله بن طاهر ، فضلاً عن الكتب - والخزانة الطاهرية قريبة منه . . وحينما تهياً نسخة منه ، يبدأ الليث برواية الكتاب ناسباً إياه إلى الخليل ، لا لينفق الكتاب ، كما يرى الأزهري^(١) ، وإنما لشعوره أنَّ أصوله ترجع إلى الخليل . ولعلَّ ورره وزهده منعاه من أن ينكر للخليل فضلاً في تأسيس هذا الكتاب .

رواية الكتاب

بقي (العين) في خراسان في حياة الليث . إذ بعد أن اكتمل الكتاب وأودعت نسخة منه في الخزانة الطاهرية في خراسان ، أراد الليث نشر الكتاب ، بروايته ، فلم يقبل عليه أحد من أعلام اللغة والنحو من مصرى العراق : البصرة والكوفة . فقد أنكرهثنان من أصحاب الخليل المترددين على خراسان ، وهما : النضر بن شمبل وعلى بن نصر الجهمي ، كما لا نجد للكتاب أثراً في مؤلفات أبي عبيد القاسم بن سلام الذي كان يتتردد على عبدالله بن طاهر والي خراسان ، فلم يلتفت إليه أحد ولم ينقل عنه ، مع وجود نسخة منه في الخزانة الطاهرية ، كما أسلفنا .

وهكذا نجد الطبقة الأولى من حملوا الكتاب عن الليث أناساً أغاراماً من أهل مرو الشاهجان وما يجاورها من مدن خراسان وفارس . وهم :

١ - محارب^(٢) .

٢ - أبو عكرمة^(٣) .

(١) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٠/١ .

(٣) مجلل اللغة ٢٥/٢ .

٣ - أبو معاذ عبدالجبار بن يزيد^(١) .

٤ - أبو معاذ النحوي عبدالله بن عائذ^(٢) .

٥ - معروف بن حسان^(٣) .

٦ - أحمد بن منصور الزاج^(٤) .

٧ - بندار بن لرَة الكَرْجِي^(٥) .

الأربعة الأوائل من هؤلاء مجهولون لا نعرف عنهم غير أسمائهم أو كُنَّاهم .
والخامس ذكره الأزهري^(٦) عَرَضاً ، وترجم له القسطنطي^(٧) ترجمة مقتضبة لا تدل على
شهرته ، وتكتفت مقدمة (العين) المطبوعة^(٨) بحفظ اسمه ، ففيها : (قال أبو معاذ
عبدالله بن عائذ حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا
الكتاب) .

(١) فهرسة ابن خير . ٣٥٠ .

(٢) مجلمل اللغة ٤/٥٧٢ و حلية الفقهاء . ٧٢ .

(٣) مجلمل اللغة ٤/٥٧٢ و مقاييس اللغة ١/٤ .

(٤) الفهرست ٤٨ ومعجم الأدباء ٥١/١٧ .

(٥) الصاحبي ٦٢ و مقاييس اللغة ٤/١ و حلية الفقهاء ٢١ و ١٣١ .

(٦) تهذيب اللغة ١/٢٥ .

(٧) أنباء الرواة ٤/١٧٩ .

(٨) ١/٢٨ .

والأخيران من هؤلاء الرواة نالا حظاً وشهرة^(١) بعد رحيلهما إلى العراق^(٢) ، مما جعلهما يصبحان علمين يؤخذ عنهما في مجالس العلم في بغداد .

هذه الطبقة الأولى من الرواة الخراسانيين روت الكتاب ، بعد وفاة الليث ، في موطنها من بلاد فارس . تناولته بعدها طبقة ثانية يبدو أنهم من سكنا بلاد فارس أيضاً ، أي أن الكتاب لم يخرج إلى العراق ، رواية عن هؤلاء ، إلا بعد منتصف القرن الثالث الهجري أو قبله بقليل .

(١) ترجم لأحمد بن منصور الزاج كل من :

- أ - الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٥٠/٥ - ١٥١ .
- ب - القسطي في أنباء الرواة ١٣١/١ .
- ج - التووصي في تهذيب الأسماء واللغات ١١٣/١ .

لقد وقع تحرير في اسم الزاج في الفهرست (ط. فلوكل ص ٤٣) و (ط. مصر ص ٧١) وجاء بالصورة التالية (محمد بن منصور بن الليث بن المظفر) ، وصوابه (أحمد بن منصور عن الليث ...) ، نتيجة هذا التحرير أن عدّ الدكور حسين نصار (المعجم العربي ٢٨٣/١) والدكتور محمد حسين آل ياسين (الدراسات اللغوية .. ص ٢٣٠) الزاج حفيداً للبيت .

وترجم لبندار بن لررة الكرجي كل من :

- أ - ابن النديم في الفهرست ٩١ .
- ب - باقوت في معجم الأدباء ٧/١٢٨ - ١٣٤ .
- ج - القسطي في أنباء الرواة ١/٢٥٦ - ٢٥٧ .
- د - السيوطي في بغية الوعاة ١/٤٧٦ .

(٢) رحل الزاج إلى بغداد سنة ٢٥٤ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ (تاريخ بغداد ١٥١ - ١٥٠/٥) ، أما بندار الكرجي فذكر باقوت أنه (كان من استوطن الكرج ، ثم خرج منها إلى العراق ظهر هناك فضلـه) . ويبدو أن خروجه إلى العراق كان في زمن المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) . انظر : معجم الأدباء ٧/١٢٨ - ١٣٤ .

فابن فارس (ت ٣٩٥هـ) الهمداني الفزويني ليس في سند روایته كتاب العین رواة عراقيون^(١). وروایة ابن درستویه^(٢) (ت ٣٤٧هـ) وابن ولاد النحوی^(٣) (ت ٢٩٨هـ) الكتاب كانت عن علي بن مهدي الكسروي (ت بين ٢٨٣ - ٢٨٩هـ) وهو أصبهانی عن أحمد بن منصور الزاج (ت ٢٥٧هـ)، وهو مروزی . وشمر بن حمدویه^(٤) (ت ٢٥٥هـ) وهو هروی ، روى الكتاب عن مجھول اسمه محارب ، وهو رجل من أهل مرو عن الليث .

وهكذا يمكن القول إن ولادة كتاب العین وروایته كانتا في مكان بعيد عن بلد الخلیل البصرة . وحينما وصل الكتاب - أو أخباره - إليها انكره أصحاب الخلیل وتلاميذه ومن في طبقتهم لسبعين متلازمن :

- ١ - عدم معرفتهم بالكتاب ، وهو أمر لم يتعدوه من الخلیل .
- ٢ - الاضطراب الذي يكتنف الكتاب ، مما لم يتعدوه أيضاً في علم الخلیل .

وهكذا ، مرة أخرى ، لا نجد أحداً من علماء اللغة في العراق أو من تردد على العراق من علماء المشرق يروي الكتاب بسند عن الليث سوى ابن درستویه وأحمد بن فارس ، وذلك لكونهما من بلاد فارس ولادة ونشأة ، الأول من مدينة (فسا) ، والثاني من مدينة (همدان) .

ويظل الكتاب في خراسان ، ولكن أخباره كانت ترد العراق ، والبصرة بخاصة ، من غير أن يكلف أحد من علماء اللغة والنحو نفسه الاطلاع عليه أو الحديث عنه . يقول ابن دريد (وكنا نسمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية)^(٥) .

(١) انظر : مبحث (ابن فارس) فيما يأتي من البحث .
 (٢) الفهرست ٤٨ .

(٣) فهرسة ابن خير ٣٥٠ .

(٤) تهذیب اللغة ١ / ٣٠ .

(٥) الفهرست ٤٨ .

وفي منتصف القرن الثالث الهجري ، ويحدد ابن دريد التاريخ بسنة ٢٤٨ هـ ، يقدم البصرة بالكتاب ورافق من خراسان في ثمانية وأربعين جزءاً ، فيبيعه بخمسين ديناراً^(١) . وهنا تحدث المواجهة بين هذا الكتاب الذي يحمل اسم الخليل وبين من يعد نفسه متديناً إلى تلاميذ الخليل وأصحابه علماء ومنهجاً من علماء البصرة .

لم يكن الإنكار ، كما أسلفنا ، قائماً على كون الكتاب غير معروف عند أصحاب الخليل وأنه لم يخصهم برواية الكتاب حسب ، وإنما كان ، فضلاً عن ذلك ، ينصب على الخليل الذي اكتفى مادته اللغوية . وقد عبر أبو علي القالي عن هذا بقوله^(٢) : (وكيف لا يُنكِّرَهُ أبو حاتم على أن يكونَ بريئاً من الخلل سليماً من الزلل) .

وعلى الرغم من هذا الإنكار فإن الأيدي تداول الكتاب ، فيكشف الدارسون فيه منهجاً جديداً لم يعهدوه من قبل . فقد كان الكتاب أول سفر في العربية يجمع بين دفعه محاولة لجمع مفردات اللغة العربية . ومنهجه ، على الرغم من صعوبته وتعقيده ، لم يكن مقبولاً فحسب ، وإنما ترك أثراً عند الجيل التالي لمنكري هذا الكتاب ، وإن ظلت المادة اللغوية وما فيها من اضطراب الدافع للمنكرين على رفض نسبة الكتاب إلى الخليل .

حتى إذا ما انتصف القرن الرابع الهجري وجدنا الكتاب ينتشر انتشاراً سريعاً وواسعاً ، ويدأ النقل عنه ويدأ التأثير . التأثير جاء سريعاً على يد ابن دريد البصري (ت ٣٢١ هـ) الذي عاصر ، وهو شاب في الخامسة والعشرين ، وصول أول نسخة من العين إلى البصرة . إذ بعد خمسين عاماً يملأ ابن دريد كتابه (الجمهرة) الذي لا يخفى على القارئ والدارس إفادته من كتاب العين منهجاً ومادة ، بل كان المحفَّ والدافع إلى تأليفه .

(١) المصدر نفسه .

(٢) المزهر ٨٣/١ .

ويعتد التأثير وينتقل إلى علماء آخرين في هذا القرن والقرون التالية ، لكن الشك في نسبة الكتاب إلى الخليل بن أحمد يبقى يتردد طوال هذه القرون .

الصفحات التالية تدرس مواقف علماء اللغة وأصحاب المعجمات^(١) من هذا الشك حتى نهاية القرن الرابع الهجري . وسنجد بعض هؤلاء يرددون أقوال من سبّهم وكأنهم لم يطلعوا على كتاب العين ، على حين نجد آخرين منهم بنوا إنكارهم أو تأييدهم على دراسة فعليه له واطلاع دقيق على مادته .

(العين) وأصحاب الخليل

عاصر الخليل ، أو تلمذ له ، جمهرة كبيرة من علماء عصره من نالوا نصيباً وأفراً من الشهرة في حياته أو بعد وفاته ، كالأسمعي وأبي محمد البزيدي وسيبوه والأخفش وأبي زيد الأنباري والنضر بن شُمِيل ومؤرج السدوسي وعلى بن نصر الجهمي .

هذه الجمهرة من العلماء لا نكاد نجد صدّى لكتاب العين في ما روی عنهم أو ما وصل إلينا من مؤلفاتهم ، على الرغم من أنهم جميعاً توقفوا بعد الخليل بزمن ليس بقصير ، باستثناء ثلاثة منهم ، هم : علي بن نصر الجهمي ومؤرج السدوسي والنضر بن شمیل . فقد ذكر ابن النديم^(٢) معرفتهم بـ (العين) واستدرأ كلامهم عليه ، ووصل الأمر بعض المصادر^(٣) إلى القول إن النضر بن شمیل تم (العين) بعد الخليل بخراسان .

(١) لقد أبعدت عن هذه الدراسة آراء أصحاب كتب التراجم ، فهم غالباً يعرضون آراء غيرهم ، فضلاً عن نقلهم الآراء المنشقة .

(٢) الفهرست ٤٩ .

(٣) ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١/٧٠ (طبعة دمشق) و٥٧ (طبعة مصر) .

ولا غرابة في اطلاع هؤلاء على (العين) ، فقد غادر النضر بن شمیل البصرة بعد وفاة الخلیل إلى خراسان ، كما سُنَّى بعد ذلك ، واتصل مؤرج السدوسي بالمؤمنين قبل تولیه الخلافة ورحل معه من العراق إلى خراسان^(١) . أما علي بن نصر الجھضمی فعلى الرغم من عدم وجود إشارة إلى رحلته إلى خراسان لكننا نفترض وقوع هذه الرحلة لأنَّه ليس من المعقول أن يكون الكتاب قد وصل إلى البصرة في هذا الوقت المبكر (قبل سنة ١٨٧هـ ، سنة وفاة الجھضمی) ليطلع عليه ويستدرك .

يبدو لي أنَّ الجھضمی والسدوسي حينما اطلعا على الكتاب في خراسان ، سواء في الخزانة الطاهرية أو عن طريق أحد الرواة الذين رووا الكتاب عن الليث ، أنکراه وردأه . ولعل أحد أشكال هذا الإنكار تسجيل ملاحظاتها على هواشم الكتاب مما عده من اطلع عليها استدراكاً على (العين) .

أما موقف النضر بن شمیل (ت ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ) من كتاب العین فتعكسه روايات متناقضة تحکي علاقته بالكتاب . أولى هذه الروايات ياقوت الحموي^(٢) عن كتاب (نيسابور) لأبي عبدالله بن البيع الحاكم رواية عن العباس بن مصعب . يقول العباس : سئل النضر بن شمیل عن الكتاب الذي ينسب إلى الخلیل بن أحمد ، ويقال له كتاب العین فأنکر ، فقيل له : لعله ألفه بعده ؟ فقال : أو خرجت من البصرة حتى دفت الخلیل بن أحمد ! . وهذا يعني أنه سئل هذا السؤال بعد خروجه من البصرة ، أي وهو في خراسان ، البلد الذي يقال إن (العين) موجود في خزانة من خزائنه ، وهي خزانة الطاهريين .

(١) مقدمة المحقق على كتاب (الأمثال) لمؤرج السدوسي ، ص ٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٧/٥١ .

(٣) طبع تلخيص الكتاب ، لأحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري (طهران - بلا تاریخ) ، والنص المذکور أعلاه ليس فيه .

تناقض هذه الرواية رواية أخرى ينقلها أبو أحمد العكسي^(١) عن شيخه أبي عمر الزاهد . قال أبو أحمد : (حكى لي أبو عمر محمد بن عبدالواحد خبراً أنا أو جس منه ، ولو لا أنه ذكر في إسناده إسحاق بن راهويه ، ومحله من الصدق فيما يحكى محل جليل لأمسكت عن ذكره . قال : حدثني أبو الحسين النيسابوري عن أبيه ، قال : قال إسحاق بن راهويه قال : النضر بن شمبل : كان الليث رجلاً صالحًا ، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب (العين) ، قال : فأحبَّ الليث أن ينفق الكتاب كله فسمى لسان نفسه : الخليل ، فإذا رأيت في الكتاب « سألت الخليل » و « أخبرني الخليل » فيعني الخليل نفسه . وإذا قال : « قال الخليل » فانما يعني لسان نفسه . وإنما وقع الاضطراب في الكتاب من قبل خليل الليث لا من خليل بن أحمد) .

وهذه الرواية ، كما ترى ، مناقضة للرواية السابقة . فهي تؤكد معرفته بالكتاب ، وأن الخليل مات ولم يفرغ منه ، وأن الليث تمه ، وما وقع في الكتاب من اضطراب يعود إليه ، أي إلى الليث .

هذه الرواية نفسها يرويها أبو الطيب اللغوي^(٢) عن شيخه أبي عمر الزاهد ، وفيها خلاف سترقه فيما بعد . يقول اللغوي : أخبرنا محمد بن عبدالواحد الزاهد ، قال : حدثني فقي قدم علينا من خراسان وكان يقرأ على كتاب العين ، قال : أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويه قال : كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحًا ، وكان الخليل عمل من كتاب العين بباب العين وحده فأحبَّ الليث أن تتفقَ سوق الخليل فصنف باقي الكتاب ... فكلَّ ما كان في الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل بن أحمد) .

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٧١/٧٢-٧٣ (دمشق) و ٥٩ (مصر) .

(٢) مراتب النحوين ٥٨ .

أصل الخبر في الروايتين واحد ، هو أبو عمر الزاهد . وناقله أو متلقيه اثنان من تلاميذه هما : العسكري واللغوي . والخبر في الروايتين له دلالة واحدة ، ولكنه يختلف في التفاصيل . والأمر الرئيس فيها هو عدم ذكر النضر بن شمبل في الرواية الثانية . يقوّي هذه الرواية ما ذكره الأزهري في مقدمة كتابه (تهذيب اللغة) ^(١) ، قال : (وأثبت لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه) ^(٢) أنه قال : كان الليث رجلاً صالحًا ، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، فأحبب الليث أن ينفق (كذا) الكتاب كله ، فسمى لسانه الخليل ...) قال الأزهري (قلت : وهذا صحيح عن إسحاق ، رواه لسانه الخليل ...) .

من خلال هذه المقارنة بين النصوص ورواتها يمكننا أن نستبعد ما رواه أبو أحمد العسكري وإقحامه اسم النضر .

بقي هناك أمر يتعلق بقول لأبي أحمد العسكري ورأيه في من تم كتاب العين بعد الخليل ، قال ^(٣) : (فإني رأيت مشايخنا كالمجمعين على أن الخليل إنما عمل بعض الكتاب ، وقيل بل عمل حرف العين فقط ، وأن النضر بن شمبل تمهّه بخراسان ، واجتمع معه الليث بن المظفر وعلى بن سasan الواسطي فأضافوا إلى الكتاب ما يجوز وجملًا مما لا يجوز ، رغبة في أن يكون الكتاب كاملاً تماماً) .

هذا النص فريد في بابه ، فالإجماع بين اللغويين الأقدمين على أنَّ الليث - لا النضر بن شمبل - هو الذي تمهّه ، وأنَّ آخرين ساعدوه في مهمته ، فكيف ينسب إلى النضر مثل هذا العمل وينسب إليه كتاب بعنوان (المدخل إلى كتاب العين) ؟ .

(١) ٢٨ - ٢٩ .

(٢) هو : إسحاق بن راهويه ، المار ذكره .

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٧٠ / ١ (دمشق) و٥٧ (مصر) .

مجمل ما تقدم أن النضر بن شمبل كان من أصحاب الخليل بن أحمد المقربين ،
خرج ، بعد وفاة الخليل ، من البصرة إلى خراسان مهاجراً . وهناك سمع بكتاب العين
ونسبته إلى الخليل . فأنكره مؤكداً أنه خرج من البصرة بعد وفاة الخليل ، فإن كان
للخليل كتاب فالأولى أن يكون لأصحابه وتلاميذه معرفة به . ويبدو أنه اطلع على
الكتاب فوجد فيه ما وجده الآخرون من اضطراب ونقص وتناقض مما دعاه إلى وضع
كتابه (المدخل إلى كتاب العين) . ويبدو أيضاً أن هذا الكتاب لم ينلحظاً من
الشهرة والانتشار فبقي موقف النضر محيراً ، مما أوقع الرواة ومؤلفي الكتب في
مواقف متناقضة منه تجاه كتاب العين .

بعد منتصف القرن الثالث الهجري

بعد أن أوصل ورافقَ من خراسان إلى البصرة أولَ نسخة من (العين) ، صار
الكتاب بعدها معروفاً متداولاً في البصرة وبغداد وغيرهما من حواضر العراق . فوقف
بعض اللغويين موقفاً متشددَا من الكتاب فأنکروه وأنکروا نسبته إلى الخليل .

وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) على رأس البصريين المتشددين . يقول أبو
علي القالي^(١) : (أنکره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ودفعه بأبلغ الدفع ، وكيف لا
ينکره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل سليماً من الزلل) .

على أنَّ بصرياً آخر من تلميذ أبي حاتم ، هو أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) له
رأي مخالف لرأي شيخه . فقد أثیر عنه أنه كان « يرفع من قدر كتاب العين »^(٢) ، على
الرغم من عدم وجود أي أثر لهذا التقدير في كتب المبرد التي وصلت إلينا ، ولا في ما
نقل عنه في كتب الآخرين .

(١) المزهر ٨٤/١ .

(٢) المصدر نفسه ٨٩/١ .

ما أراه أنَّ المبرد اطلَعَ على كتاب العين قبل أن يصل هذا الكتاب إلى البصرة ، وذلك عن طريق بُندار بن لَرَّةِ الْكَرْجَيِّ ، أحد رواة العين عن الليث بن المظفر . فقد استقدم الخليفة المُوَكَّل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) المبرد إلى سرَّ من رأى سنة ٢٤٦ هـ^(١) ، يقول المبرد^(٢) : (كان سبب غنائي بندار بن لَرَّةِ الأَصْبَهَانِيِّ ، وذلك أني حين فارقت البصرة وأصعدت إلى سامرا ، وردتها في أيام المُوَكَّل ، فأخيَّتُ بها بندار بن لَرَّةِ وَكَانَ واحد زمانه في رواية دواوين شعر العرب ... وأصحَّ النَّاسَ مَعْرِفَةً باللغة ...) .

فمن خلال هذه الرابطة العلمية تآخى المبرد وبندار ، فضلاً عن كون الأخير سبباً في غنى المبرد وشهرته في مجلس الخليفة . هذه الأخيرة قادت بنداراً إلى أن يعرض ما عنده من علم ، فكان كتاب العين في مقدمة ما أخذنه المبرد عنه ، لا سيما أن المبرد في أول سَمَّ الشَّهْرَةِ ورأيه في بندار أنه « أصحَّ النَّاسَ مَعْرِفَةً باللغة » .

لذلك كان وصول كتاب العين إلى المبرد عن طريق رجل عرف بفضلِه وعلمه وكان بعثابة شيخ للمبرد . كان هذا الوصول سبباً في أن يرفع المبرد من قدر هذا الكتاب . لكنه حين اشتدَّ الخلاف بين الدارسين في عصره حول العين اكتفى بالتقدير من غير أن ينقل عنه في كتبه .

على أنَّ لَأْبِي العَبَّاسِ ثَلْبَ (ت ٢٩١ هـ) ، معاصر المبرد ورئيس المدرسة الكوفية في عصره ، رأياً واضحاً في تقويمه (العين) . كان هذا الرأي نتيجة قراءة متأنية للكتاب . فقد رفض (العين) وأنكره لما يأتي :

(١) مقدمة المحقق لكتاب (المقتضب) للمبرد ١٣/١ .

(٢) معجم الأدباء ٧/١٣٠ .

- ١ - كثرة الأغلاط فيه ، يقول (وإنما وقع الغلط في كتاب العين لأنَّ الخليل رسمه ولم يَحْسُه ، ولو كان حشاه ما بَقَى فيه شيئاً ، لأنَّ الخليل رجل لم يُرَ مثُلَه)^(١) .
- ٢ - وعليه فإنَّ الذي حشاء (قوم علماء ، إلَّا أنَّهم لم يؤخذُ عنهم روایة ، وإنما وجد بنقل الوراقين ، فاختلَّ الكتاب لهذه الجهة)^(٢) .
- ٣ - عدم روایته وزيادات الوراقين جعله يرى (في العين حروفاً كثيرة قد أزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغيير)^(٣) .

رأي ثعلب هذا يمكن أن يُعدَّ الأساس الذي قام عليه إنكار أشدَّ العلماء إنكاراً للكتاب ، وهما : الأَزْهَري صاحب تهذيب اللغة وأبو بكر الزبيدي .

وقد كان لرأي ثعلب هذا ، فيما يبدو ، تأثير في تلميذه المفضل بن سلمة الكوفي (ت بعد ٣٩٠ هـ) ، الذي أَلَفَ أول كتاب في نقد (العين) والاستدراك عليه وإخراج ما فيه من الغلط ، ذلك هو كتابه المعروف بـ (البارع) . وقد اطَّلع أبو محمد بن الحشاب (ت ٥٦٧ هـ) على نسخة من الكتاب ، قال (... قرأت أنا بخط المفضل في كتابه الذي سمَّاه « البارع في الرد على كتاب العين ... »)^(٤) . العنوان المذكور ، وكونه بخط المفضل ، يجعلنا لا نذهب مذهب بعض المترجمين للمفضل إلى أن له كتابين

(١) مراتب التحويين ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ٣٠ - ٣١ .

(٣) معجم الأدباء ٤٤/١٧ .

(٤) معجم الأدباء ٧٠/١٥ .

على العين^(١) . وقد أكَّد القفطاني (ت ٦٤٦هـ) ما ذكره ابن الحشَّاب ، فقال : .. كتاب البارع للمفضل بن سلمة ، وهو كتاب كبير في عدة مجلدات ، هذب به كتاب العين للخليل بن أحمد وأضاف إليه من اللغة ما أمكنه . وحصلت لي منه عدة مجلدات عليها خط يوسف بن أبي سعيد السيرافي رحمة الله^(٢) . ويقى من الصعب أن نوفق بين وصف القفطاني الكتاب بأنه (كتاب كبير في عدة مجلدات) وبين قول المترجمين أنه (مات قبل إتمامه فلم يخرج منه غير الهمزة والهاء والعين والخاء والغين) .

وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة ، كما يقول الدكتور حسين نصار^(٣) ، في أوساط البصريين والковين . فقد كذبه ابن دريد في شيء من مادته^(٤) ، كما أشار إليه أبو الطيب اللغوي بقوله : (رد شيئاً كثيراً من كتاب العين أكثره غير مردود)^(٥) . وقرأ ابن الحشَّاب فيه (أشياء تدل على قصوره في الصناعة وضعفه في قياسها)^(٦) .

ويبدو لي أن المفضل بنى ردَّه على كتاب العين على افتراض أنَّ الكتاب بمجمله ، خطته ومادته ، للخليل . لذلك فهو حينما يرد على أغلاط الكتاب فإنما ينسبها إلى

(١) فقد ذهب ابن النديم (القهرست ٨٠) والأبزاري (نزهة الألباء ٢٠٢) وياقوت (معجم الأدباء ١٩٦٣/١٩) والصفاني (مقدمة العباب) والسيوطى (بنية الوعاء ٢٩٧/٢) إلى أن للمفضل كتابين هما :

أ - البارع في اللغة .

ب - الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمخال والتصحيف .

(٢) أنبأ الرواة ٦٢/٤ . وقد نقل قوله من غير إشارة : ابن خلkan في الوفيات ٧٣/٧ .

(٣) المعجم العربي ١/٣٠٣ .

(٤) معجم الأدباء ١٨/١٣٧ وأنبأ الرواة ٣٠٦/٣ .

(٥) مراتب التحريرين ١٥٤ .

(٦) معجم الأدباء ٥/٧٠ .

الخليل لا إلى من أتمَ الكتاب بعده . وهذا ما أثار العلماء عليه . فقد حفظ لنا كتاب المفضل (الفاخر)^(١) نصوصاً من العين ينقلها منسوبة إلى الخليل . يقول في أحدها^(٢) : (وقال الخليل بن أحمد [العين ١٥٠ / ١] : إنما سميت بيضة الديك بيضة العقر لأنَّه تتحن بها الجارية فيعلم حالها في العقر . وهذا قول لا يعقل ولا أعلم أحداً قاله غيره) .

القرن الرابع الهجري

يتميز القرن الرابع الهجري بكثرة اللغويين الذين أدلوا بدلواهم في قضية كتاب العين ونسبته إلى الخليل بن أحمد ، كما يتميّز بعمق الدراسات التي تناولت مادته اللغوية وما قام حولها من خلاف .

لقد اخترنا عشرة من لغوبي هذا القرن ودرسنا مواقفهم المتباينة من هذا الكتاب ، تاركين ذكر الآخرين منهم لأسباب ، منها : عدم وصول نقول عن هذه الموقف من خلال كتب الترجمٰم أو كتبهم اللغوية ، ومنها : أنهم متابعون في آرائهم غيرهم مما لا يضيف جديداً إلى هذا الموضوع .

واللغويون العشرة هم ، حسب تسلسل وفياتهم : ابن دريد وابن درستويه وأبو علي القالي وأبو منصور الأزهري وأبو بكر الزبيدي وأبو أحمد العسكري والصاحب بن عباد وابن جني وأحمد بن فارس والجوهري .

على أننا ، عند دراستنا مواقفهم من (العين) ، ستتناولهم من خلال هذه الموقف وكونها تتصرّ لنسبة الكتاب إلى الخليل أو تنكر هذه النسبة ، فضلاً عن الموقف الأخرى التي بينهما .

(١) الصفحات : ١٨٨ و ٢٧٨ و ٢٩٥ .

(٢) ص ١٨٨ .

وابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) كان ثانى اثنين^(١) من أشد المدافعين عن كتاب العين ونسبته إلى الخليل . فقد أخذ العين رواية ، كما مرّ بنا ، عن علي بن مهدي الكسروي . وهذه الرواية ، فيما أرجح ، كانت في فارس وفي أصحابها بالذات ، بلد الكسروي . إذ إن ابن درستويه رحل عن فارس إلى بغداد ، كما يرجح الدكتور عبدالله الجبورى^(٢) ، بعد سنة ٢٨٣ هـ .

وحيثما وصل إلى بغداد واتخذها داراً له ، كان (المبرد من أقوى الشخصيات التي أثرت في نشأته اللغوية ، ودرسه عليه كان من أهم مصادر ثقافته في العربية)^(٣) ، على الرغم من قصر المدة التي درس فيها عليه^(٤) .

ولا شك في أنَّ كتاب المفضل بن سلمة الكوفي (الباجع في الرد على كتاب العين) وما فيه من قصور في الصناعة وضعف في القياس^(٥) هو الذي دفع ابن درستويه إلى هذا الموقف ، فألف كتابين هما :

- ١ - رد على المفضل في الرد على الخليل^(٦) .
- ٢ - الانتصار لكتاب العين وأنه للخليل^(٧) .

(١) الآخر هو نقوطيه (ت ٣٢٢ هـ) الذي له كتاب بعنوان (الرد على المفضل في نقضه على الخليل) ، انظر : الفهرست ٩٠ ومعجم الأدباء ٢٧٢/١ وأنباء الرواة ١٨٠/١ .

(٢) ابن درستويه ، لعبدالله الجبورى ص ١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٤) وهي ستان ، إذ توفي المبرد سنة ٢٨٥ هـ .

(٥) معجم الأدباء ١٥/٧٠ .

(٦) أنباء الرواة ١١٣/٢ .

(٧) المصدر نفسه ١١٤/٢ .

وعنوان الكتاب الثاني يدل دلالة واضحة على موقف ابن درستويه الداعي إلى نسبة (العين) إلى الخليل متصرّلاً له في مادته . وقد وصفه القفطي^(١) بقوله : (وأما كتاب العين فقد اختلف الأئمة فيه ، فمنهم من ينسبه إليه ومنهم من يحيل نسبته إلى الخليل . وقد استوفى ابن درستويه الكلام في ذلك في كتاب له مفرد لهذا النوع ، ملكته بخط تيزون الطبرى ، وهو تصنيف مفيد) .

على أنَّ هناك نصاً ، سبق أنْ ذكرناه ، ينقله ابن النديم^(٢) عن ابن درستويه عن علي بن مهدي الكسروي عن أحمد بن منصور الراجز عن الليث يقول فيه (كنت أصير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً : لو أنَّ إنساناً قصد وألف حروف أب ت ث على ما أمثاله ... إلخ) ، قلتني في ما تقدم من الصفحات : إنَّ هذا الخبر صورة صادقة للواقع الذي قام عليه تأليف (العين) . فالكتاب من خلال الخبر كان فكرة طرأت على بال الخليل .. أي أنَّ خطة الكتاب ومنهجه وفكرة ترتيبه قد أنبذها الخليل ... أعقبه الليث بحسو الكتاب بالمادة اللغوية . فالخبر صريح في إلقاء الخليل تبعة إكمال الكتاب على الليث ، والليث صريح في قوله : إلى أن عملت الكتاب .

هذا الخبر الذي رواه ابن درستويه يتناقض مع موقفه وعنوان كتابه الذي يشير إلى نسبة العين إلى الخليل . وليس لدينا من نصوص كتابه (الانتصار ...) ما يساعد على حلَّ هذا التناقض .

على أننا من جهة أخرى نجد علماء آخرين وقفوا موقفاً شديدة من هذا الكتاب ونسبته إلى الخليل ، تمثل في أبي منصور الأزهري وأبي بكر الزبيدي وابن جنى وأستاذه أبي علي الفارسي . فهم جميعاً ، باستثناء الفارسي ، أنكروا نسبة مادة الكتاب اللغوية إلى الخليل .

(١) المصدر نفسه ٣٤٣/١ .

(٢) الفهرست ٤٨ ، وعنه في معجم الأدباء ٥١/١٧ .

والإِزْهَرِيُّ (ت ٣٧٠ هـ) من العلماء الذين وصلت إلينا كتاباتهم عن (العين) عبر كتابه (تهذيب اللغة)، الذي بناء على منهج الخليل ورسمه . لقد تبع الأزهرى كتاب العين فاقتني أكثر من نسخة^(١) وقابل بينها وبين كتب اللغويين الثقات ، فوصل إلى استنتاج هو : أنَّ حشو الكتاب ليس للخليل ، بل له الرسم والفكرة والتخطيط والتأسیس . أما المادَة اللغوية ففيها الفث والسمين ، والصحيح والسقیم ، والتناقض والاضطراب ، والخلط والتصحیف والتحریف . وهذا - في رأيه - مما لا يمكن أن ينسب إلى الخليل .

ذكر الأزهرى (العين) في مقدمة التهذيب مرتين ، الأولى^(٢) حين ذكر الليث بن المظفر في طبقة الذين « اتسموا بسمة المعرفة وعلم اللغة وألغوا كتاباً أو دعواها الصحيح والسقیم وحشوها بالمزال والمفسد والمصحف المغير الذي لا يتميَّز ما يصحَّ منه إلا عند النقاب المبرَّز والعالم القطن ، لنجدر الأغمار اعتماد ما دونوا والاستنامَة إلى ما ألغوا » . ثم قال : « فمن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحلَّ الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفعه باسمه ، ويرغب فيه من حوله » . ثم ينقل روایات يؤيد بها قوله ، يقول بعدها : « قلت : وقد قرأت كتاب العين غير مرَّة ، وتصفحته تارة بعد تارة ، وعنيت بتبيَّن ما صحفَ وغيرَ منه ، فأخرجته في مواقعه من الكتاب وأخبرت بوجه الصحة فيه ، وبيَّنت وجه الخطأ ، ودللت على موضع الصواب منه . وستقف على هذه الحروف إذا تأملتها في تصاعيف أبواب الكتاب وتحمد الله إذا أنصفت على ما أفيدك فيها ، والله الموفق للصواب ولا قوة إلا به .

(١) تهذيب اللغة ٣/٢٦٤ و ٤/٤١٤ و ٦/٢٧١ و ١١/٢٧٦ .
(٢) ٢٨/١ . ٢٩ -

وأما ما وجدته فيه صحيحاً ، ولغير الليث من الثقات محفوظاً أو من فصحاء العرب مسماوعاً ، ومن الريمة والشك لشهرته وقلة إشكاله بعيداً ، فإنني أعز zie إلى الليث بن المظفر وأؤديه بلفظه ، ولعلي قد حفظته لغيره في عدة كتب فلم أشتغل بالفحص عنه لمعرفتي بصحته ، فلا تشken فيه من أجل أنه زل في حروف معدودة هي قليلة في جنب الكثير الذي جاء به صحيحاً . واحمدني على نفي الشبه عنك فيما صحته له ، كما تحدمني على التنبية فيما وقع في كتابه من جهة غيره من زاد ما ليس منه . ومتى ما رأيتني ذكرت من كتابه حرفاً وقلت : إنني لم أجده لغيره فاعلم أنه مرrip ، وكأن منه على حذر وافحص عنه ، فإن وجدته لامام من الثقات الذين ذكرتهم في الطبقات فقد زالت الشبه ، وإن وقفت فيه إلى أن يصح أمره .

والمرة الثانية التي ذكر الأزهري فيها كتاب العين ، هي حين أراد الابتداء بذكر الحروف وإيضاح منهجه الذي سار عليه في كتابه . قال^(١) : « ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس الجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه من فيه ... » ، وهنا ينسى الأزهري ما قاله من قبل ويرى (أن ابن المظفر أكمل الكتاب على الخليل بعد تلقفه إياه من فيه ...) ، لكن الأزهري في ثانياً كتابه لا يذهب إلا إلى ما قاله في المرة الأولى ، فيسمى مؤلف العين الليث ، ولا يذكر الخليل إلا فيما يتعلق بالأصوات ومخارجها ، إذ يرى أن مقدمة العين وما فيها من مادة صوتية هي للخليل بن أحمد .

(١) ٤١/١ .

ومنهجه في ما ينقل عن العين يتلخص بما يلي :

- ١ - أن يشير إلى المادة التي ينقلها ، إن لم يجدها في كتب اللغويين الثقات ، بقول متعدد لا يقطع برأي فيه ، ك قوله (ولم أسمعه لغيره)^(١) ، أو (لم أسمع لغير الليث وأرجو أن يكون أخنه من الثقات)^(٢) ، أو (لا أحفظه لغيره وأرجو أن يكون صحيحاً)^(٣) ، أو (فاني لا أحفظها لغير الليث ، ولا أدرى أهي لغة حفظت عن العرب أم العين تصحيف والله أعلم)^(٤) ، أو (هذا حرف مرتب ولا أحقه)^(٥) .
- ٢ - أن يقطع برأي في المادة التي ينقلها ولا يتردد بأن يصفها بالخطأ . وعباراته في هذا الأمر تزداد حدة كلما كان الخطأ فاحشاً ، ك قوله (قلت أنا : جميع ما قاله الليث في الواقع والحقيقة خطأ ، لأن الواقع ..)^(٦) ، أو (قلت : وهذا غلط بل تصحيف منكر)^(٧) ، أو (وقال الليث : الحنة خرقة تلبسها المرأة فتنعطي رأسها ، قلت : هذا حاق التصحيح الوحش)^(٨) ، أو (قلت هذا التفسير من أباطيل الليث)^(٩) ، أو (قلت : وهذا حاق التصحيح الذي يستحي من مثله من ضعفت معرفته فكيف الذي يدعي المعرفة الثاقبة)^(١٠) .

(١) ١٢٢/١ .

(٢) ٣٣٩/١٠ .

(٣) ٦٢٩ و ٢٠٧ .

(٤) ١٢٤/١ .

(٥) ١٤٧/١ .

(٦) ٣١/٣ .

(٧) ١١٥/٣ .

(٨) ٤٤٨/٣ .

(٩) ٥٠/٩ .

(١٠) ٤٦٤/١٠ .

٣ - وأحياناً نراه يذهب إلى أن مثل هذه الأخطاء ليست من الكتاب وإنما زيدت عليه ونقلت من صحف سقيمة ، كقوله (قلت : وهذه الحروف وما شاكلها أراها منقوله من صحف سقيمة إلى كتاب الليث وزيدت فيه . ومن نقلها لم يعرف العربية فصحّف وغير فأكثر ، والله المستعان وهو حسناً ونعم الوكيل)^(١) ، أو (وهذا تصحيف قبيح من الليث أو من زاده في كتابه)^(٢) .

٤ - وكثيراً ما نراه يستحسن ما ينقله عن الليث ويظهر إعجابه ويقدمه على غيره من اللغرين الثقات ، كقوله (قلت : وقول الليث في المعرض أعجب إلى من قول الفراء)^(٣) ، أو (قلت : فرق الليث بين الحزيم والخيزوم ، ولم أر لغيره هذا الفرق ، وقد استحسنته له)^(٤) ، أو (قلت : جود ابن المظفر في تفسير الوحشي والإنسني ، ووافق قوله قول أئمتنا المتقدنين)^(٥) ، أو (قلت : وهذا صحيح من قول الخليل ، وهو كما حكاه عنه الليث)^(٦) ، أو (وهذه الحروف ذكرها الليث في كتابه وكلها صحيحة)^(٧) .

(١) ١٥١/٧ .

(٢) ١٨٥/١٤ .

(٣) ٢١/٢ .

(٤) ٣٧٦/٤ .

(٥) ١٤٤/٥ .

(٦) ٤٣٦/٣ .

(٧) ١٩٠/١٣ .

العالم الآخر الذي وقف موقفاً متشددأً من العين هو أبو بكر الزبيدي الأندلسي
(ت ٣٧٩هـ) ، الذي تمثلت عنایته بالكتاب في تبع نسخه والتصری لدرسه ونقده .
وقد أثرت هذه العناية كتابين ، هما :

١ - مختصر العین ، وقد طبع جزء منه^(١) .

٢ - استدراك الغلط الواقع في كتاب العین ، وهو مفقود^(٢) .

ذهب الزبيدي في كتابه الأول إلى اختصار العين (بأن تؤخذ عيونه ويلخص
لفظه ويحذف حشوه وتسقط فضول الكلام المتكررة فيه) ، لتقرب بذلك فائدته
وليسهل حفظه ويخف على الطالب جمعه ... ومذهبنا أن نصلح ما ألفناه مختلاً في
الكتاب وأن نوقع كل شيء منه مواقمه ونضعه في بابه إن شاء الله . ونحن نربأ بالخليل
عن نسبة هذا الخلل إليه ... بل نقول : إن الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه ... وأكبر
الظن أن الخليل سبب أصله ورآم تنقيف كلام العرب فيه ثم هلك عنه قبل كماله
فتتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه^(٣) .

أما كتابه الثاني المفقود (استدراك الغلط ..) فقد انفرد السيوطي^(٤) بذلك
مقدمته وتلخيص أهم الاعتراضات والاستدراكات التي وجهها الزبيدي إلى العين .

(١) في المغرب سنة ١٩٦٣ ، بتحقيق : علال الفاسي ومحمد بن تاویت الطنجي . وطبع مؤخراً في
بغداد (١٩٩١م) الجزء الأول بتحقيق : د. صلاح مهدي الفراتي .

(٢) عن الأستاذ عبد العلي الودغيري على قطع ثلات من هذا الكتاب ، بضميتها مقدمته . وقد حقق هذه
المقدمة ونشرها في كتابه (المعجم العربي في الأندلس) ، الرباط - مكتبة المعارف - ١٩٨٤ ، ص
١٢٥ - ١٤٦ .

(٣) مختصر العین ، ص ٧ - ٨ .

(٤) المزهر ٧٩ / ١ وما بعدها .

وهو في مقدمته هذه يرد على من ذهب إلى أن نقده كتاب العين إنما هو نقد ورد على الخليل . يقول (أو ليس من العجب والنادر الغريب أن يتوهם علينا من به مسكة من نظر أو رمّ من فهم تخطئة الخليل في شيء من نظره والاعتراض عليه فيما دق أو جل من مذهبـه ، والخليل بن أحمد أوحد العصر وقريع الدهر ... ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا « المختصر من كتاب العين » لعلم أنا نز هنا الخليل عن نسبة الحال إليه ونفيـنا عنه من القول مالا يليق ...)^(١) .

ثم أخذ الزيدي بعد ذلك بين أدلة رفضه نسبة الكتاب إلى الخليل ، وهي :

١ - إنكار أصحاب الخليل الكتاب وعدم روایته . يقول : (إن الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه ، فقد كان جلة البصريين الذين أخذوا عن أصحابه وحملوا علمه عن روائـه ينكرون هذا الكتاب ويدفونـه ، إذ لم يرد إلا عن رجل واحد غير مشهور في أصحابـه) ^(٢) .

٢ - ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرـين ، والاستشهاد بالمرذول من أشعارـ المحدثـين ^(٣) . ويضرب الزيدي مثلاً على ذلك ما في نسختي القاضي منذر بن سعيد البلوطـي وقاسمـ بن ثابتـ من التقلـ عن أبي عبيـ القاسمـ بن سلامـ وابنـ الأعرابـي والأصمعـي وغيرـهم .

٣ - ويدعـ إلى (أنـ جميعـ ما فيه من معانـي النحوـ إنـما هو على مذهبـ الكوفـين) ^(٤) ، وضرـبـ مثلاً على ذلك مخارجـ الحروفـ واحتـلافـها عـما ذـكرـه سـيـويـه عنـ الخلـيلـ فيـ الكتابـ ، وإدخـالـه الـرابـعيـ المضـاعـفـ فيـ بـابـ الـثـالـثـيـ المضـاعـفـ .

(١) المصدر نفسه ٨٠/١ و ٨٣ .

(٢) مختصر العين ٨ .

(٣) المزهر ٨٣/١ .

(٤) المصدر نفسه ٨٥/١ .

٤ - وفضلاً عما تقدم فالزبيدي يرى (لو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمغتال ، والثانوي المضاعف من المغتال ، والثلاثي المغتال بعلتين ، ولما جعل ذلك كله في باب سماه اللفيف فأدخل بعضه في بعض وخلط فيه خلطًا ...)^(١).

من خلال ما تقدم ، نتبين أن أبا بكر الزبيدي يذهب مذهب الأزهرى - وإن كان لا يدرو أنه مطلع على كتابه تهذيب اللغة - ، وهو أن الخليل (سبب أصل كتاب العين ورام تثقيف كلام العرب فيه) ، أي أن خطة الكتاب ومنهجه وترتيبه كانت من وضع الخليل وفكرة ، (ثم هلك عنه قبل كماله فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه ، فكان ذلك سبب الخلل الواقع به والخطأ الموجود فيه) .

أما ابن جنّى (ت ٣٩٢ھ) فله في كتاب العين رأى قاطع تميز به لم يعول فيه على غيره ولم يستعر مفردات العلماء السابقين أو المعاصرین في وصفه ، وإنما جاء هذا الوصف والتقويم عن اطلاع ومتابعة واستقراء لآراء المتقدمين في هذا الكتاب . قال (وأما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل ، فضلًا عن نفسه ، ولا محالة أن هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره رحمة الله . وإن كان للخليل فيه عمل فإنما هو أنه أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ، ولا قرره ، ولا حرره . ويدل على أنه قد نحا نحوه أنني أجد فيه معانٍ غامضة ونزوات للفكر لطيفة ، وصنعة في بعض الأحوال مستحكمة)^(٢) .

(١) المصدر نفسه .

(٢) المخصائق ٢٨٨/٣ .

من الواضح أن ابن جني ينكر في مطلع كلامه عن الكتاب مادته وما فيها من اضطراب وفساد ، لكنه لا يجرد الخليل من فضيلة ما في الكتاب وهو خططه ومنهجه وترتيبه .

وقد أشار في أثناء عرض رأيه إلى رأي شيخه أبي علي الفارسي فكان إنكاره أشدّ ،
إذ يفهم منه رفضه الكتاب عن الخليل مادةً ومنهجاً . وقد رأينا آثار هذا الإنكار في
بعض كتب أبي علي . فقد ذكر في كتابه (المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات)^(١)
قوله (ذكر سيبويه قولهم : مرعzae ، و حكم بزيادة الميم منها ، و ذكر صاحب العين فيه
قولاً خالفاً قول سيبويه فيه . و نحن نذكر ما قال و نبين فساده) . وهذا يعني أن من
بين أسباب رفض أبي علي الفارسي كتاب العين اختلاف ما فيه عمّا نقل سيبويه في
كتابه الذي يمثل علم الخليل و فكره .

وعلى الرغم من أن أبا أحمد العسكري (ت ٣٨٢) ذهب مذهب المنكريين
للكتاب الرافضين له ، فإنَّ في ما كتبه تخليطاً يجعلنا لا نضعه في صفَّ الأزهرى
والزيدى و ابن جنى .

يقول العسكري في باب : ما روی من أوهام علماء البصريين ، من كتابه (شرح
ما يقع فيه التصحيف والتحريف)^(٢) : « ما وهم فيه الخليل بن أحمد في كتاب العين
إنْ كان عمله . فإني رأيت مشايخنا كالمجتمعين على أن الخليل إنما عمل بعض الكتاب ،
وقيل بل عمل حرف العين فقط ، وأن النضر بن شمبل تمهّه بخراسان ، واجتمع معه
الليث بن المظفر وعلي بن ساسان الواسطي ، فأضافوا إلى الكتاب ما يجوز وجملًا مما
لا يجوز رغبة في أن يكون الكتاب كاملاً تماماً » .

(١) ص ٩٩ .

(٢) ٧٠/١ (دمشق) و ٥٧ (مصر) .

على الرغم من أن في قول أبي أحمد العسكري المذكور أعلاه تشكيكاً واضحاً في نسبة (العين) إلى الخليل ، فإن الدارس يشعر أنه ينقل عن غيره ، وأن نقله فيه خلط لا نزاه عند المقدمين . فهو يجعل النضر بن شمبل متمماً للعين ، يساعد في عمله الليث بن المظفر وعلي بن سasan الواسطي ، والأخير مجهول لا وجود له في كتب الرجال .

ويكمل العسكري كلامه بإيراد أدلة على أن غير الخليل تم الكتاب فيقول : « وما يدل على هذا استشهادهم بأشعار المؤلدين مما لم يكن الخليل يلتفت إليه ولا يستشهد بهنله . وقد علمت في (العين والحساء والراء) وغيرها على أكثر من أربعين بياناً للمحدثين مثل سليمان بن زيد العدوبي وصالح بن عبد القدوس وسابق وبشار ومن في طبقتهم ، بل وجدت فيه من شعر أبي دلامة والحسن بن هاني ، وهذا أدلة دليل على أن الكتاب مفسد مزید عليه »^(١) .

ثم يروي عن أبي عمر الزاهد خبراً يرويه عن أبي الحسين النيسابوري عن أبيه عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شمبل في الليث بن المظفر . وقد سبق ، عند الحديث عن النضر أن استبعدنا هذا الخبر وبيننا أن اسم النضر مفحم فيه .

ثم يعدد بعد ذلك التصحيفات والتحريفات التي وقعت في كتاب العين ، ومعظمها قد قرأها على ابن دريد . ونزاه يذكر في إشاراته هذه أنها (مما لا يذهب مثله على الخليل)^(٢) ، أو قول ابن دريد له (لا تنظر إلى ما في كتاب الخليل في باب السين ...) فإن ذلك غلط من الليث على الخليل^(٣) ، وكأنه بهذا يتبه القاريء إلى أن هذه التصحيفات ليست من الخليل وإنما هي من تم الكتاب بعده .

(١) المصدر نفسه ١/٧٠ - ٧١ (دمشق) و ٥٨ (مصر) .

(٢) المصدر نفسه ١/٧٣ - ٧٤ (دمشق) و ٥٩ (مصر) .

(٣) المصدر نفسه ١/٧٥ - ٧٦ .

أما ابن دريد والقالي وابن فارس ، وهم من ألف في المعجمات ، فعلى الرغم من شکّهم في مادة الكتاب فإنهم لم ينظروا إلى قضية نسبته إلى الخليل نظرة جادة ، بل كانوا ينسبونه إلى الخليل لكتبه في ثنايا ردودهم واستدراكاتهم على العين كانوا يميلون إلى نفي الخطأ عن الخليل ، وبعضهم كان يذكر صراحة الليث وكونه سبب هذا الخطأ .

عرف ابن درید (ت ٣٢١ هـ) ، وهو بصري وأزدي كالخليل ، بأمر كتاب العين ، وربما اطلع عليه ، سنة ٢٤٨ هـ ، وهو في ريعان شبابه . إذ كان عمره خمساً وعشرين سنة^(١) . وبعد ما يقرب من نصف قرن أملأ كتابه الجمهرة ، الذي لا يخفى على الدارسين تأثره بكتاب العين مادة ومنهجاً .

أشى ابن دريد في مقدمة الجمهرة على الخليل وكتابه ثناء يبدو أنه كان نتيجة إعجابه بمنهج الكتاب وما فيه من ذكاء وفطنة . يقول^(٢) : (وقد أَلْفَ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان الله عليه كتاب العين فأتعجب من تصدى لغایته وعنى من سما إلى نهايته . فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متکلّف وكلّ من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد . ولكن ، رحمة الله ، أَلْفَ كتاباً مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره) .

هذا الثناء والإعجاب موجه ، كما قلنا ، إلى منهج الكتاب وما فيه من ذكاء وفطنة . أما مادة الكتاب وما فيها من تصحيف وتحريف واضطراب وما أصاب بعض جوانب المنهج من خلل فيعزوه ابن دريد إلى الليث صراحة . وهذا دفعه إلى أن يكتب

(١) ولد ابن دريد سنة ٢٢٣ هـ .

(٢) الجمهرة ٣/١ .

مستدركاً على العين وما فيه من خطأ وتصحيف^(١) . وقد نقل أبو أحمد العسكري^(٢) وحمزة الأصبهاني^(٣) نتفاً من هذه الاستدراكات عن ابن دريد ، وفيها يشير إلى إلقاء تبعة هذه الأغلاط على الليث . كقوله لأبي أحمد العسكري^(٤) (لا تنظر إلى ما في كتاب الخليل في باب السين غير المعجمة ، فقال : سدف في معنى شدف ، فإن ذلك غلط من الليث على الخليل) . وقوله في مادة / زح ك من الجمهرة^(٥) (الزحك : الدنو ... وأهل الخليل هذه الكلمة ، وأحسبه غلطًا من الليث) . وقال في مادة / بعث^(٦) (ويوم بعاث يوم معروف ، وذكر عن الخليل بالغين معجمة ، ولم يسمع من غيره . قال أبو بكر : وليس هذا صحيحاً عن الخليل أيضاً) . وقوله في مادة / دقش^(٧) (وزعموا أن الخليل سأل أبي الدقيش : ما الدقيش ؟ فقال : لا أدرى ، إنما هي أسماء نسموها ، نسمى بها ولا نعرف معانها . وهذا غلط وادعاء على أبي الدقيش ، وكيف يخفى على أبي عبدالرحمن نضر الله وجهه مثل هذا وقد سمع العرب سمت دقشاً ودقيشاً ...) .

مجمل ما تقدم ، أن ابن دريد يقى في حيرة من أمر كتاب (العين) ونسبته إلى الخليل . ففي مقدمة الجمهرة ينسبة صراحة إلى الخليل ويثنى عليه ثناء لا حدّ له ، لكنه في ثنايا الكتاب يشير إلى أغلاط فيه سرعان ما ينسبها إلى الليث . وكأنه بهذا يلقى

(١) الفهرست ٤٩ .

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١/٨١ - ٧٣ (دمشق) و ٦٠ - ٦٨ (مصر) .

(٣) التبيه على حدوث التصحيف ٧٥ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٧٦ - ٧٥ (دمشق) و ٦٢ (مصر) .
الجمهرة ١٤٩/٢ .

(٥) المصدر نفسه ٢٠١/١ .

(٦) المصدر نفسه ٢٦٩/٢ .

(٧) المصدر نفسه ٢٦٩/٢ .

تبعة ما في الكتاب من اضطراب على الليث لأنه وحده حمل الكتاب عن الخليل ، وهو الذي انفرد بروايته . ويبدو أن ابن دريد وضع يده على الشيء الكثير من هذا الاضطراب مما دفعه إلى وضع مستدرك على كتاب العين .

أما أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) فلدينا موقفان له من كتاب العين ، أولهما ينقله عنه تلميذه المقرب إليه أبو بكر الزبيدي في أول كتابه « استدراك الغلط الواقع في كتاب العين » نقاًلاً عن كتاب المزهر للسيوطى^(١) . يقول الزبيدي : (وحدثنا إسماعيل بن القاسم البغدادي ، وهو أبو علي القالي ، قال : لما ورد كتاب العين من بلد خراسان زمن أبي حاتم ، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ودفعه بأبلغ الدفع ، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل سليماً من الزلل ، وقد غبر أصحاب الخليل بعد [وفاته]^(٢) مدة طوبلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به ... فما علمنا أحداً منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً) ، وهو موقف يتضح فيه التشكيك في نسبة الكتاب إلى الخليل .

أما الموقف الثاني فتجده في ثانياً كتابه (البازع) ، إذ تستشف منه اعترافاً صريحاً بنسبة (العين) إلى الخليل . هذا الموقف جاء - ربما - تالياً لموقفه السابق وبعد طلب من الخليفة الأموي في الأندلس بمقابلة نسخ كتاب العين وتهيئة نسخة يعتمد عليها^(٣) ، إذ « أنه بعد المقابلة التي أجرهاها اقتنع بصحة نسبة الكتاب ... وصرّح بنسبة للخليل ولم ينسبه للبيت ... »^(٤) .

(١) ٨٢/١ - ٨٥.

(٢) زيادة لتوضيح السياق .

(٣) مقدمة المحقق لكتاب (البازع) ص ٦٥ .

(٤) المصدر السابق .

ومع هذا الاقناع يبقى الشك في نفس القالي تجاه ما ينفرد به العين من مواد لغوية .
 ففي مادة / ض م غ^(١) : (وقال أبو علي : لست من هذا الحرف على ثقة ، فإني لم أجده إلا في كتاب العين) . وهذا الشك ربما كان مبعثه عدم حمل القالي كتاب العين روایة . فقد ذكر ابن خير الإشبيلي الكتب التي حملها القالي معه من المشرق ولم يكن كتاب العين من جملتها .

وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) من اللغويين الذين أفادوا من كتاب العين في مؤلفاتهم ، على الرغم من شكه في مادته اللغوية . يقول في كتابه الصاحبي^(٢) : (وأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمه من قوله : هذا آخر كلام العرب ، فقد كان الخليل أورع وأتقى لله - جل ثناؤه - من أن يقول ذلك) . ثم ينقل عن العلماء المعاصرين للخليل روایات في عمله وزهده ويختمها بقوله (قلنا : فهذا مكان الخليل من الدين ، أفتراه يقدم على أن يقول : هذا آخر كلام العرب ؟ ثم إن في الكتاب الموسوم به من الإخلال ما لا خفاء به على علماء اللغة . ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناه)^(٣) .

لقد أفاد ابن فارس من (العين) في معجميه : مجمل اللغة ومقاييس اللغة ، لكنه يسمّي (العين) في كتابه الأول : الكتاب المنسوب إلى الخليل^(٤) ، أو : الكتاب الذي يقال إنه للخليل^(٥) .

(١) المصدر السابق ٢٧٠ .

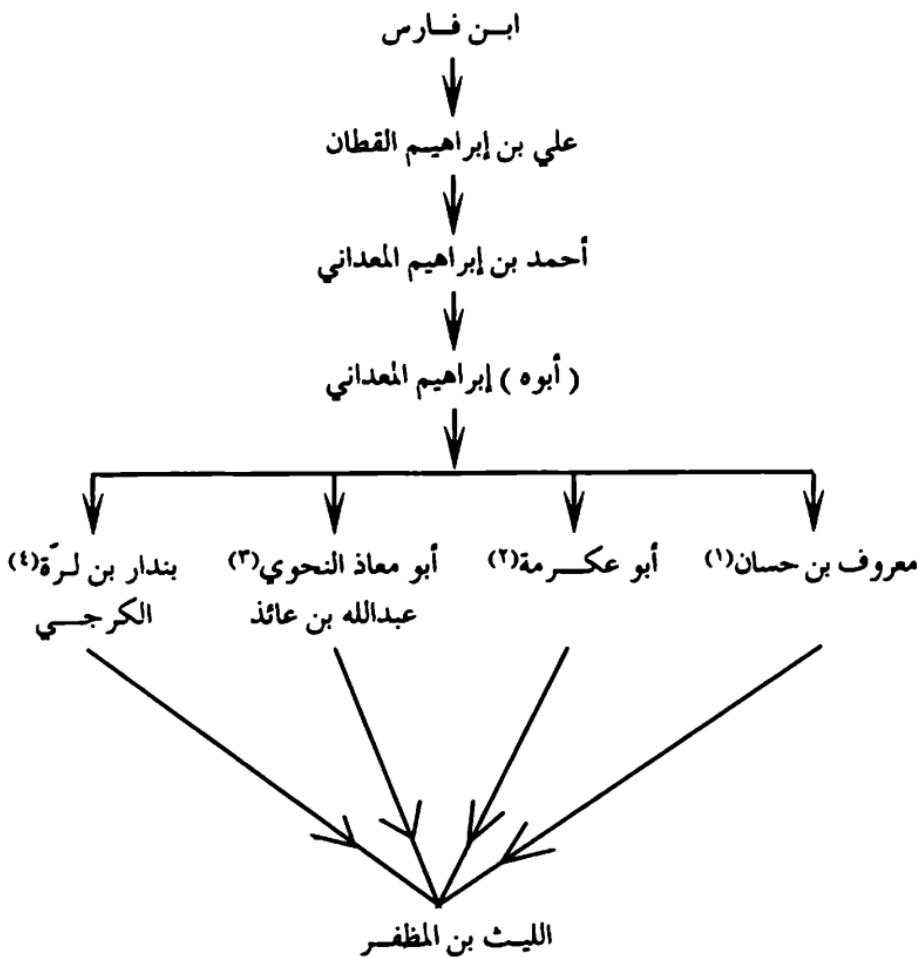
(٢) ص ٤٧ .

(٣) المصدر السابق ٤٨ .

(٤) مجمل اللغة ١٤٥ / ١ (م / أث وأج) و ١ / ٣٣٩ (م / توف) .

(٥) المصدر نفسه ١ / ٣٣٦ (م / تله) .

ويتميز ابن فارس عن غيره من اللغويين الذين أشرنا إليهم برواياته (العين) بسند يصل إلى الليث بن المظفر . هذا السند له أربعة طرق هي :



(١) مجمل اللغة /٤ ٥٧٢ ومقاييس اللغة /١ ٤ .

(٢) مجمل اللغة /٢ ٢٥ .

(٣) مجمل اللغة /٤ ٥٧٢ وحلية الفقهاء ٧٢ .

(٤) الصاحبي ٦٢ و ١٩٣ و مقاييس اللغة /١ ٤ و حلية الفقهاء ٢١ و ١٣١ .

مؤلف الرواية ، عدا بندار بن لرَّة الْكَرْجِي ، مجهولون لا نعرف عنهم شيئاً . ولعل ضعف السند في رواية الكتاب هو الذي دفعه إلى التشكيك في نسبته إلى الخليل كما أشرنا . وقد لاحظ بعض الاضطراب في نسخته من العين ، قال : « وفي نسختي من كتاب العين أن الشين والجيم والذال مهملاً ، فلا أدرى أسقط من كتابي أم خفي على مؤلفه ، والكلمة صحيحة لا شك فيها »^(١) .

بقي من علماء القرن الرابع ، الذين أثروا بهم ، عمالان هما : الصاحب بن عباد والجوهري .

أما الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) فقد أكثر في كتابه (المحيط في اللغة)^(٢) النقل عن الخليل ، من غير أن يشير إلى العين ، كما أكثر استدراك الموارد اللغوية التي أهلتها كتاب العين .

أما النقل عن العين ، فلا بد أن يكون قد اطلع عليه بعد أن شاع الكتاب وعرف في عصره ، القرن الرابع ، وخاصة أن أحد شيوخه - وهو ابن فارس - قد نصَّ على روايته الكتاب في معظم كتبه اللغوية .

أما استدراك الموارد اللغوية الجديدة فكان معتمداً فيها كتاب الخارزنجي (ت ٣٤٨هـ) : تكميلاً لكتاب العين^(٣) ، وهو كتاب حاول مؤلفه استدراك ما أهل في كتاب العين من موارد لغوية بالنقل عن كتب المتقدمين من علماء اللغة . وقد حمل الأزهرى صاحب التهذيب على الخارزنجي مؤلفه لأنَّه أسنَد مادته اللغوية إلى العلماء المتقدمين من غير سبب .

(١) مجلل اللغة ١٩٨٣ / م / ش ج ٣ .

(٢) نشر منه ثلاثة أجزاء ، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (منشورات وزارة الثقافة والإعلام) بغداد ١٩٧٥ و ١٩٧١ و ١٩٨١ .

(٣) انظر : مقدمة المحقق لكتاب (المحيط في اللغة) ٢٠ / ١ وما بعدها .

وعلى الرغم من أنَّ ما نشر من كتاب (المحيط) أقل من ثلثه فإننا نستطيع أن نشير إلى ما يلي :

- ١ - الكتاب بني على منهج الخليل في اعتماده مخارج الأصوات في توزيع المoward اللغوية .
- ٢ - نسب أكثر ما نقل من العين إلى الخليل ، ولم يذكر الليث إلا في مرات معدودة^(١) . وهذا النقل ربما اعتمد فيه على غيره من ينسب نقوله إلى الليث .
- ٣ - لا يبدو أنَّ للصاحب موقفاً واضحاً من كتاب العين ومؤلفه ، فهو لا يشير إلى خطأ ما ينقل أو صوابه مقارنة مع التقول الأخرى . يقول مثلاً : (العشم : الطمع ، عن أبي سعيد ، وحکاه الخليل بالسين غير معجمة)^(٢) ، من غير إشارة إلى صحة أحدهما أو خطأه .

أما أبو نصر الجوهرى (ت ٣٩٦هـ) فقد رحل إلى العراق في نحو منتصف القرن الرابع الهجري ، وكان كتاب العين قد شاع وعرف قبل ذلك بقرن . وكان لا بد من يريد تأليف معجم في اللغة أن يطلع على جهود من سبقه من اللغويين ، وكان كتاب العين واحداً منها . لكنه لم يد في أثناء نقله ما يشير إلى شكه في نسبة الكتاب ، فهو يشير إلى الخليل باعتباره مؤلفه ولا يشير إلى الليث أبداً . لكن الشك في مادته اللغوية يبدو واضحاً من خلال نقوله ونوصوته . ففي مادة (ش د ف) بمحده يقول : (الشدف ، بالتحريك ، الشخص ، والجمع : الشدوف . وهذا الحرف في كتاب العين بالسين غير معجمة . قال ابن دريد : هو تصحيف) .

(١) المحيط في اللغة ١/٢٢٠ و ٢/٢٥٣ و ٢٦١ .

(٢) المصدر السابق ١/٣٣٧ .

ونجد من جانب آخر ينقل عن الخليل ما يشعر بالشك في ما ينقل ، كقوله :
 (وحكي عن الخليل)^(١) ، أو (زعم الخليل)^(٢) . فضلاً عن هذا كله فإن مجموع
 نقوله عن العين التي ينسبها إلى الخليل لا تتجاوز الثلاثة والأربعين نصاً ، كلّ نص يقع
 في سطر وبعض السطر . أما بقية النصوص التي ينسبها إلى الخليل فينقلها عن كتاب
 سيبويه وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد . وهذا النقل يعد قليلاً موازنة بحجم كتاب
 العين الذي يقارب كتاب الصاحح في حجمه .

ويمكن توجيه قلة نقله عن العين أنه ابتعد في نقوله عن المصحف والحرف وما هو
 مضطرب ، لأن خطته ومنهجه : « نقل ما صحّ عنده من اللغة » ، كما أشار في مقدمة
 الصاحح ، غالباً ما يشير إلى الصحيح مكتفياً به . ففي مادة (و ق ظ) من العين
 (الوقف) : حوض يجتمع فيه ماء كثير ليس له أعضاد ، وجمعه وقطان) . لا نجد هذه
 المادة في الصاحح في (و ق ظ) ، وإنما نجدتها في (و ق ط) بالظاء المهملة ، يقول :
 (الوقف والوقيط) : حفرة في غلظ أو جبل يجتمع فيه ماء السماء ، والجمع وقطاط) ،
 بينما يضعها الأزهري في (و ق ظ) بالظاء المعجمة ولكنه يخطئها ويشير إلى
 الصحيح .

(١) الصاحح : (م / جنس وزف) .
 (٢) المصدر نفسه (م / صلف و عمق) .

يهدف هذا البحث إلى إيضاح موقف الأقدمين ، وبخاصة علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين ، من كتاب (العين) ، وهو كتاب له خطورته ومكانته في تاريخ الثقافة العربية ، ويعدّ كتاباً رائداً في تاريخ المعجم العربي .

لم تكن ولادة هذا الكتاب طبيعية ، أعني أن ظروف وضعه وتأليفه يحوطها الكتمان وتنقصها الإشارات الواضحة التي نعهد لها في مثل هذا الشأن . فلقد عودنا الأقدمون ، في وقت مبكر ، على طرق عديدة لتوثيق الأقوال والأعمال والأفكار ، لا تزال حتى عصرنا هذا مقبولة شائعة .

فالخليل بن أحمد البصري عالم لغة وأدب ونحو ، له تلاميذ وأصحاب ، له مجلس ، أو قل له مجالس ، يرتادها أصحابه وغيرهم . له طريقة في السلوك والتفكير معروفة محمودة . لا نكاد نجد له ذاماً ولا عائباً في عصره ولا في ما بعده . يتوفى الله هذا العالم ، بعدها ب نحو سبعين سنة يصل إلى مدینته البصرة كتاب ينسب إليه ، هو كتاب العين .

يجابه هذا الكتاب بإنكار أصحاب الخليل وأصحاب أصحابه ، موجهين إليه النقد من جانبين :

- ١ - النقد الخارجي ، ونعني به عدم روایة الخليل الكتاب لأصحابه ، وهذا يعني عدم معرفتهم إياه وظروف تأليفه . وقد أجمع أصحابه على هذا الإنكار .
- ٢ - النقد الداخلي ، ويعني وضع الكتاب في ميزان النقد اللغوي ، من خلال مقابلة مادته مع ما أثر عن الخليل ، وبخاصة ما وعنه صدور أصحابه ومؤلفاتهم ، ومنهم سيبويه وكتابه ، وما أثر عن العرب .

بحثنا هذا تناول الجانب الأول ، وهو النقد الخارجي ، فقط . فعرض له من جميع جوانبه ، ووصل إلى نتيجة تؤكد قولًا قدِيماً يقول بعدم روایة الخليل الكتاب ، وبالتالي عدم معرفة أصحابه به ، مما دعاهم إلى إنكاره وعدم التقل عنه وروايته .

لكنَّ قوَّةَ هذا الإنكار والرفض خفت حدتها ، وبخاصة عند البصريين ، فبدأت أيديهم تندَّى إلى الكتاب لتقرأه ، فوجدت فيه شيئاً جديداً لم يعهدوه ، شيئاً في منهجه وترتيبه جعلهم يغيِّرون نظرتهم إلى الكتاب . وكان ابن دريد أول من انعكس تأثير (العين) عليه ، فوضع كتابه الجمهرة بتأثير منه ، لكنه ظلَّ بين الحين والآخر يوجه نقداً إلى مادته اللغوية ، وأنها ليست من الخليل وإنما من الليث .

هذه الفكرة وهذا الخط الذي سار عليه ابن دريد في حكمه على الكتاب هو المنهج الذي سار عليه معظم لغوبي القرن الرابع باختلاف الطريق الذي سلكوه في التعبير عنها ، وهو أن الخليل ، رحمة الله ، رسم خطة الكتاب ووضع أسسه ومنهجه ، أما حشو الكتاب ومادته اللغوية فليست من صنع الخليل ولا إملائه . وخير مثل ، من لغوبي القرن الرابع ، عَبَرَ عن هذه الفكرة هو أبو منصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة . فقد وجد في (العين) مادة لغوية صحيحة كثيرة لكنه لم يشأ أن ينسبها إلى الخليل وإنما إلى الليث بن المظفر . فاعتقاده قائم على أن جميع المادة اللغوية في الكتاب ليست للخليل ، على الرغم من صحة الكثير منها ، ما دام موجوداً إلى جانب هذا الصحيح شيءٌ كثير أيضًا من الاضطراب والتصحيف والتحريف .

مصادر البحث ومراجعه

- ابن درستويه
للدكتور عبدالله الجبوري
بغداد (مطبعة العاني) ١٩٧٤
- الأمثال (كتاب)
لأبي فيد مؤرج بن عمر السلوسي (ت ١٩٥ هـ)
حققه : د. رمضان عبدالتواب
القاهرة (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)
١٩٧١
- أنباء الرواية على أنباء النحاة
لعلي بن يوسف الققطني (ت ٦٥٦ هـ)
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٠ - ١٩٧٣
- البارع في اللغة
لأبي علي القالي (ت ٢٥٦ هـ)
تحقيق : د. هاشم الطعان
بيروت (دار الحضارة العربية) ١٩٧٥
- بغية الوعاة
لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦٤ - ١٩٦٥
- تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)
بيروت - دار الكتاب العربي (طبعة مصورة
عن طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣١)

تاریخ الطبری (تاریخ الرسل والملوک)	محمد بن جریر الطبری (ت ۳۱۰ هـ)	
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم		
القاهرة (دار المعارف) ۱۹۶۰ وما بعدها .		
الحنمة بن الحسن الأصفهانی (ت ۳۶۰ هـ)		التبییہ علی حدوث التصحیف
تحقيق : محمد أسد طلس		
دمشق (مجمع اللغة العربية) ۱۹۶۸		
لأبی زکریا التزوی (ت ۶۷۶ هـ)		تهذیب الأسماء واللغات
القاهرة (إدارة الطباعة المنیریة) بلا تاریخ		
لأبی منصور الأزهري (ت ۳۷۰ هـ)		تهذیب اللغة
تحقيق : عبدالسلام هارون وآخرين		
القاهرة (الدار المصرية للتألیف والترجمة)		
۱۹۶۴ وما بعدها		
لأبی بکر بن درید (ت ۳۲۱ هـ)		جمهرة اللغة
تحقيق : فرایتز کرنکو		
الهند (حیدر آباد الدکن) ۱۳۴۴ هـ وما بعدها		
لأحمد بن فارس (ت ۳۹۵ هـ)		حلیة الفقهاء
تحقيق : د. عبدالله بن عبد المحسن التركي		
بیروت (الشرکة المتمددة) ۱۹۸۳		
لعثمان بن جنی (ت ۳۹۲ هـ)		المصائر
تحقيق : محمد علي النجار		
القاهرة (دار الكتب المصرية) ۱۹۵۲ وما بعدها		

الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث	د. محمد حسين آل ياسين	بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٨٠
شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف	لأبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢ هـ)	(١) تحقيق: د. السيد محمد يوسف
دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٨١		(٢) تحقيق: عبدالعزيز أحمد
الصاحبي في فقه اللغة		القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦٣
الصحاب	لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)	تحقيق: مصطفى الشوامي
طبقات الشعراء	لأبي نصر الجوهري (ت ٣٩٦ هـ)	بيروت (مؤسسة بدران) ١٩٦٣
طبقات النحويين واللغويين	تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار	القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٥٦
	لعبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)	تحقيق: عبدالستار أحمد فراج
	القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦	تحقيق: أبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)
	تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم	القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٣

الباب الراهن والباب الفاخر

للحسن بن محمد الصبغاني (ت ٦٥٠ هـ)

تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين

بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٧٧ وما بعدها

(النسب) إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي

(١٧٥ هـ)

العين

تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي

بغداد (وزارة الثقافة والإعلام) ١٩٨٥ - ١٩٨٠

الفاخر

للمفضلي بن سلمة الكوفي (ت ٢٩١ هـ)

تحقيق: عبدالعزيز الطحاوي

القاهرة (سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة) ١٩٦٠

الفهرست

محمد بن إسحاق النديم (ت بعد ٣٨٥ هـ)

تحقيق: رضا تجدد

طهران (مطبعة دانشکاه) ١٩٧١

فهرسة ما رواه عن شيوخه

أبو بكر بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ)

تحقيق: فرنسيشكه قداره زيدين

بغداد (مكتبة المثنى) ١٩٦٣

مجمل اللغة

لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)

تحقيق: الشيخ هادي حسن حمودي

الكويت (معهد الخطوطات العربية) ١٩٨٥

المحيط في اللغة

للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)

تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين

بغداد (وزارة الثقافة والإعلام) ١٩٧١ - ١٩٨١

لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)

مختصر العين

تحقيق: علال القاسي ومحمد بن تاویت الطنجي

الدار البيضاء (منشورات وزارة الدولة المكلفة

بالشؤون الإسلامية) ١٩٦٣

مراتب التحويين

لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ)

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٧٤

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

بلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)

تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين

القاهرة (البابي الحلبي)، بلا تاريخ

السائل المشكلة المعروفة بالبغداديات

لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)

تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي

بغداد (منشورات وزارة الأوقاف) ١٩٨٣

معجم الأدباء

لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)

نشر: أحمد فريد رفاعي

القاهرة (دار المأمون) ١٩٣٦ وما بعدها

المعجم العربي : نشأته وتطوره

للدكتور حسين نصار

القاهرة (دار مصر للطباعة) ١٩٦٨

لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)

تحقيق : عبدالسلام هارون

القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦٩ وما بعدها

لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ)

تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة

القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)

١٩٦٣ وما بعدها

لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٦٧

لابن خلkan (ت ٦٨١ هـ)

تحقيق : د. إحسان عباس

بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٨ وما بعدها

مقاييس اللغة

المقتضب

نزهة الألباء في طبقات الأدباء

وفيات الأعيان

الصفة المشبهة

(قراءة جديدة في البنية الشكلية والدلالية لبعض الأوصاف المشتقة)

د. فيصل إبراهيم صفا

جامعة اليرموك

ممهيد:

يرد حديث الدارسين ، قدماء ومحديثين ، عما يطلق عليه (الصفة المشبهة) في اتجاهين : اتجاه نحوى تركيبى^(١) ، واتجاه صرفي دلالي . أما الذين عنوا بتحديد مفهومها صرفيًا ودلاليًا (وهو ما يعني هذه الدراسة) ، فقد كانوا يقفون عند نوع الفعل الذي تشتق هذه الصفة منه ، وعند دلالتها ، فمن حيث نوع الفعل من جهة عدد حروفه فيبدو أن أظهر من نص على بناء (الصفة المشبهة) من الفعل الثلاثي هو السكاكى الذى يقول^(٢) : « والصفة المشبهة تخصُّ الثلاثيات المجردة » ، وأكَّد على هذا حين قال^(٣) : « واسم الآلة يخصُّ الثلاثي كالصفة المشبهة » . ولا يكاد الدارس يجد أحداً ، فيمن قرئ لهم من القدماء ، يذهب إلى ما ذهب إليه السكاكى على الرغم من أنَّ السواد الأعظم لأمثلة القدماء يكاد يقتصر على صفات

(١) ينظر مثلاً : سيبويه ، الكتاب ١٩٤/١ - ٢١١ ، البرد ، المقتصب ٤/١٥٨ ، ابن السراج ، الأصول في النحو ١/١٥٣ ، ١٥٤ ، الزمخشري ، المفصل في علم العربية ص ٢٣٠ ، ابن بعيسى ، شرح المفصل ٦/٨١ ، ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ٢/١٤٠ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٥ .

(٣) السابق نفسه .

مشبهة يُلحظ معها الثلاثي من الأفعال . وندر كذلك من نص^(١) من المحدثين على ثلاثة الفعل . ومن حيث نوع الفعل من جهة لزومه وتعديه ، فيكاد القدماء^(٢) والمحدثون^(٣) يجمعون على بناء (الصفة المشبهة) من الفعل (اللازم) .

أما الحديث عن (الصفة المشبهة) من حيث دلالتها على من قام بالحدث (= المعنى) المدلول عليه بها على وجه الثبوت ، فيكاد القدماء^(٤) والمحدثون^(٥) يجمعون على ذلك أيضاً .

(١) ينظر مثلاً : فتحية صلاح ، التيسير في النحو والصرف ص ٢٢٤ ، د. محمد خير الخلواني ، الواضح في علم الصرف ص ١٨٢ ، عباس حسن ، النحو الواقفي ٢٣١/٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ - ٢٣٤ ، الذي يرى أن ما دعا به بالصفة المشبهة الأصلية لا يكون إلا من الثلاثي) .

(٢) ينظر مثلاً : ابن الحاجب ، شرح الواقفي نظم الكافية ص ٣٢٩ ، ابن الحاجب ، الكافية في النحو ٢٠٥/٢ ، نور الدين الحمامي ، شرح كافية ابن الحاجب ٢٠٣/٢ ، ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ١٤١/٢ ، الأشموني والصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣/٣ ، الأسفرايني ، لباب الإعراب ص ٤٨٠ ، السيوطي ، المطالع السعيدة ٢/١٨٠ ، السيوطي ، معجم الهمامع في شرح جمع الموات ٥٨/٦ ، الأسيوطى (= السيوطي) الفرائد الجديدة ٢/٦٧٧ ، ابن هشام ، شرح اللحمة البدرية في علم اللغة العربية ص ١١٨ .

(٣) ينظر مثلاً : عباس حسن ، النحو الواقفي ٣/٢٣١ - ٢٣٢ ، ٢٣٥ - ٢٣٤ ، د. خديجة المدبشي ، أبجية الصرف في كتاب سيبويه ص ٢٧٥ ، الشيخ أحمد الملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ص ٧٩ ، الشيخ مصطفى الغلايبي ، جامع الدروس العربية ١/١٨٩ ، ١٩٧ ، د. عبد الرحمن الجاحي ، التطبيق الصرفي ص ٧٩ ، د. محمود سليمان ياقوت ، ظاهرة التحويل في الصيغة الصرفية ص ٨٤ .

(٤) ينظر حاشية (٢) أعلاه .

(٥) ينظر حاشية (٣) أعلاه : هنا ، ولا يختلف كل من (Wright) و (Howell) و (Haywood and Nahmad) في شيء ذي بال عما يقول به القدماء ومعظم المحدثين ، بل إنهم (ما عدا Howell) يزيلون في الخلط بين (اسم القاعل) و (الصفة المشبهة) . ينظر على التوالي :

Wright, W. : A Grammar of the Arabic Language; 3rd edition. The University Press, Cambridge (1986), pp. 131 - 132.

Howell, Mortimer Sloper; A Grammar of the Classical Arabic Language. Gian Publishing House, Delhi (1986) . : pp. 1606 - 1607.

Haywood, J.A. and Nahmad, H.M.; A New Arabic Grammar of the Written Language; Lund Humphries, London (1965) : pp. 86 - 87 .

يمكن القول ، إذاً ، أن حديث الدارسين عن (الصفة المشبهة) قد عمل على تحديد معالمها وضبط مفهومها على النحو الذي تم إيجاده أعلاه ، والذي ترجم هذه الدراسة أنه غير قادر ، من الوجهة الصرفية والدلالية على تمييز (الصفة المشبهة) من غيرها من الصفات المشتبأة تمييزاً قاطعاً موضوعياً .

ولعل أمثلة سيبويه على (الصفة المشبهة) العاملة ، وهو الجانب الذي يبدو أنه الوحيد الذي اطلعت عليه د. خديجة الحديشي في كتاب سيبويه ، ولعل أمثلته عليها كذلك في الجانب الصرفى من كتابه^(١) ، وهو الجانب الذي لم يصرّح فيه بمصطلح (الصفة المشبهة) ، لعل أمثلته في الجانبيين كانت الأساس في حمل المتأخرین على الخروج بالضوابط المشار إليها سابقاً ، وال المتعلقة بالفعل المستقى منه من حيث عدد حروفه (وهي ثلاثة في السواد الأعظم من أمثلته) ، ومن حيث لزومه . هذا على الرغم من أن الأفعال الملحوظة ، عند استئناف أمثلة (الصفة المشبهة) الواردة في الكتاب ، تكاد تنادي بخصيصة تمييز بها وتتقاصر دونها الخصائص التي خرجوا بها وخاصة حين يتبيّن أن ما خرج به المتأخرون من ضوابط يمكن نقضه .

إحساس غامض بحقيقة طيبة (الصفة المشبهة)

لا شك في أنه قد كان لدى سيبويه وغيره من المتقدمين إحساس خاص بهذا النوع من الصفات التي أطلق عليها مصطلح (الصفة المشبهة) . وإن ذكر سيبويه ، على سبيل المثال ، صفات وقعت على وزن (اسم الفاعل) من الثلاثي وغير الثلاثي ، من مثل : مطرق^(٢) ، ولاحق^(٣) ، وشاحط^(٤) ، إن ذكر ذلك ليؤكّد هذا الإحساس ،

(١) ٢١ - ١٧/٤ .

(٢) السابق نفسه ١٩٥/١ .

(٣) السابق نفسه ١٩٧/١ .

(٤) السابق نفسه ١٩٨/١ .

ذلك أن الأمثلة التي يذكرها لهذا النوع من الصفة يتقطنها إلى حد بعيد خصيصة متعلقة بالفعل ، لا من حيث كونه ثالثياً ، بدليل ذكره لـ (مطرق) ، ولكن من حيث الدلالة العامة للأفعال التي تلحظ عند صوغ مثل هذا النوع من الصفات ، كما ستبين . وهذا يعني أن سبويه يميز (الصفة المشبهة) من (اسم الفاعل) ، ولو كانت (أي) : الصفة المشبهة (على وزن من أوزان (اسم الفاعل) ، لسبب يشير هو أن هذا النوع من الوصف ذو دلالة خاصة تخالف دلالة (اسم الفاعل) . فما هذه الخاصية التي تميز الأفعال التي تلحظ عند صوغ (الصفة المشبهة) ؟

بدأ اللغويون بالتصريح بضوابط تعرف بها (الصفة المشبهة) وتصاغ عليها في وقت متأنّر هو القرن السابع الهجري وما تلاه ، فهذا السكاكني^(١) يتحدث عن استفاتها من الثلاثي ، وهذا ابن الحاجب والأسترابادي^(٢) وأبن مالك^(٣) ، على سبيل المثال ، يشيرون إلى استفاتها من (اللازم) ، وبندهم كذلك يتحدثون عن دلالة (الثبوت) لا التجدد فيها .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض تعريفات (الصفة المشبهة) ، عند بعض متأخري اللغوين ، لم تخل من عبارات تشي ، بغموض ، إلى إحساس خاص بتمييزها ، فقد عرفها ركن الدين الأسترابادي^(٤) ، على سبيل المثال ، بقوله : « اسم مشتق من فعل لم قام ذلك الفعل به على معنى الثبوت » ، فالعبارة المخطوطة تحتها في التعريف تتمّ عن إحساس خاص ، لكن غامض ، بهذا النوع من الصفات ، فهي (أي : العبارة) قد تفهم أن النزات الموصوفة قد وجدت الحدث فيها لكنه لم يقع منها ولم يكن تصرفاً لها . فإذا كان هذا المعنى ، أو قل شيئاً قريباً منه مقسداً بمثل هذه العبارة ، فالإحساس الخاص موجود لا محالة .

(١) مفتاح العلوم ص ٢٥ .

(٢) الكافية في التحوم مع شرحها ٢٠٥/٢ .

(٣) تسهيل الفوائد وتكامل المقاصد ص ١٣٩ .

(٤) الرواية في شرح الكافية ص ٢٤٣ .

مناقشة الضوابط الصرفية والدلالية لـ (الصفة المشبهة)

لعلَّ أهمَّ هذه الضوابط ، كما سبقت الإشارة ، كون الفعل الملحوظ - عند اشتقاق (الصفة المشبهة) - لازماً ، وكون الوصف دالاً على (الثبوت) .

أما ضابط ثلاثة حروف الفعل ، فلعلَّ مما يردَّ الأخذ به هو أنواع الأحداث التي تكون منها الصفات المشبهة ، فالأفعال الدالة على الألوان والعيوب والخللي الظاهرة ، والأفعال الدالة على الخلوي أو الامتناء أو الأدواء الباطنية أو ما يشبهها أو ما يضادها ، إلخ ، تكون (أي : هذه الأفعال) ثلاثة وغير ثلاثة . وقد أورد سيبويه ، كما سبقت الإشارة ، أمثلة على صفات مشبهة - من غير الثلاثي - تشارك أفعالها أفعال الثلاثي في هذه المعاني . بل لقد نصَّ بعض القدماء ، من مثل ابن عقيل^(١) وابن مالك^(٢) والشيخ خالد الأزهري^(٣) ، نقاًلاً عن ابن الخطاب ، على اشتقاق (الصفة المشبهة) مما فوق الثلاثي . وقد نصَّ على مثل ذلك بعض المحدثين ، مثل : محمد الأنطاكي^(٤) ومحمد خير الخلواني^(٥) . يضاف إلى هذا أن بعض القدماء قد ذكر أمثلة لـ (الصفة المشبهة) من غير الثلاثي ، لكن دون تصريح بجوازأخذها منه . من ذلك (مطرق) ، التي ذكرها سيبويه - كما تقدم ، و (منطلق اللسان) و (طمئن النفس)^(٦) ، و (مستقيم الحال) و (معتدل القامة)^(٧) ، إلخ .

(١) شرح ابن عقيل ١٤١/٢ .

(٢) تسهيل الفوائد ص ١٣٩ .

(٣) شرح التصريح على التوضيح ٨٢/٢ .

(٤) المحيط في أصوات العربية ص ٢٤٠ .

(٥) الواضح في علم الصرف ص ١٨٥ .

(٦) السيوطي ، الأشباه والنظائر ٢٤٥/٢ .

(٧) الأشموني ، شرحه ٤/٣ .

١ - لزوم فعل (الصفة المشبهة)

يمكن القول بأن الدارسين ، قدماء ومحديثين ، شبه مجتمعين على أن (الصفة المشبهة) إنما تؤخذ من (اللازم) . وليس هناك من شك في أن السواد الأعظم ، من أمثلة الدارسين على (الصفة المشبهة) ، يلحظ معه أن أفعاله لازمة .

ومع ذلك فقد ذكر بعض القدماء وبعض المحدثين أمثلة تعدّ أفعالها متعددة في المفهوم النحووي ، فقد أورد سيبويه^(١) ، على سبيل المثال ، في باب إعمال الصفة المشبهة ، (الأخرين) ، التي يستخدم فعلها الملحوظ (خسر) متعددياً ، وذكر الأشموني^(٢) (رحيمأ) و (عليما) على أنهما صفتان مشبهتان لفعلين متعددين ، هذا على الرغم من تعقيبه على ذلك بقوله : « فمقصور على السماع » ، وتعقيب الصبان^(٣) كذلك على التعقيب بقوله : « لا يتم إلا إذا أريد اللزوم أصلحة فقط » ، فمثل هذه الاحترازات ليست من القوة بحيث تنفي أن بعض أفعال (الصفات المشبهة) متعدّة . وذكر ابن هشام^(٤) الصفة المشبهة (مُفْتَحَة) ، التي فعلها الملحوظ متعدّة . كما هو معلوم .

وأورد بعض المحدثين (مهذب الطبع) و (منقى السريرة)^(٥) ، و (مجلة)^(٦) و (محجوب)^(٧) .

(١) الكتاب ٢٠١/١ .

(٢) شرح الأشموني ٣/٣ . هذا على الرغم من أن سيبويه (الكتاب ١١٥/١) عدّ (رحيمأ) و (عليما) مبالغة للفاعل .

(٣) حاشية الصبان ٣/٣ .

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٠٥ .

(٥) سامي عوض ، المورد في علم الصرف ص ١٧٢ .

(٦) فريد إسماعيل نعيم ، النحو والصرف في تصريف الأفعال والأسماء ص ٤٠ .

يضاف إلى ذلك كله أن لزوم الفعل لا يعني بالضرورة جواز وجود (صفة مشبهة) بلحظه ، فال فعل (ذهب) ، على سبيل المثال ، فعل لازم ، غير أنه لا يكون منه صفة مشبهة .

الإشارة هنا إلى أن بعض القدماء وبعض الحدثين أورد أمثلة لـ (الصفة المشبهة) التي يفترض أن أفعالها متعددة . هذه الإشارة ليست لأجل أن تأخذ هذه الدراسة بجواز صرخ (الصفة المشبهة) من المتعدد ، ولا لإثبات أن القدماء والحدثين قد قالوا بذلك ، بل ليقال إنه على الرغم من ورود مثل تلك الأمثلة - قديماً وحديثاً - وعلى الرغم من أن بعض اللازم لا تصاغ بلحظه الصفات المشبهة ، فقد كان القدماء والحدثون شبه مجمعين على شرط لزومية الفعل ، ذلك الشرط الذي لفت الانتباه إلى ما يتسم به معظم اللازم من الأفعال (وعلى الأخص أفعال الصفات المشبهة التي أوردها الدارسون المشار إليهم) ، تلك السمة التي قد توجد كذلك في غير اللازم . ولذلك فإن هذه الدراسة سوف تعمل على تفسير بعض الصفات المشبهة التي أفعالها متعددة ، وذلك استناداً إلى تلك السمة الأساسية التي ستجليها هذه الدراسة .

(اللزوم) ، إذاً ، ليس سمة مناسبة ولا مخصوصة للفعل الذي تصاغ الصفة المشبهة بلحظه .

٢ - دلالة (الثبوت) في (الصفة المشبهة)

سبقت الإشارة إلى شبه إجماع القدماء على أن (الصفة المشبهة) تفيد ، من بين ما تفيد ، ثبوت معناها في الموصوف .

دلالة (الثبوت) هذه أمر في حاجة إلى ترجيع نظر . لقد أشار بعض القدماء إلى أن (الثبوت) في معنى (الصفة المشبهة) غير مطلق ، فقد قال ابن مالك^(١) ،

(١) تسهيل الفوائد ص ١٣٩ .

على سبيل المثال : « ... وهي الملائمة فعلاً لازماً ثابتاً معناها تحقيقاً أو تقديرأً » ، فأشارته هنا إلى (التقدير) تنبئ عن إحساس بأن (الثبوت) في (الصفة المشبهة) قد يكون ، على الأقلَّ غير ظاهر . وهذا يعني في الواقع أن معنى (الثبوت) قد يكون غير ثابت .

وأظهر من كلام ابن مالك ، في التصرير بنسبيَّة معنى (الثبوت) ، قول الرضي الأسترابادي^(١) : « والذى أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدث في الزمان ليست أيضاً موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة ، لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيها عليهما ، فليس معنى (حسن) في الوضع إلا (ذو حُسن) سواء كان في بعض الأزمنة أو جميع الأزمنة . ولا دليل في اللفظ على أحد القيدين ... » وهو يرى أنه لا بدَّ من وقوع معنى (الصفة المشبهة) في زمان لا بعينه ، فكان الظاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قرينة التخصيص .

لعلَّ الصرفين يلحظون ، وهم يشيرون إلى معنى (الثبوت) ، تلك الصفات المشبهة التي يغلب - بطبيعتها - أن تكون ثابتة . وقد صرَّح الرضي الأسترابادي^(٢) بذلك (أي : بثبوت معناها) في فلة منها ، حين قال : « إنما يكثر الصفة المشبهة في (فعل) لأنه غالب في الأدواء والعيوب الظاهرة والخلوي ، والثلاثة لازمة في الأغلب لصاحها ... » هذه النسبة في ثبوت الانتصاف بهذه الفلة من (الصفة المشبهة) ظاهرة كذلك في قول الشيخ خالد الأزهري^(٣) : « ... سواء كانت وصفاً لازماً لا يمكن انفكاكه كـ (طويل الأنف) و (عریض الحواجب) و (واسع الفم) أم يمكن انفكاكه كـ (حسن الوجه) و (نقى النفر) و (طاهر العرض) ... » .

(١) الكافية في النحو ٢٠٥/٢ .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ١/١٤٨ .

(٣) شرح التصرير على التوضيح ٢/٨٠ - ٨١ .

هل يمكن ، بناء على هذا الذي تقدم ، اعتماد (الثبوت) أحد الضوابط المحددة لفهم (الصفة المشبهة)؟ إذا كانت فئة من الصفات المشبهة توحى - بطبيعتها - بمعنى (الثبوت) ، فليس يحسن بالضرورة جعل (الثبوت) أحد محددات هذا النوع من الصفات بكلّيّه ، خاصة إذا عرّفنا أن (الحدث) وارد حتى فيما يتعلق بتلك الفئة في ظروف أخرى .

أما إذا كان معنى (الثبوت) - عند القائلين به قياداً لـ (الصفة المشبهة) - هو ما أشار إليه الأزهري بقوله^(١) : « تكون للزمن الماضي المتصل بالزمن الحاضر الدائم كـ (حسن الوجه) دون الماضي المنقطع والمستقبل ، فلا يقال (حسن الوجه) أمس ولا غداً » ، فإن (اسم الفاعل) يشرك (الصفة المشبهة) في هذا المعنى الزمني . فحين يقال على سبيل المثال :

١ - هو قادم ، فـ (القدوم) بدأ في لحظة من لحظات الماضي المتصل بالحاضر . وعليه ، فإن هذا الفهم لمعنى (الثبوت) لا يصلح أيضاً ليكون من محددات (الصفة المشبهة) ، وكان لا بدّ من ضابط تفرد به ويمكن ، بلا تردد ، من عدم الوصف ضمن هذا النوع الذي نحن بصدد ضبط مفهومه .

هذا ، ولعلّ الأزهري قد استفاد - فيما ذهب إليه - مما ذكره السيوطي من أفهام بعض الأقدمين ، حين قال^(٢) : « وذهب السيرافي إلى أنها أبداً بمعنى الماضي ... وذهب ابن السراج والفارسي إلى أنها لا تكون بمعنى الماضي ، وهو اختيار الشلوبين ، قال : وسواء رفعت أو نصبت ، لأنك إذا قلت : مررت برجل حسن الوجه ، فحسن الوجه ثابت في الحال ، ولا تزيد مضيّاً ولا استقبلاً ... وقد جمع بعض أصحابنا بين

(١) السابق نفسه . ٨٢/٢ .

(٢) مع الهوامع . ٩٣/٥ .

قول السيرافي وقول ابن السراج بأن قال : لا يزيد السيرافي بقوله إنها للماضي أن الصفة انقطعت ، وإنما يزيد أنها ثبتت وقت الإخبار .

أما المحدثون ، فلم يتعدد بعضهم في الإشارة إلى نسبة (الثبوت) ، فقد نبه الشيخ الحملاوي^(١) على ذلك حين قسم الصفات الواردة في باب (فرح) - من حيث الثبات والزوال - إلى : ما يحصل ويسرع زواله ، كالفرح والطرب ، وما هو موضوع على البقاء والثبوت ، وهو دائر - عنده - بين الألوان والعيوب والخلوي ، كالحمراء والسمرة والحمق والعجمي والغيد والهيف ، وما هو في أمور تحصل وتزول لكنها بطبيعة الزوال ، كالراري والعطش والجوع والشبع . كذلك يشير الأستاذ شرف الدين علي الراجحي^(٢) إلى الصفات المشبهة التي تأتي على وزن (فعل - فعلة) - بكسر العين ، والتي تدل على الأعراض - يشير إليها على أنها ذات معان غير مستقرة ، كالحزن والفرح والضجر والأشر .

ليس من شك في أن بعض الصفات دال - كما يوضح د. فاضل السامرائي^(٣) - على الثبوت والاستمرار بطبيعته ، كالبكم والصمم والقطس والحوَر والسمرة والبياض والعور ، إلخ . غير أن حال كثير من الصفات ، التي تسلك في عداد (الصفة المشبهة) ، لا يصدق فيه هذا التحديد كما يوضح السامرائي^(٤) .

(الثبوت) ، إذا ، بمعانٍ المختلفة (وهي : الثبوت في الحال ، والثبوت على الدوام ، والثبوت النسبي) مسألة خلافية كما هو واضح ، (الثبوت) لا يعد ، بالنتيجة ، ضابطاً مناسباً لطبيعة هذا النوع من الصفات .

(١) شذا العرف في فن الصرف ص ٨١ .

(٢) البسيط في علم الصرف ص ٧١ .

(٣) معاني الأبنية في العربية ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) السابق نفسه ص ٩١ ، ٧٨ ، ٩٣ .

(الفاعل) التحوي و (نائه) ، ونوع الفعل المنسد

لو طُلب إلى النحاة ، عموماً ، إعراب الأسماء المخطوطة تحتها فيما يلي :

- ٢ - أ - غَور الكلب
- ب - سَوْد القدر
- ج - كَحْلَت العين
- د - تَعِب المسافر
- ه - جَبْنُ الجندي
- و - جَلُّ الخطب

لقالوا إنها كلّها فواعل ، على الرغم من أن كلّ اسم منها لم يقع الحدث الذي أنسد إليه ، ولم يكن تصرفاً له . إعراب النحاة لهذه الأسماء على الفاعلية إنما يرجع إلى طبيعة تعريفهم لـ (الفاعل) لا إلى كون مدلولات الأسماء السابقة المخطوطة تحتها فواعل حقيقة مُحدّثة للأفعال المسندة إليها . يقول ابن عيّش^(١) ، على سبيل المثال ، في تعريف (الفاعل) : « واعلم أن الفاعل في عرف النحوين كلّ اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم ... » . ويقول : « وبعضهم يقول في وصفه كلّ اسم تقدمه فعل غير مُغَيّر عن بنيته ... » . وعلى هذا ، فإن (الفاعل) - في اصطلاحهم - قد يكون فاعلاً حقيقياً (أي أن الفعل المسند إليه واقع منه وهو تصرف له) ، وقد يكون فاعلاً غير حقيقي ، أي فاعلاً شكلياً ، أي مجرد مسند إليه ، بدليل

(١) شرح المفصل ١/٧٤ . هذا ، وإن ما يقول به ابن عيّش في هذا الموضوع عن الفاعل ونائه يتزدّد صدّاه عند غيره ، بنظر مثلاً : الكافية في النحو ١/٧٠ - ٧١ ، والهميع ٢/٤٥٣ .

قول ابن يعيش : « ... وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم » ، فإنّا نجد الفعل إلى الاسم لا يعني ضرورة أن المنسد إليه فاعل حقيقي . من هنا يعجب المدقق لعدم عدّهم ما أطلقوا عليه (نائب الفاعل) فاعلاً (أي : شكلياً) ، فالتحاة - على الإجمال - لا يشترطون ، لإطلاق لفظ (فاعل) على المنسد إليه ، أن يكون (أي : المنسد إليه) فاعلاً حقيقياً مُحدّثاً لل فعل مُوقعاً له ، فإنّ ابن يعيش يصرّح ، في الموضوع السابق ، بذلك حين يقول : « إذ ليس من شرط الفاعل أن يكون موجوداً لل فعل أو مؤثراً فيه » ، ويقول : « وفي الجملة الفاعل في عرف أهل هذه الصنعة أمر لفظي يدلّ على ذلك تسميتهم إياه فاعلاً في الصور المختلفة من النفي والإيجاب والمستقبل والاستفهام ... » ، فإذا كان المنسد منفياً ، فذلك يعني أن لا فاعل لحدث ، إذ لم يقع حدث أساساً ، والمنسد المستقبل مثل ذلك . كان ينبغي ، إذًا ، أن يطلق على (نائب الفاعل) لفظ (فاعل) ما دام المنسد إليه قد يكون حقيقياً وقد يكون غير حقيقي ، فـ (نائب الفاعل) فاعل غير حقيقي على الرغم من الإسناد إليه . وإنّ ابن يعيش يصرّح في الموضوع نفسه بإمكان عدم (نائب الفاعل) فاعلاً ما دام لفظ (فاعل) يشمل الفاعل الحقيقي والفاعل الشكلي ، فهو يقول ، نصاً وردّاً على من خالف في المصطلحين لأجل التخالف المزعوم في بنيّة الفعل مع (الفاعل) وبنيته مع (نائب الفاعل) : « ولا حاجة إلى الاحتراز من ذلك (يقصد الاحتراز بعبارة : فعل غير مُغيّر عن بنيته) لأنّ الفعل إذا أُسند إلى المفعول نحو : (ضرب زيد) و (أكرم بكر) صار ارتفاعه من جهة ارتفاع الفاعل إذ ليس من شرط الفاعل أن يكون موجوداً لل فعل أو مؤثراً فيه » .

وعلى الرغم من دقة فهم ابن يعيش لشكلية المصطلح ، وطلبه توحيده ، فقد تحمل ظروف النظر في المسائل التركيبية (النحوية) أحياناً على إلحاق لفظ (فاعل) بوصف يشير إلى كونه فاعلاً حقيقياً أو فاعلاً شكلياً (غير حقيقي) ، فلا بدّ ، إذًا ، من أن نستعمل - كما حدث غير بعيد - مصطلحي (فاعل حقيقي) و (فاعل غير حقيقي)

حسب طبيعة الفعل المستند ، أو أن نستعمل مصطلح (مستند إليه) الذي يحتمل أن يكون فاعلاً وغير فاعل^(١) ، فيقال ، مثلاً : (مستند إليه فاعل = Agent - subject) ليكون المقصود أن المستند إليه فاعل حقيقي ، فلفظ (فاعل) في هذا الإطار ، لا يفيد إلا فاعلاً حقيقياً ، فإذا كان المستند إليه فاعلاً غير حقيقي قيل^(١) إما (مستند إليه معانٍ = Experiencer - subject) وإما (مستند إليه مجرّب Patient - subject) حسب طبيعة الفعل المستند . كما سبق - ، و (المجرّب) ، في التحليل النهائي ، معانٍ) .

لا بدّ ، إذاً ، من شيء تميّز به الأفعال التي يكون المستند إليه معها فاعلاً مُحدّثاً لل فعل وهو واقع منه وتصرف له ، تميّز به من الأفعال التي يكون المستند إليه معها غير فاعل (أي : معانياً أو مجرّباً) . ولا شكّ في أن التمييز بين نوعي الفعل من بن على التمييز بين نوعي المستند إليه الذي يقتضيه كلّ نوع فعلي . إن عبارة السيوطي ، على سبيل المثال ، شديدة الوضوح في تفاصيل نوعي الفاعل ، عند النحوة ، حين يقول^(٢) : « فالفاعل ما أُسند إليه عامل مفرّغ على جهة وقوعه منه ، أو قيامه به ». فعبارة « على جهة وقوعه منه » تساوي مصطلح (مستند إليه فاعل = Agent - subject) ، في حين تساوي عبارة « ... أو قيامه به » ، أي : وجوده فيه ، مصطلح (مستند إليه معانٍ / مجرّب = Patient / Experiencer - subject) . وعلى الرغم من أن النحوة ، على الإجمال ، خصّوا (المستند إليه - نائب الفاعل) بباب مستقلّ ، فإنه ، في الحقيقة وكما صرّح ابن يعيش - فيما سبق ، فاعل شكلي ، أي (مستند إليه معانٍ) . وهذا ما ستأخذ به هذه الدراسة .

see : DeMiller, Anna L. ; Syntax and Semantics of the Form II Modern Standard Arabic Verb, in : Al - Arabiyya, Journal of the American Association of teachers of Arabic; Vol. 21, No. 1 and 2 (1988); pp. 19 - 49.

(١) همع الهمامع ٢٥٣/٢ .

لقد مثلَ السيوطي لنوع الفاعل الأول (أي : الذي يقع منه الفعل ويكون محدثاً له) ، ولنوع الفاعل الآخر (أي : الذي وجد فيه الحدث) بما يأتي على التوالي :

٣ - أ - ضُرب زيد

ب - مات زيد .

ولعلَ هذا يثير التساؤل التالي : هل يصدق ما يتميّز على أساسه الفعل فيما تميّز به الأوصاف بعضها من بعض ؟ بعبارة أخرى : هل تحدّد الأفعال ، التي يكون المنسد إليها معها فاعلاً ، نوعاً خاصاً من الأوصاف ؟ وهل تحدّد الأفعال ، التي يكون المنسد إليها معها معانياً أو معانياً مجرّباً ، نوعاً خاصاً آخر منها ؟

لأجل تبيّن كلَّ هذا ، يجدر أولاً أن نتفحص كيف تحسّن الصرفيون والنحاة الاختلاف بين (الصفة المشبهة) ، من جهة ، والصفات الأخرى - وعلى الأخصّ (اسم الفاعل) ، من جهة أخرى .

(الصفة المشبهة) و (اسم الفاعل) و (اسم المفعول) : اتفاق و افارق في نظر القدماء

لقد فرقَ بعض القدماء^(١) بين (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) على أساس أن (اسم الفاعل) ينصب مفعولاً حقيقةً أوقع عليه فعل يأخذات مُحدث ، في حين تنصب (الصفة المشبهة) مفعولاً غير حقيقي بالمعنى السابق . غير أنهم لم يفرقوا بينهما - على نحو واضح - من حيث إنّه يفترض ، على سبيل المثال ، (باسم الفاعل) أن يصف ذاتاً ، إذا ما أُسند الفعل إليها كانت مُحدثة له وكان الفعل واقعاً منها ، ولا من حيث إنه يفترض بـ (الصفة المشبهة) أن تصف ذاتاً إذا ما أُسند الفعل إليها لم تكن مُحدثة له ولم يكن الفعل تصرفاً لها من حيث كانت هذه الذات معانية للفعل لوقوعه بها أو فيها .

(١) ينظر مثلاً : ابن السراج ، الأصول في النحو / ١٣٢ - ١٣١ .

وإذا كان بعض القدماء فرقاً^(١) بينهما من حيث مَنْعَ (اسم الفاعل) من جرّ فاعله في مثل :

٤ - زيد ضاربُ الأبِ عمرأً ،

واستحسن بعضهم^(٢) في (الصفة المشبهة) ذلك ، في مثل :

٥ - أ - زيد حَسَنَ الوجه

ب - زيد منطلق اللسان ،

فقد قرن ابن عقيل^(٣) بين (الصفة المشبهة) و (اسم المفعول) من حيث كان جرّ كلّ منها لفاعله (ومقصود هنا الجانب الشكلي من تعريف الفاعل ، كما سبق) جائزًا ، ومثل لاسم المفعول بال التالي :

٦ - زيد مضروبُ الأبِ ،

وقال : « وهو (أي : اسم المفعول) حيثذ جار مجرى (الصفة المشبهة) » .

إن اقتراحهما يكشف ، في الواقع وربما من حيث لم يذكر ابن عقيل ، عن علاقة وثيقة بينهما من حيث إنه إذا ما أُسند الفعل الملحوظ عند اشتراق كلّ منها ، إلى الموصوف بكلٍ ، فإن الموصوف لا يقع حينذاك فاعلاً حقيقةً ، فـ (وجهه) في :

٧ - زيد حَسَنَ وجهه

فاعل شكلي عند النحاة ، أي : مستند إليه غير مُوجَد لحدث ، وليس الحدث تصرفاً له .

عند إسناد الفعل (حسن) الملحوظ في صوغ الصفة المشبهة (حسن) ، كما في :

(١) ينظر مثلاً : شرح ابن عقيل ٢ / ١٤٠ .

(٢) السابق نفسه ، وابن هشام ، أوضع المسالك ٣ / ٢٤٧ .

(٣) شرح ابن عقيل ٢ / ١٤٠ .

٨ - زيد حَسْنَ وجَهُهُ ،

يقوم لفظ (وجهه) بالوظيفة ذاتها التي أداها في (٧) . ومثل هذا يقال في لفظ
(ماله) في مثل :

٩ - زيد مسلوب ماله .

إنه وإن سمي النحاة مثل (ماله) في (٩) ناتياً للفاعل ، فهو (أي : ماله) مستند إليه فاعل
شكلـي ، لأن (نائب الفاعل) ، عند النحاة ، مفعول في المعنى ، أي أنه مستند إليه غير موجود
حدث ، وليس الحدث تصرفاً له . هنا ، وإن الفعل الذي يلحظ - عادة - عند الاستيقاف (اسم
المفعول) هو (سُلِّب) ، وهو الذي يطلق عليه النحاة والصرفيون المبني للمفعول أو المبني لما لم
يسم فاعله . فإذا ما استعملنا الفعل (سُلِّب) مستندأً للفظ (ماله) ، كما في :

١٠ - زيد سُلِّب ماله ،

كان لفظ (ماله) مستندأً إليه غير فاعل أيضاً ، أي غير مُوجِد لحدث السلب ،
وليس الحدث تصرفاً له ، تماماً كالاسم الذي تستند إليه (الصفة المشبهة) أو الفعل
الملحوظ عند الاستيقافها .

بعض السمات الدلالية والنحوية للأفعال ، وصوغ (الصفة المشبهة)

بعض نواحي الانفاق والافتراق ، التي أشار إليها الصرفيون والنحاة ، بين (الصفة
المشبهة) وغيرها من الأوصاف المشتقة يتبَّع على خصيصة أو خصائص في الأفعال ،
التي تُلحَظ عند الاستيقاف ، غير خصيصة (اللزوم) المشروطة لصوغ (الصفة المشبهة) .
ولتبَّين هذه الخصائص يحسن تأمل الصفات المشبهة التالية ، المأخوذة مما أورده بعض
القدماء وبعض المحدثين ، ويمازئها أفعالها التي استُندَ ، في الأغلب الأعم ، إلى المعجم
الواسط في ضبط حركة عين ماضي ما كان منها ثلاثة :

ال فعل	الص فة	ال فعل	الص فة	ال فعل	الص فة
حَمْق	أَحْمَق	سَبِّير	أَسْمَر	جَرِب	أَجْرَب
حَوْل	أَحْوَل	رَعْنَان	أَرْعَن	نَكَد	أَنْكَد
زَرْق	أَزْرَق	جَرْد	أَجْرَد	جَبْنَان	أَجْبَنَان
شَهْب	أَشْهَب	خَشْنَان	أَخْشَن	مَال	أَمْيل
هَيْف	هِيَفَاء	شَاب	أَشْبَاب	حَمْرَاء	أَحْمَرَاء
عَجْز	عَجْزَاء	شَمْط	أَشْمَط	جَبَّاء	أَجْبَاء
شَبْبَان	شَبَّانَاء	غَلْبَان	أَغْلَبَان	عَوْرَاء	أَعْوَرَاء
حَرْص	حَرْبِص	حَورَان	أَحْوَرَان	صَلْعَان	أَصْلَعَان
شَقْم	سَقْيم	سَفْعَان	أَسْفَعَان	جَذْنَان	أَجْذَنَان
عَسْر	عَسِيرَان	حَدِيبَان	أَحْدَبَان	قَطْعَان	أَقْطَعَان
سَنْع	سَبْحَان	كَدْرَان	أَكْدَرَان	خَلْقَان	أَخْلَقَان
قَبْح	قَبْحَان	مَرْجَان	أَمْرَجَان	مَلْسَان	أَمْلَسَان
نَظْف	نَظِيفَان	قَعْسَان	أَقْعَسَان	كَحْلَان	أَكْحَلَان
ثَكْل	ثَكَلَان	غَلْبَاظَان	غَلِيظَان	صَبْحَان	صَبَحَان
شَبْع	شَبَّان	فَقْرَان	فَقْبَرَان	مَلْحَان	مَلِحَان
حَار	حَيْرَان	قَلْمَان	قَدِيمَان	وَسَمَان	وَسِيمَان
عَرْبِي	عَرْبَان	كَبِيرَان	كَبِيرَان	جَمْلَان	جَمِيلَان
يَقْظ	يَقْطَان	قَرْبَان	قَرِيبَان	دَمَان	دَمِيمَان
سَاء	سَئَان	كَثُرَان	كَثِيرَان	خَشْنَان	خَشِينَان
طَاب	طَيْبَان	مَهْنَان	مَهِينَان	وَضُؤَان	وَضِيءَان

ال فعل	الص فة	ال فعل	الص فة	ال فعل	الص فة
ضاق	ضيق	مضضم	مضيم	جَدَّ	جديد
لان	لَيْن	يَلِم	يَتِيم	قُصْرٌ	قصير
هان	هَيْن	ظَمِينٌ	ظَمَانٌ	خَفَّاً	خفيف
تبغ	تَابِعٌ	عَطِيشٌ	عَطْشَانٌ	بَؤْسٌ	بئيس
خَمَرٌ	خَامِلٌ	صَدِيٌّ	صَدِيَانٌ	بَرِئٌ	بريء
ظَهَرٌ	ظَاهِرٌ	غَرِيثٌ	غَرَثَانٌ	بَعْدٌ	بعد
صلب	صَلْبٌ	طَويٌّ	طَيَانٌ	بَهْجٌ	بهيج
حلا	حُلُوٌّ	غَضِيبٌ	غَضْبَانٌ	ثَقْلٌ	ثقيل
مرأة	مُرَأَةٌ	مَامٌ	هِيمَانٌ	رَمٌ	رميم
ملح	مِلْحٌ	عَجِيلٌ	عَجَلَانٌ	سَعْدٌ	سعيد
أرج	أَرْجٌ	جَاعٌ	جَوَاعَانٌ	سَفَهٌ	سفه
بطر	بَطْرٌ	عَجْزٌ	عَجُوزٌ	سَلَمٌ	سليم
جلذ	جَذْلٌ	شَحْطٌ	شَاحِطٌ	سَمِنٌ	سمين
فرح	فَرَحٌ	لَعْقٌ (ضم)	لَاحِقٌ	صَفَرٌ	صغير
سلس	سَلِسٌ	طَهْرٌ	طَاهِرٌ	ضَعْفٌ	ضعف
خش	خَشِنٌ	حَمْضٌ	حَامِضٌ	طَالٌ	طويل
سمج	سَمِيجٌ	فَحْمٌ	فَاحِمٌ	عَرِيضٌ	عر姊
وجع	وَجْعٌ	مَكْثٌ	مَاكِثٌ	عَقْمٌ	عقبم
غمص	غَمْصٌ	لَهْفٌ	لَهْفَانٌ	عَمْقٌ	عميق
سبط	سَبْطٌ	خَضْرٌ	خَضِيرٌ	تَعْبٌ	تعب

ال فعل	الصفة	ال فعل	الصفة	ال فعل	الصفة
حَيِّ، حَيٌّ	حَيٌّ	صَمِيقَ	صَمِيقَ	ضَجِيرٌ	ضَجِيرٌ
رَطْبٌ	رَطْبٌ	فَكَهُ	فَكَهُ	شَرِسٌ	شَرِسٌ
حَزَنٌ	حَزَنٌ	تَحِسَّ	تَحِسَّ	صَفَرٌ	صَفَرٌ
ضَخْمٌ	ضَخْمٌ	وَجْلٌ	وَجْلٌ	ضَعِيفٌ	ضَعِيفٌ
فَخُمٌّ	فَخُمٌّ	حَسْنٌ	حَسْنٌ	ذَبَحٌ	ذَبَحٌ
جَهَنَّمٌ	جَهَنَّمٌ	أَجَّ - بَؤْجَ	أَجَّ - بَؤْجَ	صَبَغٌ	صَبَغٌ
اعْدَالٌ	اعْدَالٌ	عَجَابٌ	عَجَابٌ	نَكِيدٌ	نَكِيدٌ
اسْتَقَامَ	اسْتَقَامَ	فَرَتَ	فَرَاتٌ	عَمِيٌّ	عَمِيٌّ
اشْتَدَّ	اشْتَدَّ	سَهْلٌ	سَهْلٌ	نَدِسٌ (أَدْقَ)	نَدِسٌ
تَدْحِرَجٌ	مُتَدْحِرَجٌ	عَذْبٌ	عَذْبٌ	(النظر)	حَزَنٌ
		نَهْدٌ	نَهْدٌ		أَسْفٌ
		جَهْدٌ	جَهْدٌ		أَثْيَرٌ
		وَعْرٌ	وَعْرٌ		أَثْيَرٌ

يراد هنا ، في الواقع ، تأمل الأفعال الواردة في القائمة السابقة ، والتي تلحظ عند صوغ الصفات الموضوعة بإزائهاها . إنها أفعال لا تدلّ على معنى يحدّثه المستند إليه ، ولا تدلّ على تصرف له . إنها تدلّ في الحقيقة - على (وضع state) في المستند إليه لا يدلّ له في إيجاده . الأوضاع المدلول عليها بهذه الأفعال موجودة في المستند إليه ، فهو منها (مُعَانٍ patient) . وهذا يعني أن الموصوف تستند إليه مثل هذه الأفعال لا على أنه فاعل حقيقي لها ، ولكن على أن المعنى في كلّ منها موجود فيه (أي : في الموصوف) .

هذا النوع من الأفعال هو ما يطلق عليه ، عند بعضهم^(١) ، (أفعال الوضع state verbs) ، وهي الأفعال التي تتطلب عادةً مسندًا إلى غير فاعل حقيقي ، أي أن المسند إليه معها (وهو عادةً المشار إليه بالصفة) مجرد مُعَانٍ ، وليس المعنى المدلول عليه بالفعل تصرفاً له (أي للمسند إليه) ولا صادرًا عنه ، ولهذا فقد أطلقت عليه الباحثة Anna L. DeMiller^(٢) (Patient - subject) .

وإنه وإن كان التحاة قد أطلقوا على مثل هذا النوع من المسند إليه مصطلح (الفاعل) ، فإنهم يدركون - كما اتضح سابقاً - أنه ليس فاعلاً حقيقةً بدليل تعريفهم للفاعل الاصطلاحي . بناءً على هذا ، فإنه وإن كانت الغالبية العظمى من أفعال هذا النوع لازمة ، بتعبير التحاة ، فليس مفهوم (اللزوم والتعدى) هو الأساس في تحديد (أفعال الوضع state verbs) ، فهو تأملاً ، على سبيل المثال ، الصفة المشبهة (تكلان) المدرجة في القائمة أعلاه لوجودها تصف الفاعل غير الحقيقي الذي يسند إليه فعلها الملحوظُ (تكل) ، وهو فعل متعدّد .

إن كلاماً من (أقطع) و (أجذم) صفة مشبهة ، كما تشير القائمة أعلاه . ولأجل أن يسلم القول بلزم فعلي هاتين الصفتين فقد ردّ الرضي الأسترابادي^(٣) الفعلين إلى وزن (فعل) المكسور العين والذي يعدّ لازماً من مادتهما ، لا إلى وزن (فعل) المفتوح العين والذي يعدّ متعدياً من مادة كلّ منها . هذا ، على الرغم من قوله بأن وزن (فعل) من مادتي الفعلين أنفسهما غير مستخدم إلا أنه ، وعلى نحو غير صريح ،

DeMiller (1988): pp. 24, 25, 26, 38 - 43

(١) ينظر :

(٢) السابق نفسه .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ١٤٥/١ .

يؤكّد على كون فعلى هاتين الصفتين لازمَن بعده الفعل الملحوظ ، عند صوغ كلّ منها ، على أنه الوارد في صيغة المبني للمفعول ، أي : (قطع) و (جذم) . وهذا يعني في التحليل النهائي أن كلاً من الصفتين يفيد معنى (المفعول) .

ان عدّ كلّ من الصفتين السابقتين من نوع (الصفة المشبهة) ليس بعيداً ، إذًا ، عن التحليل الذي تأخذ به هذه الدراسة من حيث إنّهما يصفان الفاعل غير الحقيقى الذى يُسند إليه كلّ من (قطع) أو (جذم) . وعليه فقد يكون من الغريب أنه لا يعلم أحد - فيمن قرئ لهم - يذكر مثل : (حبيس) و (جريح) و (قُتيل) و (كحيل) و (حبيب) و (طريح) و (أسيير) ضمن أمثلة (الصفة المشبهة) . لكن الشيخ الغلايىنى^(١) أورد معظمها ضمن أمثلة الأوزان التي تتواءب في معناها عن (المفعول) . بعبارة أخرى ، هو يجعل الأمثلة السابقة من أمثلة (اسم المفعول) .

على أنه يمكن للمتأنّى في حقيقة (اسم المفعول) أن يخرج بنتيجة مفادها أن الموصوف بـ (اسم المفعول) هو في الواقع فاعل شكلى غير حقيقي للفعل الذى نلحظه ، عند صوغ (اسم المفعول) ، ونقوم بإسناده إليه (أى : إلى الموصوف) . إن الفعل الملحوظ ، في سياق الحديث عن (اسم المفعول) ، هو الفعل الذى في صيغة ما لم يسمّ فاعله ، في تعبير النحاة والصرفين . وما لم يسمّ فاعله يسند عادة إلى ، ما أطلق النحاة عليه ، (نائب الفاعل) ، و (نائب الفاعل) ، كما سبقت الإشارة ، (فاعل) حسب تعريف (الفاعل) اصطلاحاً . هو فاعل شكلى غير حقيقي ، وعليه ، فليس هناك ما يمنع من عدّ الأوصاف السابقة من وزن (فَعِيل) - بمعنى المفعول - صفات مشبهة ، ذلك أننا إنما نلحظ (قُتيل) و (حُبَّ) ، على سبيل المثال ، في (قُتيل) و (حبيب) ، وهما فعلان يسند كلّ منهما إلى الذات الموسومة بكلّ من الوصفين السابقتين .

(١) جامع البروس العربى / ١٨٨/١ .

قد يقال هنا : ما دام الفعل الذي يجب لحظه - عند صوغ بعض الصفات المشبهة - هو ما لم يسمَّ فاعله ، فلِمْ يُشَكَّك في فكرة اللغوين القدماء القائلة بضرورة صوغ الصفة المشبهة من فعل لازم ، وخاصة أنه يمكن عدَّ مالم يسمَّ فاعله فعلاً ذا صيغة لازمة ؟ فـ (قتيل) ، على سبيل المثال ، لازم بصيغته هذه ، وخاصة إذا ما نظر إليها على أنها صيغة قائمة برأسها ؟

لا يقال ذلك ، أولاً ، لأن هناك من الأفعال ما هو متعددٌ إلى مفعولين كـ (كسا) و (منع) و (أعطي) ، فـ (اسم المفعول) من كل من هذه الأفعال تلحظ معه حقاً صيغة المبني للمفعول : (كُسي) و (مُنِع) و (أُعْطِي) ، على التوالي . غير أن هذه الصيغ تظلَّ ، من ناحية أخرى ، متعددة لما يطلق عليه (المفعول به الثاني) . فإذا كان كلَّ من (مكسو) و (منوح) و (معطى) يصف ذاتاً يسند إليها الفعل المبني للمفعول الملحوظ مع كلَّ وصف ، على أنه (معان patient) وفاعل غير حقيقي ، فإن الفعل المشار إليه مع كلَّ يظلَّ متعدداً .

ولا يقال ذلك ، ثانياً ، لأن هناك نوعاً آخر من الأفعال ، التي اتفق النحاة على أنها متعددة إماً لواحد وإماً لاثنين ، يسلك في عداد الأفعال التي تستند إلى ما ليس فاعلاً حقيقةً . إنها معدودة ضمن أفعال شبيهة - إلى حدٍ - بما أطلق عليه (أفعال الوضع state verbs) . هذه الأفعال الشبيهة هي التي يطلق عليها⁽¹⁾ (أفعال الإجراء process verbs) ، وهي أفعال قد تفيد التحول من وضع إلى آخر ، أو التجربة (= الخبرة Experience) . من هذه الأفعال⁽²⁾ : (سلا) و (سمِع) و (فهم) و (علم) و (عرف) . هذه الأفعال ، وما شابهها ، تدلَّ - في الواقع -

(1) ينظر مثلاً

DeMiller (1988); pp. 24, 25, 26, 30

(2) السابق نفسه ص ٣٠ .

على (وضع state) يكون فيه المسند إليه ، فلا يُعدَّ (أي : المسند إليه) معها فاعلاً حقيقياً ، ولكنه يكون (معانياً patient) (مجرباً experienter) . ولذلك سماها بعضهم^(١) (أفعالاً تجريبية = أفعال خبرة experience verbs) . مثل هذه الأفعال يدلّ على (حدث واقع happening) أو (تغير في الوضع change of state) إما بالوقوع في وضع (to get into a state) وإما بالصيرونة إلى وضع (to become into a state) . وعليه ، فإنه يمكن أن يضاف إلى الأفعال السابقة مثل : (رأى) ، و (صار) و (أصبح) و (أمسى) ، إلخ . و (تحول) و (حال) و (استحال) ، إلخ .

إن المسند إليه مع مثل هذه الأفعال ، لا يمكن أن يكون فاعلاً حقيقياً (agent) ، بل هو - كما سبق - (معان مجرب) . وعليه ، فإن (عالماً) و (فاهماً) و (رأيناً) و (سالياً) صفات مشبهة ، وإن جاءت على وزن (فاعل) الذي يقع عليه أيضاً وصف (الفاعل) . فكلَّ من هذه الأوصاف يسم ذاتاً غير موجودة ، إذا ما أُسند إليها الفعل المناسب ، لحدث (العلم) أو (الفهم) أو (الرؤيا) أو (السلو) ، على التوالي ، ولكنها ذات منفعة بالحدث معانية له ومجربة ، فـ (العلم) على سبيل المثال ، حدث يقع للذات ويُسند إليها لا يأخذانها ولا يتصرفانها . وعليه ، صح أن نعد كذلك مثل (عليم) و (سميع) و (رحيم) و (فهم) ، إلخ . صفات مشبهة ، تماماً كما عد بعضها كذلك الأشموني^(٢) ، في حين عد سيبويه^(٣) بعضها أمثلة للمبالغة مما قد يفسر على أنه هروب من عدتها صفات مشبهة استناداً إلى أساس غير مصرح به عنده ، وهو أن الصفة المشبهة لا تكون من متعدد . ولا أظن أن عدَّ بعض هذه الأوصاف للمبالغة

(١) السابق نفسه ص ٣٠ .

(٢) شرح الأشموني ٣/٣ .

(٣) الكتاب ١/١١٥ .

كان منه محاولة للتفريق - كما قد يتadar - بين نوعين من (المبالغة) في وقوع الحدث من فاعله الحقيقي ، أي : (مبالغة الفاعل الحقيقي) كما في (جزار) و (رحالة) و (معطار) ، والتي هي صفات مبالغة لفاعل حقيقي متصرف أو محدث ، و (المبالغة) في وقوع الحدث بالفاعل غير الحقيقي أو عليه ، أي بـ (المعانى المحرب) ، كما في (قدوس = الطاهر المتزه) و (فهمامة) و (علامة) و (كبار) . إن الأفعال التي تلحظ مع الصفات السابقة لمبالغة الفاعلين الحقيقيين هي (جزر) و (رحل) و (عطر) ، وهي أفعال تدل على تصرف وإرادة للنوات التي تسند إليها ، فالمسندة إليها معها فاعل حقيقي ، والصفات مبالغة لفاعلين حقيقيين . أما الأفعال الملحوظة مع صفات مبالغة الفاعلين الشكليين غير الحقيقيين ، أي : مبالغة المعانين ، فهي : (قدس) و (فهم) و (علم) و (كبير) ، وهي لا تدل على تصرف وإرادة للذات فيما أسند إليها ، فالمسندة إليها معها فاعل غير حقيقي ، والصفات ليست لمبالغة فاعلين حقيقيين .

من هنا لم يكن من المناسب أن تسلك الأمثلة التي ساقها الشيخ الغلايني⁽¹⁾ للمبالغة على أنها كلها (مبالغة اسم الفاعل) ، كما عنون لها . إن بعض ما ذكره من صفات يصدق فيه حقاً أنه مبالغة لاسم الفاعل كـ (شروب) ، لكن معظم ما ذكره ليس كذلك ، فإذا ما أخذنا بمفهوم (الصفة المشبهة) ، الذي اعتمدته هذه الدراسة ، لم يكن (اسم الفاعل) إلا ذلك الوصف الذي يدل على معنى وقع من الموصوف وكان تصرفاته .

هذا ، وليس يصح - في بعض الأحيان - صوغ (الصفة المشبهة) من الفعل وإن كان لازماً ، فالفعل (مشى) ، على سبيل المثال ، لا تؤخذ بلحظة صفة مشبهة ، فهو ، وإن كان لازماً ، يدل على (تصرف وحركة) . هذا الفعل ، وكل ما كان على شاكلته ، لا يكون منه إلا اسم للفاعل ، وهو (ماش) .

(1) جامع الدروس العربية / ١٩٨/١ .

وإذا ما عُدَى اللازم صلح لأن يشتق - بلحظه - اسم للفاعل دالٌ على المحدث المتصرف ، وصفة مشبهة دالة على (المعاني) ، فيقال بلحظ الفعل (مشي) - معدى بـ (إلى) - (ماشي إلى ...) - وصفاً للفاعل المتصرف - ويقال ، بلحظه معدى كذلك ، (مشيٌ إليه) - وصفاً لـ (المعاني) المفعول ، (أي صفة مشبهة) .

وعلى هذا ، فإن كل فعل دالٌ على (تصرف action)^(١) أو (حركة motion)^(٢) مثل (مشي) ، لا يؤخذ منه - بلحظ ما دعاه النحاة والصرفيون (المبني للفاعل) - إلا اسم الفاعل (ماشي) أو مبالغة اسم الفاعل (أي : الفاعل الحقيقي) (مشاء) . وإن كل فعل دالٌ على (وضع) أو على (تحول إلى وضع) أو (تجربة لوضع) - بما في ذلك صيغتا المبني للفاعل والمبني للمفعول - لا يؤخذ منه إلا (الصفة المشبهة) أو (مبالغة الصفة المشبهة) ، أي لا يؤخذ منه إلا وصف (المعاني) أو (الغرب) ، وهما فاعلان غير حقيقين مثل (كبير) و (عالٌ) أو (مبالغة المعاني) أو (الغرب) مثل (كبار) و (عاليٌ وعالٌ) .

يضاف إلى هذا أن العربية لا تخلو من أفعال - بصيغة واحدة في الماضي الذي لا نفتأت تأمله عند كل استئناف - يقع المستند إليه معها فاعلاً حقيقياً ، أحياناً ، ومعانياً أو معانياً محرياً (أي : فاعلاً غير حقيقي) ، أحياناً أخرى . من هذه الأفعال : (عزَّ) بمعنى : غالبٌ وقهْرٌ ، وبمعنى قويٌ وبريءٌ من الذلّ - مثلاً ، و (أَمِنَ) بمعنى : جعل (شخصاً) آمناً (على شيء) ، مثلاً ، وبمعنى اطمأنَ ولم يخفَ ، و (شدَّ) بمعنى : قويٌ ، وبمعنى : قويٌ ومُتنٌ ، وغير هذا كثيرٌ كثير . مثل هذه الأفعال تكشف بالاستعمال

DeMiller (1988); pp. 26 - 29

(١) بنظر مثلاً :

(٢) السابق نفسه ص ٢٨ .

عن سمتين : سمة الدلالة على (وضع state) ، فتكون من فئة أفعال الوضع state verbs ، وسمة الدلالة على (تصرف action) أو (حركة motion) ، فهي من زمرة أفعال التصرف أو الحركة action / motion verbs .

ليس غريباً ، إذاً ، أن نرى صفات مشتقة قد صيغت بلحظ الجانب الذي يكون معه الفعل مسندًا إلى (المعاني) أو (المعاني المجرّب) . صفات مثل (عزيز) أو (أمين أو آمن أو شديد) ، بلحظ الأفعال السابقة على التوالي ، إنما هي صفات مشبّهة لأنها تصف (المعاني) صاحب الوضع الذي يدلّ عليه معنى الفعل أو الوصف .

وعلى الرغم من أن (أميناً) يصلح صفة مشبّهة تسم (المعاني) ، وهو فاعل غير حقيقي ، فإنه يصلح أيضاً أن يكون اسمًا للفاعل ، أي وصفاً يسم الفاعل الحقيقي ، بلحظ الجانب الآخر لل فعل (أمين) الذي يسند أيضاً إلى فاعل حقيقي . وإذا ما أردنا وصف الفاعل الحقيقي من كلّ من (عزًّ) و (شدًّ) كان الوصف على زنة (فاعل) ، أي : (عازًّ) و (شادًّ) . هذا الوصف الذي على زنة (فاعل) قد يصلح - بلحظ أفعال كال المشار إليها سابقاً - اسمًا للفاعل (أي : وصفاً للفاعل الحقيقي) وصفة مشبّهة (أي : وصفاً للمعاني) . من هنا وبلحظ الفعل الدالّ على (تصرف) ، سواء أكان من الأفعال ذات الوجهين الدلاليين أم كان من غيرها ، تصاغ الصفة المشبّهة ساعتمد على وزن ما يطلق عليه (اسم المفعول) .

وكما أن وزن (فاعل) يصلح أحياناً وصفاً للفاعل الحقيقي وصفة مشبّهة ، حين يكون الفعل الملاحظ - كما سبقت الإشارة - ذا وجهين دلاليين فيما يسند إليه ، فإن وزن (فعل) قد يصلح أيضاً ليفيد وصفاً للفاعل الحقيقي ، ووصفاً لفاعل شكلي معان . فال فعل (حفظ) ، على سبيل المثال ، يسند إلى مزيد متصرّفٍ واقع منه المحدث ،

حين يكون بمعنى (صان وحرس) ، مثلاً ، ويستند إلى فاعل شكلي مُعَان لا يدل له في إيجاد حدث (الحفظ) ، حين يكون بمعنى (وعي) من حيث كان (الوعي) كالعلم يقع للشخص من غير أن يُحدِّث نفسه . وعليه فإن الوصف (حفيظاً) يمكن أن يفسرَ اسماً للفاعل ، ويمكن أن يقول صفة مشبهة بحسب السياق الذي يرد فيه . ولعلَّ هذا الوصف قد ورد في القرآن الكريم بالمعنى الأول في :

١١ - ﴿ وَمَنْ تَوَلَّ ، فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾^(١) .

وفي غيرها من الآيات ، وبالمعنى الآخر في :

١٢ - ﴿ ... اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ ﴾^(٢) .

وفي غيرها من الآيات ، أي : ﴿ أَمَّنْ أَحْفَظَ مَا تَسْتَحْفِظُنِيهِ ﴾^(٣) ، إذ (الحفظ) هنا لا يقع بإحداث الموصوف و فعله ، وليس واقعاً منه على سبيل الفاعلية الحقيقة .

ومثل ذلك يقال في الوصف المصور على وزن (فعيل) ، وهو (ظهير) . فقد ورد دالاً على الفاعلية الحقيقة في الآية الكريمة :

١٣ - ﴿ ... وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾^(٤) .

وفي غيرها ، استناداً إلى أحد تفسيراته^(٥) ، إذ المعنى هو (مُعين مُظاهر) . وورد في آية أخرى دالاً على الفاعلية الشكلية للسعاني ، هي :

(١) سورة النساء ، آية ٨٠ .

(٢) سورة يوسف ، آية ٥٥ .

(٣) الرمذاني ، الكشاف ٤٨٢/٢ .

(٤) سورة سباء ، آية ٢٢ .

(٥) الرمذاني ، الكشاف ٥٧٩/٣ .

١٤ - ﴿... وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَاهِرًا﴾^(١).

على أنه في بعض تفسيراته^(٢) بمعنى (هَبَنْ وَمَهِينْ).

إن القائمة السابقة للصفات المشبهة ، ويإزائها أفعالها التي ربما تلحظ عند الاستيقاظ ، تدل إذا بطبيعتها على (وضع) يكون عليه ما تستد إلىه أفعالها ، ولا يكون لهذا المستند إليه يد في إحداثها ولا تصرف . أما الأفعال التي تدل على (إجراء process) ، فإنها لا تختلف في كثير من (أفعال الوضع) ، كما سبق . فإنه وإن كان بعضها (أي : أفعال الإجراء) يسلك في عداد (المتعدّي) ، فإنه لا يد ، لمن أو ما تستند إليه ، في إيجادها ولا تصرف . هاتان الدلالاتان العامتان لهذين النوعين من الأفعال ليستا مقصوريتين على الأفعال المجردة الثلاثية ، بل إن كثيراً من أفعال مزيد كل من الثلاثي وغير الثلاثي يشرك نوعي الأفعال السابقة من الثلاثي (أقصد أفعال الوضع وأفعال الإجراء) تبعك الدلالتين العامتين ، ف (أزْهَرَ) ، و (اكْتَمَلَ) و (اشْتَدَّ) ، و (انْكَسَرَ) ، و (نَقْطَعَ) ، و (تَقَارَبَ) ، و (احْمَرَ) ، و (اخْضَارَ) ، و (استقامَ) ، و (نَدْحَرَ) ، و (اقْشَرَ) - على سبيل المثال - أفعال تدل على (وضع) فيما تستند إليه . وعليه ، يكون الوصف المأحوذ من كل من الأفعال السابقة وما ماثلها صفة مشبهة ، أي : صفة لفاعل شكلي معان ، ولا تكون الصفة المشبهة من هذه الأفعال ، وما ماثلها ، إلا على وزن ما يطلق عليه (اسم الفاعل) الذي يؤخذ من أفعال دالة على (تصرف) أو (حركة) ، كما أوضح سابقاً .

(١) سورة الفرقان ، آية ٥٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣/٢٨٧ .

الصفات المشبهة ، من هذه الأفعال المذكورة أعلاه ، هي إذاً على التوالي : (مزهر) و (مكتمل) و (مشتد) ، و (منكسر) ، و (متقطّع) ، و (متقارب) ، و (محمر) ، و (مخضار) ، و (مستقيم) ، و (متدرج) ، و (مقشر) .

وعلى ما يذكر السيوطي ^(١) ، فقد عدَ بعضهم (الضامر الكشح) و (مطمئن القلب) و (معتدل القامة) ، كما عدَ غيرها ^(٢) ، « أسماء فاعلين قصد بها الثبوت فعولت معاملة الصفة المشبهة لا أنها صفات مشبهة ». هذا الحكم يتسم بعدم التدقير ، وإن كان يكشف عن حيرة وإحساس غامض بأن مثل هذه الصفات ، التي صفت على أوزان ما يسمى بـ (اسم الفاعل) تدلّ على ما تدلّ عليه الصفات المشبهة عموماً . هذه الحيرة وذلك الإحساس الغامض أبرزتهما فكرة (الثبوت) المزعومة المدلول عليها - في أنظار الصرفين القدماء وكثير من المحدثين - بالصفات المشبهة .

لا محلّ ، في الواقع ، لفكرة (الثبوت) وفكرة (التجدد والحدث) في التفريق بين الصفة المشبهة وغيرها ، كاسم الفاعل واسم المفعول . الأساس في التفريق هو ما تقرّر ، فيما مضى من مناقشة لدلالة الفعل إما على (وضع) وإما على (إجراء) وإما على (تصرف) أو (حركة) ، وفيما تقرّر كذلك من ضرورة إخلاص مصطلح (اسم الفاعل) لما كان وصفاً لفاعل حقيقي (أي : لفاعل مرید متصرف وموجد للحدث) . أما أوزان ما يطلق عليه (اسم الفاعل) فتشكل بين أوصاف الفاعلين الحقيقيين (أي : أسماء الفاعلين بالتفصيص المقترن لهذا المصطلح) وأوصاف الفاعلين الشكليين المعانيين (أي : الصفات المشبهة) .

(١) همع الهوامع ٥٨/٦ .

(٢) شرح الأشموني وحاشية الصبان ٤/٣ .

أما ما كان من غير الثلاثي دالاً على (تصرّف) أو (حركة) ، فإن الصفة المشبهة لا تكون - بلحظه - إلا على وزن ما يسمى بـ (اسم المفعول) . فال فعل (يُنتظَر) ، على سبيل المثال ، فعل دالٌ على معنى يقع بتصريف وإرادة من المسند إليه ، ولذلك يكون لفظ (منتظَر) - بكسر الظاء - وصفاً للفاعل الحقيقي ، فهو اسم للفاعل ، ويكون (منتظَر) - بفتح الظاء - وصفاً للمعاني من حدث واقع من مُحدِث متصرف ، أي وصفاً للفاعل الشكلي الذي أطلق عليه النحاة مصطلح (نائب الفاعل) . (منتظَر) - بفتح الظاء - إذاً صفة مشبهة وإن كانت على زنة ما يطلق عليه (اسم المفعول) .

بين أفعال الوضع وأفعال الإجراء

سبقت الإشارة إلى أن (أفعال الإجراء process verbs) تدل في التحليل النهائي على (وضع) يوجد في المسند إليه ولا يدل له في إحداثه ، وإلى أن هذه الدلالة هي ما يقوم به أيضاً ما اصطلاح عليه بـ (أفعال الوضع state verbs) .

على أن هناك ما تميّز به أفعال الوضع من أفعال الإجراء . فال الأولى لا ترد في صورة ما يطلق عليه (المبني للمفعول) ، إذ إن بناء الفعل ، إجمالاً ، للمفعول . كما يقولون - يجعله دالاً على (وضع) . ولما كانت أفعال الوضع دالة ، في الأساس ، على ذلك ، لم يكن من الممكن بناؤها للمفعول . أما الأفعال الأخرى (أي : أفعال الإجراء) ، التي تفيد من ضمن ما تفيد - التحول من (وضع) إلى آخر ، فإنها يمكن بناؤها للمفعول . وهذا قد يحمل على الظن بأنها أفعال مختلفة من حيث صوغ الصفات المشبهة منها . والصحيح أنها من هذه الناحية غير مختلفة ، وذلك لأن فعل الإجراء يدل - وهو في صيغة ما يطلق عليه (المبني للمفعول) - على (وضع) في (المسند إليه المجرِّب Experiencer - subject) ، والذي هو فاعل غير حقيقي . كما تكرر تقرير ذلك ، فـ (علم) الذي يفيده الفعل (علم) ، على سبيل المثال ، في :

١٥ - علم المساهمون موقف الشركة المالي

قائم في المسند إليه (المساهمون) موجود فيه . لكن هذا الفعل ، وغيره من هذا النوع ، يدلّ - وهو في صيغة المبني للمفعول - على (وضع) في (المسند إليه المعناني Patient - subject - بتعبير النهاة) ، إذ (العلم) واقع عليه . ولا عجب ، فقد كان قبل بناء الفعل للمفهوم (مفعولاً به معانياً Patient - object) .

المسند إليه ، إذاً وقبل بناء فعل الإجراء للمفعول وبعد بنائه ، فاعل غير حقيقي . ولذلك جاز بناء (أفعال الإجراء) للمفعول لأنها يمكن أن تدلّ بعد بنائهما على (وضع) ، فيما تسند إليه ، غير الوضع الذي تدلّ عليه في المسند إليه ، قبل بنائهما ، كما أن المسند إليه في كل الحالين مختلف أيضاً .

وما يؤكّد أن جواز بناء (أفعال الإجراء) للمفعول وعدم جواز ذلك في (أفعال الوضع) غير معتبرين في التفريق بين هذين النوعين من الأفعال ، أن تعددية الفعل (علم) ، مثلاً ، بـ (التضعيف) ليصير (علم) فيدلّ على (الجعل والتسبيب causativisation) ، هذه التعددية (transitivisation) تجعل^(١) ما كان مسندأ إليه مجرّباً مفعولاً أول ، أي مفعولاً به معانياً ، وتجعل ما كان مفعولاً به معانياً مفعولاً ثانياً معانياً ، وتأتي التعددية باسم آخر جديد ليقوم بوظيفة الفاعل الحقيقي .

هذا الذي يحدث عند تعددية فعل من (أفعال الإجراء) يقع عند تعددية فعل من (أفعال الوضع) ، فما كان مسندأ إليه معانياً ، قبل التعددية بالتضعيف ، يتحول ، بعدها ، إلى مفعول به معان ، كما في (عطيش ← عطش) ، ويؤتى باسم آخر جديد ليقوم بوظيفة المسند إليه الفاعل الحقيقي .

DeMiller (1988) : pp. 26, 30 - 31

(١) ينظر :

أما الأفعال الدالة على (تصريف) أو (حركة) ، من ناحية أخرى ، كـ (كتاب) فإن ما يكون (مسندًا إليه فاعلاً حقيقةً - subject) ، قبل تعددية الفعل على النحو السابق بالتضعيف ، أي : (كتاب) ، يظل كذلك بعد التعدية ، أي يكون فاعلاً للكتاب ، قبل التعدية ، ويظل فاعلاً لكن للجملة والسبب ، بعدها .

من هنا كان لفظ (كاتب) ، مثلاً ، وصفاً لفاعل حقيقي ، في حين كان لفظ (عالم) ، مثلاً ، وصفاً لغير الفاعل . ومن هنا كذلك كان كلّ وصف دالّ على مسند إليه غير فاعل (أي : على معانٍ أو معانٍ مُجرّب) ومصوّغ على وزن (فاعل) أو وزن (اسم الفاعل) من غير الثلاثي - كما يقول الصرفيون . كان هذا الوصف من نوع (الصفة المشبهة) .

تقرير الاختلاف بين (الصفة المشبهة) و (اسم الفاعل)

كثير من التوصيفات التي وضعت لكلّ من (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) تلحّ على مسألة مدى مشابهة كلّ للمضارع ، وعلى فكرتي (الحدث) و (الثبت) ، وعلى لزوم الفعل الملحظ عند الصوغ . كما تلحّ كتب النحو ، المعنية عادة بالتركيب ، على عمل كلّ وعلى كيفية وروده في التركيبات الجملية . لكنّ القليل من هذه التوصيفات يشير إلى طبيعة الموصوف بكلّ . وهذا القليل لا يدقّق ، مع ذلك ، في طبيعة الموصوف بحيث يتميّز الموصوف بما يطلق عليه (اسم الفاعل) من الموصوف بـ (الصفة المشبهة) .

يقول ابن الحاجب^(١) في تعريف الصفة المشبهة : « ما اشتقت من فعل لازم من قام به على معنى الثبوت »^(٢) ، ويقول^(٣) في تعريف اسم الفاعل : « ما اشتقت من فعل

(١) الكافية في النحو ٢٠٥/٢ . ومن الغريب أنّه لا يرد للصفة المشبهة تعريف في شرح شافية ابن الحاجب على الرغم من اختصاص هذا الكتاب بأسئلة الصرفية .

(٢) وينظر في تعريف مقارب يورد عبارة مماثلة للمخطوطة تحتها أعلاه : الشيخ الغلائيني ، جامع الدروس العربية ١٨٩/١ .

(٣) الكافية في النحو ١٩٨/٢ .

لمن قام به بمعنى المحدث^(١) . ويراد هنا التوقف عند العبارة المخطوطة تحتها في التعريفين . أما بقية ما ورد فيها (أي في التعريفين) ، فقد أشير إليه وتمت مناقشته في بدايات هذه الدراسة ، وكذلك في أثناها .

ويعقب الرضي الأسترابادي^(٢) على العبارة المخطوطة تحتها في تعريف اسم الفاعل قوله : « الضمير في قوله (من قام) راجع إلى الفعل ، والقائم هو المصدر والحدث » . وهذا يعني أن الضمير المتصل في (به) يعود إلى الموصول (من) ، أي على الموصوف ، وعليه يكون تقدير العبارة كالتالي : (من قام الحدث به) . لكن هذا التفسير قد لا يتسم بالتدقيق ، ذلك أن قيام الحدث بالموصوف لا يعني بالضرورة أن الموصوف فاعل حقيقي للحدث ، أي لا يعني أن الحدث قد يكون واقعاً من الموصوف وأنه تصرف له . هذا ، ولا يعقب الرضي الأسترابادي بشيء مماثل على العبارة المخطوطة تحتها في تعريف ابن الحاجب للصفة المشبهة ، وهي عبارة مطابقة في التركيب لما ورد في تعريفه لاسم الفاعل . فإذا جعلنا تعقيب الرضي السابق يصدق في الصفة المشبهة ، أمكن الاستنتاج بأن مدلول اسم الفاعل ، عند ابن الحاجب في نظر الأسترابادي ، هو عين مدلول الصفة المشبهة ، وأن لا فرق إلا في الأمور المتعلقة بلزوم الفعل ، وبالثبوت والحدث . فإن كان الأمر كذلك ، كان من الختم الإشارة إلى ما في هذا الفهم من عدم التدقيق ، فالتعريف الاصطلاحي للفاعل ، عند النحاة ، يشتمل على جانب الإرادة والتصرف والإيجاد من المستند إليه ، وعلى جانب عدم الإرادة وعدم التصرف منه ، كما سبق الذكر .

(١) وينظر في تعريف مقارب يورد عبارة مماثلة للمخطوطة تحتها أعلاه : ابن هشام ، شنور الذهب ص ٣٨٥ ، وجامع الدروس العربية ١٨٢/١ ، وشذا المعرف في فن الصرف ص ٧٧ .

(٢) الكافية في النحو ١٩٨/٢ .

إن من الممكن تحديد مراجع الضمائر ، في تعريف ابن الحاجب لكلّ من (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) ، على نحو معاكس لتحديد الأستراباذي لمراجعتها ، فيعود المستر في (قام) إلى الموصول (من) ، ويعود المتصل في (به) إلى الحدث والفعل . فإذا ما أخذنا بهذا التفسير في كلا التعرفيين كان تقدير العبارة كالتالي : (لن قام بالحدث) ، أي : لمن أوقعه وكان تصرفًا له . وهذا يعني أيضًا أن مدلول كلّ من (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) واحد ، وهو الموصوف المتصرف والمحدث . وفي هذا ما فيه كذلك من عدم تدقيق ، ذلك أن (الصفة المشبهة) - كما تبين - إنما تسم الفاعل الشكليَّ غير المتصرف وغير المحدث .

ويقى بعد ذلك كلّه أن يُحسن الظنَّ ويعاد الضمير الأول ، في تعريف اسم الفاعل ، إلى الموصول (من) ، والضمير الثاني المتصل إلى الحدث (ال فعل) ، في حين يُعكس الأمر في تعريف (الصفة المشبهة) .

على أن بعض التعريفات الحديثة لـ (اسم الفاعل) أشار إلى طبيعة الموصوف من الجانبيين اللذين حرص النحاة على إبرازهما في تعريفهم للفاعل الاستلامي ، وهمما كون المستند إليه إما فاعلًا حقيقياً وإما فاعلًا شكليًا غير حقيقي (= معانياً) ، في حين قصر بعضهم (الصفة المشبهة) على جانب واحد حسبُ هو كون المعنى ، المدلول عليه بها ، قائماً بالموصوف لا على سبيل الإيجاد والتصرف . فقد ذكر كلّ من الشيخ الحسلاوي^(١) والشيخ الغلايني^(٢) أن (اسم الفاعل) هو ما اشتقتْ لمن وقع منه الفعل أو تعلق به (= قام به ، أي : وجد فيه) . في حين ذكر الأخير^(٣) أن (الصفة المشبهة) تدلّ على « معنى قائم بالموصوف بها » .

(١) شذا العرف في فن الصرف ص ٧٧.

(٢) جامع المروض العريبة ١٨٢/١ .

(٣) السابق نفسه ١٨٩/١ .

هذا الذي أشير اليه من بعض التعريفات المحدثة يدو أكثر تدقیقاً وقرباً من التصور الصحيح للموصوف بكلّ من (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) . ولأجل أن يتنهى التداخل في طبيعة الموصوف بكلّ منها ، لا بدّ أن يتوقف الحديث عن جانب الفاعلية الشكلية في تعريف (اسم الفاعل) ، فيخصص للدلالة على الفاعلية الحقيقة في الموصوف ، وتختصّ (الصفة المشبهة) - بطبعتها - بالدلالة على الفاعلية الشكلية (= المعاناة) في الموصوف .

إن توسل بعض القدماء بفكرة (الثبوت) وفكرة (الحدث) ، لتفسير مجيء بعض الصفات على وزن (فاعل) ، كان بادي القلق ، فلقد رأى الرضي الأسترابادي^(١) أنه إن جاء الوصف على وزن (فاعل) ، ولم يكن معنى (الحدث) ، اعتنِر بأن « قصد الاستمرار فيه عارض » ، فوضع - في نظره - على وزن (فاعل) ، ورأى أيضاً أنه إن أريد بـ (الصفة المشبهة) معنى (الحدث) حملت على وزن (فاعل) ، واحتَجَ على هذا بقوله تعالى ﴿... وَصَائِقَ بِهِ صَدْرُكَ﴾^(٢) .

هذا القلق ، بل الخلط ، لا يتوقف إلا بالأخذ بالمفهوم المنضبط السابق لكلّ من (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) ، وإنّ بالأخذ كذلك بضوابط صوغ كلّ . وعليه ، فلا يكون كلّ من (صائق) ، الوارد في جزء الآية السابق ، و (ضيق) إلا صفة مشبهة ، وعليه أيضاً يزول الخلط بين (اسم الفاعل) و (الصفة المشبهة) فيما ذكره الأسترابادي من أمثلة ، جاءت على وزن (فاعل) ، وقال إن الاستمرار فيها عارض ، وهي : (الله عالم) و (كائن) ، و (زيد صائم النهار) و (قائم الليل) ، فكلّ من (عالم) و (كائن) صفة مشبهة ، في حين يقع كلّ من (صائم) و (قائم) في حيز

(١) الكافية في النحو ١٨٩/٢ .

(٢) سورة هود ، آية ١٢ .

(اسم الفاعل) ، فـ (العلم) وـ (الكينونة) حدثان يدلان على (وضع) لا يد لل موضوع به ، فهو فاعل غير حقيقي ، أي : معان^(١) ، في حين نجد فعلي (الصيام) وـ (قيام الليل) لا يُسندان إلا إلى موقع للحدث .

ليس مرد الفرق ، إذا ، إلى أن (الصفة المشبهة) لا تصاغ إلا من اللازم ، ولا إلى أنها تقيد (الثبت) ، وليس مرد الفرق كذلك إلى أن (اسم الفاعل) يصاغ من اللازم والمتعدّي ، ولا إلى أنه يفيد (الحدث والتجدد) . الفرق الحقيقي والواقعي بينهما هو أن (اسم الفاعل) يصف ذاتاً فاعلة ، أي ذاتاً يقع الحدث منها ويكون تصرفاً لها ، فهي موجودته . ومن هنا ، لا يصاغ (اسم الفاعل) إلا من فعل لا يسند عادة إلا للفاعل الحقيقي الموجّد له ، فهو يصاغ ، على سبيل المثال ، من (سلب) وـ (صَعِدَ) وـ (استخرج) وـ (تسابق) وـ (كاتب) وـ (زخرف) وـ (ابتسم) . غير أنه لا يشتق ، مثلاً ، من فعل كـ (أكمل) وـ (صلصل السيف) وـ (مرض) وـ (فرح) . وعليه ، فإن الوصف (مكتمل) ، على سبيل المثال ، ليس اسمًا للفاعل ، ولكنه صفة مشبهة . من هنا لم يكن من الدقة تعريف (اسم الفاعل) ، كما أوضح سابقاً ، بأنه « صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدلّ على معنى وقع من الموصوف أو قام به ... »^(٢) من قبل أن منْ أو ما يقوم به المعنى لا يكون فاعلاً حقيقياً . وعليه ، فإنه ينبغي إسقاط (أو) وما بعدهما من تعريف اسم الفاعل السابق ليصير (اسم الفاعل) مصطلحاً يطلق على الوصف الذي يسمّ منْ أو ما يقع منه المعنى على سبيل الإحداث والتصرف .

(١) مع تزييناً الله تعالى ، فإن المراد هنا وصف الدلالة اللغوية من حيث هي . هذا ، وقد يحسن بعض اللغويين (ينظر مثلاً : د. عبدالحليم عبدالعال ، النحو الشامل ص ٤٢٨ - ٤٢٩) أحياناً بتصريح بحملهم ، مثلاً ، على القول بأن بعض الأوصاف التي على وزن (فاعل) تقيد القرآن أنها معنى (الثبت) ، فلا تكون إلا صفة مشبهة . هذه القراءة هي كون الوصف وصفاً للله تعالى ، كما في (مالك يوم الدين) .

(٢) جامع الدروس العربية ١٨٢/١ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعريف السابق لاسم الفاعل يجري مجرى تعريف النهاية للفاعل الأصطلاحى الذى يفيد ، عندهم ، الفاعلية الشكلية والفاعلية الحقيقية .

يشتق (اسم الفاعل) ، في الإجمال ، بلحظ كلّ فعل دالّ على (حركة) ، كما في (صَدِعَ) ، أو على (تصرف) ، كما في (قرأ) ، إذ إن مثل هذه الأفعال تتطلب مستنداً إليه (فاعلاً حقيقةً subject - Agent) . وحتى يكون ممكناً وسرياً الحكم ، على الوصف الموصغ على وزن من أوزان (اسم الفاعل) من فعل ثلاثي أو غير ثلاثي ، فلا بدّ من لحظ الفعل المناسب ، فإذا كان الفعل مما يسند إلى الفاعل الحقيقي ، فالوصف للفاعل ، وإذا كان مما يسند إلى (المعانى) غير الفاعل ، فهو صفة مشبهة . وعليه فإنه يحسن ، مرة أخرى ، قصر مصطلح (اسم الفاعل) على الوصف الدالّ على الفاعل الحقيقي ، حسب ، أما الوصف الدالّ على الفاعل الشكلي (غير الحقيقي) ، أي على (المعانى أو المعانى الجرّب) فيخصص له مصطلح (الصفة المشبهة) .

أما ما كان دالاً على المبالغة ، فإذا كان الوصف مبالغة للفاعل الحقيقي ، كما أوضح سابقاً ، كان المصطلح المستخدم لذلك هو (مبالغة الفاعل) ، وإذا كان الوصف مبالغة للفاعل الشكلي (المعانى أو المعانى الجرّب) فالمصطلح هو (مبالغة الصفة المشبهة) .

على أنه لما كانت مسألة شبهة (الصفة المشبهة) بـ (اسم الفاعل) غير مفيدة في التفريق بينهما لا صرفاً ولا نحوياً ، فالرأي أن يستبدل بمصطلح (الصفة المشبهة) مصطلح (صفة الوضع) ، إذ تقرر فيما سبق كثيراً أن الصفات التي اختير لها مصطلح (صفة الوضع) إنما تصاغ بلحظ الأفعال التي تدلّ على (وضع) لا يكون للمسند إليه معها يد في إيجاده ولا تصرف ، أو بلحظ الأفعال الدالة على (إجراء) لا يكون كذلك للمسند إليه معها يد أو تصرف في إيجاده . وعليه فالاختيار أن يستبدل بمصطلح (مبالغة الصفة المشبهة) مصطلح (مبالغة صفة الوضع) .

تقرير التلاقي بين (الصفة المشبهة) و (اسم المفعول)

ليس من فرق ، كما سبق البيان ، بين (صفة الوضع = الصفة المشبهة) وما أطلق عليه الصرفون (اسم المفعول) من حيث حقيقة الموصوف الذي يسند إليه الفعل الملحظ عند صوغ كلّ منها . من هنا يمكن أن يعدّ كلّ اسم للمفعول من نوع (صفة الوضع) ، أو بمعنى آخر ، من ذلك النوع الذي يصف بالحدث ذاتاً غير فاعلة . هذه الذات الموصوفة تقع ، إذاً ، مسندًا إليها الحدث ، وهي في الوقت نفسه (معانية) منه . ولهذا وجدنا القدماء والمحدثين يقولون بوقوع الصفة المشبهة (= صفة الوضع) ، أحياناً ، على وزن (اسم المفعول) .

على أنه إذا كان ثمة فرق بين (صفة الوضع) و (اسم المفعول) ، فليس مرد ذلك الفرق إلى جهة الذات غير الفاعلة الموصوفة بكلّ منها ، ولكن إلى جهة أن (اسم المفعول) يصف الذات التي يسند إليها الحدث ويكون واقعاً عليها في الوقت عينه ، فهو يصف ذاتاً يمكن أن تعدّ صنفاً خاصاً من أصناف (المسند إليه المعاني subject - Patient) . تسم (صفة الوضع) ، إذاً ، بالحدث ذاتاً (مسندًا إليها معانية) والحدث واقع بها وموجود فيها لا بإحداث مُحدث ولا بإيقاع متصرّف ، في حين يصف (اسم المفعول) بالحدث ذاتاً (مسندًا إليها معانية) والحدث واقع عليها بإحداث مُحدث وإيقاع متصرّف .

فضل بيان

تقرّر أن كلّ فعل دالّ على (حركة) ، كـ (ذهب) ، يكون الوصف الواسم لما يسند إليه مثل هذا الفعل ، وهو هنا (ذهب) ، (اسماً للفاعل) ، لأن المسند إليه حينذاك فاعل حقيقي . غير أن إسناد مثل هذا الفعل ، أحياناً ، إسناداً مجازياً قد يجعل الوصف الواسم للمسند إليه - إسناداً مجازياً - وصفاً لغير الفاعل ، فيستحيل (صفة للوضع) ، كما في :

١٦- أ - ذهب عقل (فلان) .

ب - فلان ذاهب العقل .

نخلص من مناقشة البنية الدلالية وال نحوية للأفعال التي يُلتفت إليها - عادة - عند استراق بعض الأوصاف - إلى المفاهيم التالية :

- ١ - كلَّ فعل دالٌّ على (وضع) أو (إجراء) فيما يُسند إليه يكون وصفُ المستند إليه منه إما (صفةُ للوضع = صفة مشبهة) وإما (مبالغة صفة الوضع) . ولا يشتقُّ اسم الفاعل من مثل هذا النوع من الأفعال .
- ٢ - كلَّ فعل دالٌّ على (تصرف) أو (حركة) فيما يُسند إليه ، يكون وصفُ المستند إليه منه (اسمًا للفاعل) أو (مبالغة الفاعل) . ولا يشتقُّ (صفة الوضع) من مثل هذا النوع من الأفعال إلا إذا بُني للمفعول .
- ٣ - يُقصر مصطلح (اسم الفاعل) على وصف الذات الفاعلة المُحدِثة لما يُسند إليها .
- ٤ - يُقصر مصطلح (صفة الوضع = الصفة المشبهة) على وصف الذات المُعانية (= غير الفاعلة وغير المُحدِثة لما يُسند إليها) .
- ٥ - (اسم المفعول) صفةُ وضع ، من نوع خاص ، تسمِّ الذات المُعانية .
- ٦ - تأتي أمثلة المبالغة لِمَا كان ذاتاً فاعلة مُحدِثة ، وتأتي لِمَا كان ذاتاً مُعانية (= غير مُحدِثة لما يُسند إليها) .

مصادر ومراجع بالعربية

- ابن الحاجب ، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر :
- أ - كتاب الكافية في النحو ، شرح رضي الدين محمد بن الحسن الأسترابادي (الجزء الثاني) ، نسخة مصورة عن طبعة الآستانة ١٢٧٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ودار الباز للنشر والتوزيع (غير مؤرخ) .
- ب - شرح الواحة نظم الكافية ، تحقيق د. بنّا علوان العليلي ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ، ١٩٨٠ .
- ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل : الأصول في النحو ، تحقيق د. عبدالحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٩٨٥ .
- ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله : شرح ابن عقيل (الجزء الثاني) ، تحقيق محمد محبي الدين عبدالحميد ، (غير مؤرخ) .
- ابن مالك ، محمد بن عبدالله : تسهيل الفوائد وتكملة المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ابن هشام ، أبو محمد جمال الدين :
- أ - أوضاع المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محبي الدين عبدالحميد ، دار الجليل ، بيروت ط ٥ ١٩٧٩ .
- ب - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تحقيق محمد محبي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط ١٠ ١٩٦٥ .

- ج - شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق : محمد محبي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ١٩٨٨ .
- د - شرح اللῆمة البدريّة في علم اللغة العربية ، تحقيق : د. هادي نهر ، مطبعة الجامعة - بغداد ١٩٧٧ .
- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي : شرح المفصل (الجزءان الأول وال السادس) ، نسخة مصورة عن طبعة محمد منير سنة ١٩٢٨ ، عالم الكتب ، بيروت (غير مؤرخ) .
- الأزهري ، الشیخ خالد بن عبدالله : شرح التصریح على التوضیح (الجزء الثاني) ، دار إحياء الكتب العربية ، عیسی البانی الخلیبی ، القاهرة (غير مؤرخ) .
- الأستراباذی ، رکن الدین الحسن بن محمد : الوفایة فی شرح الكافیة ، تحقيق : عبدالحفیظ شلبي ، سلطنة عُمان ، ١٩٨٣ .
- الأستراباذی ، رضی الدین محمد بن الحسن : شرح شافية ابن الحاجب (الجزء الأول) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .
- الأسفراينی ، تاج الدین محمد بن محمد بن احمد : لُباب الإعراب ، تحقيق : بهاء الدين عبدالرحمن ، دار الرفاعی ، الرياض ، ط ١ ١٩٨٤ .
- الأسيوطی = السیوطی .
- الأشمونی ، أبو الحسن علي بن محمد : شرح الأشمونی على ألفیة ابن مالک (ضمن : حاشیة الصبان ...) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (غير مؤرخ) .

- الأنطاكي ، محمد : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، دار الشرق العربي ، بيروت ط ٣ ١٩٧١ .
- الجامي ، نور الدين : شرح كافية ابن الحاجب (القواعد الضيائية) (الجزء الثاني) ، تحقيق : د. أسامة الرفاعي ، وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- الحديشي ، د. خديجة : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٥ .
- حسن ، عباس : النحو الوافي (الجزء الثالث) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ١٩٦٤ .
- الخلاني ، د. محمد خير : الواضح في علم الصرف ، دار الأمون للتراث ، دمشق - بيروت ، ط ٤ ١٩٨٧ .
- الحملاوي ، الشيخ أحمد : شذا العرف في فن الصرف ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ط ٦ ١٩٦٥ .
- الراجحي ، د. شرف الدين علي : البسيط في علم الصرف ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ .
- الراجحي ، عبده : التطبيق الصرفي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر :
- أ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأویل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- ب - المفصل في علم العربية ، دار الجليل ، بيروت ط ٢ .

- السامرائي ، فاضل صالح : معاني الأبنية في العربية ، جامعة بغداد ، بغداد ، ط١ ١٩٨١ .
- السكاكى ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي : مفتاح العلوم ، عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ، ط ١٩٣٧ .
- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن قبر : الكتاب كتاب سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الحانجى بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض ، (الجزء الأول ١٩٧٧) ، و (الجزء الرابع ط ٢ ، ١٩٨٢) .
- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر :
- أ - الأنباء والنظائر (الجزء الثاني) ، مراجعة وتقديم : د. فايز ترحبى ، دار الكتاب العربي ، ط ١٩٨٤ .
 - ب - الفرائد الجديدة (الجزء الثاني) ، تحقيق : الشيخ عبد الكريم المدرس ، وزارة الأوقاف والتراث الإسلامي ، بغداد .
 - ج - المطالع السعيدة في شرح الفريدة (الجزء الثاني) ، تحقيق : د. نبهان ياسين حسين ، دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
 - د - همع الهوامع في شرح جمع الجواجم (الجزء السادس) ، تحقيق : د. عبدالعال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٨٠ .
 - الصبان ، محمد بن علي : حاشية الصبان (الجزء الثالث) ، ينظر الأشموني أعلاه .
 - صلاح ، فتحية : التيسير في النحو والصرف ، جمعية عمال المطبع التعاونية ، عمان ١٩٧٨ .

- عبد العال ، د. عبد المنعم سيد : النحو الشامل (الجزء الأول) : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- عوض ، د. سامي : المورد في علم الصرف ، جامعة تشرين ، اللاذقية ١٩٨٤ .
- الغلايني ، الشيخ مصطفى : جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط ١٨٥ ١٩٨٥ .
- البرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : المقتضب ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
- نعيم ، د. فريد إسماعيل : النحو والصرف في تصريف الأفعال والأسماء ، مطبعة ابن حيان ، دمشق ١٩٨١ ، ١٩٨٢ .
- ياقوت ، محمود سليمان : ظاهرة التحويل في الصيغة الصرفية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥ .

مراجع بالإنجليزية

- DeMiller, Anna L.; Syntax and Semantics of the Form II Modern Standard Arabic Verb, in Al'arabiyya, Journal of the American Association of teachers of Arabic; vol. 21, No. 1 and 2 (1988).
- Wright, W.; A Grammar of the Arabic Language; Third Edition, The University Press, Cambridge (1986).
- Howell, Mortimer Sloper: A Grammar of the Classical Arabic Language Gian Publishing House, Delhi (1986).
- Haywood, J.A. and Nahmad, H.M.; A New Arabic Grammar of the Written Language; Lund Humphries, London (1965).

م蕊يات التخطيط اللغوي : عرض ونقد

د. فواز محمد الراشد العبد الحق

جامعة اليرموك

هدف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى التعريف بعلم التخطيط اللغوي (Language Planning) ومجال اهتماماته ، وإلى دراسة بعض المفاهيم والمطبيات التخطيطية اللغوية التي سادت في النصف الثاني من هذا القرن دراسة نقدية ، ودراسة مدى تأثير علماء التخطيط اللغوي بالفكر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي السائد آنذاك ، حيث قامت دعائمه هذا العلم على أساس نظرية التطوير (Development) والتحديث (Modernization) . ولتحقيق هذه الأهداف سوف يقوم الباحث بما يلي :

- ١ - التعريف بالتخطيط اللغوي و مجالاته بإيجاز .
- ٢ - عرض المعطيات وال المسلمات النظرية للتخطيط اللغوي .
- ٣ - تفنيد هذه المعطيات وال المسلمات في ضوء تطبيقاتها على الواقع .

أولاً : التخطيط اللغوي

يقدم الباحث عرضاً موجزاً لتعريف التخطيط اللغوي وأهدافه و مجالاته و تطبيقاته حتى يكون للقارئ إلفة بالمعطيات وال المسلمات التي سوف يناقشها فيما بعد .

بعد التخطيط اللغوي فرعاً من علوم اللغويات الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ومدى تأثير كل منها الآخر . ويعنى التخطيط اللغوي بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحثية ، كتوليد انفردات وتحديتها وبناء المصطلحات وتوحيدتها ، أم مشكلات غير لغوية ذات مساس باللغة واستعمالها وإيجاد الحلول لتلك المشكلات .

يقول العالم هاوجن (Haugen, 1955 : 209) إن أول من استعمل مصطلح التخطيط اللغوي هو العالم فنراخ (Weinreich) عنواناً لندوة عقدت في جامعة كولومبيا عام ١٩٥٧ . والحقيقة أن أول من كتب بطريقة علمية في هذا العلم وألف فيه هو العالم هاوجن في مقالته الموسومة بـ « تخطيط اللغة المعاييرية في الترويج الحديث » ، عام ١٩٥٩ . ولقد عرّف آنذاك هاوجن التخطيط اللغوي بأنه عملية تحضير الكتابة وتقنينها وتعزيز اللغة وبناء المعاجم ليستدل ويهدى بها الكتاب والأفراد في مجتمع غير متجانس لغويًا .

بدأ هذا العلم يظهر إلى حيز الوجود في مطلع الخمسينيات من هذا القرن ، وكان أحد الأهداف الرئيسية لهذا العلم هو إبراز دور اللغة في بناء الدول بعد مراحل الاستعمار التي تعاقبت على دول العالم الثالث كما ظهر في أعمال فشمان ، وفيرجسون وداس جوبتا عام ١٩٦٨ ، تحت عنوان المشكلات اللغوية في الدول النامية (Fishman, Ferguson and Das Gupta, eds. (1968 Language Problems of Developing Nations).

كان اهتمام التخطيط اللغوي منصبًا على معالجة المشكلات اللغوية التي نجمت عن طمس الهوية اللغوية والقومية لبعض الدول المستعمرة ، حيث حلت بعض اللغات العالمية كالإنجليزية والفرنسية محل اللغات القومية ، والوطنية ، والمحليّة . وخير مثال على ذلك ما حدث في دول إفريقيّة وأسيّة فقد تم إقصاء هذه اللغات عن أداء الوظائف المرتقبة منها . لذا كان تركيز التخطيط اللغوي على العمل الجاد والمنظم نحو إيجاد حلول مدرورة لتلك المشكلات اللغوية حسب حجمها ونوعيتها ، ثم اتجهت الجهود بعد ذلك في السبعينيات إلى مأسسة (Constitutionalized) التخطيط حيث قامت مؤسسات على مستوى دولي ووطني

ومحللي لشرف على عملية التخطيط اللغوي ، كرسم السياسات اللغوية ، والخطط الالازمة لتنمية اللغات وتطويرها ، و اختيار لغات واسعة الانتشار للتجارة وال العلاقات الدولية . وببدأ ذلك الاهتمام واضحأ في كتاب روبن ويرنود عام ١٩٧١ بعنوان :

هل يمكن تخطيط اللغة ؟

(Rubin & Jernudd. eds. 1971) Can Language Be Planned ?

ولقد كان الإثبات هو الجواب وذلك من خلال المقالات التي تضمنها الكتاب . وما يجب ذكره أن علم التخطيط اللغوي هو نتاج تضافر جهود علماء الاجتماع ، والتربيـة ، والإنسان ، والاقتصاد ، واللغة ، والسياسة ، فهو علم يقوم على نظام تكاملـي (Interdisciplinary) تشتـرك فيه جـل العـلوم الإنسـانية ، لأنـه يـتعامل معـ اللغة ، والـلغـة إرثـ الجميعـ وليسـ مـلكـاً لأـحدـ ، وهـكـذا فـلا بدـ منـ تـضـافـرـ عـلـومـ شـتـىـ وـتـعاـونـهـاـ لـإنـجـاحـ مـهمـاتـ المـخطـطـ اللـغـويـ

ومن الجدير ذكره أن ظهور علم التخطيط اللغوي قد تزامن مع تقدم العلوم الاجتماعية والاقتصادية ، مما أدى إلى تأثير علماء التخطيط اللغوي بتلك العلوم وخصوصاً تلك التي تبحث طرق تطوير دول العالم النامية وتحديثها اقتصادياً ، واجتماعياً ، وتربوياً ، وثقافياً ، وعلمياً ، ولغويًّا . وهكذا نرى أن هذا التزامن أدى إلى تأثر علم التخطيط اللغوي ببعضيات العلوم المعرفية المتعددة كالاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة ، والتربيـة ، والنـفـسـ وـالـلـغـويـاتـ . وليسـ منـ الغـرـيبـ أنـ نـرـىـ هـذـاـ التـكـامـلـ بـيـنـ الـعـلـومـ لـأنـ مـدارـهـ هـوـ الإـنـسـانـ ، وـهـذـاـ الإـنـسـانـ لاـ يـسـتـغـنـيـ عـنـ لـغـةـ يـعـبـرـ بـهـاـ عـنـ آـفـكـارـهـ ، وـحـاجـاتـهـ ، وـثـقـافـتـهـ ، وـحـضـارـتـهـ . وما هـدـفـ التـخـطـيـطـ اللـغـويـ إـلـاـ حلـ المشـكـلاتـ الـلـغـويـةـ وـغـيـرـ الـلـغـويـةـ الـتـيـ تـعـرـضـ الإـنـسـانـ بـوـصـفـهـ فـرـداـ ، وـالـشـعـوبـ وـالـدـوـلـ بـوـصـفـهـاـ مـجـمـوعـاتـ بـشـرـيـةـ تـفـاعـلـ بـعـضـهـاـ مـعـ بـعـضـ . إنـ الـارـتـباطـ الـحـيـوـيـ وـالـعـضـوـيـ بـيـنـ الإـنـسـانـ

واللغة هو الذي أعطى دراسة اللغة ومشكلاتها الأهمية القصوى الخاصة بها أو المتعلقة بمستخدميها . ومن الجدير ذكره أن الدراسات المتعلقة بالمشكلات اللغوية وحلولها في مختلف البلدان قد أفرزت أدباً جماً وقدمت أطراً نظرية تجعل من التخطيط اللغوي علمًا له أصوله وتطبيقاته وفوائده الجمة . ولقد فصل موسي ناهير (Moshe Nahir) تطبيقات التخطيط اللغوي فيما يلي :

١ - النقية اللغوية : (Language Purification)

وتهدف جهود المخططيين اللغويين في هذا المضمار إلى تنقية اللغة من الغرائب والشوائب والدخيل ، ومثال ذلك ما حدث للغة الفرنسية عن طريق ما قام به مجمع اللغة الفرنسية ، حيث كان الهدف هو الحفاظ على هوية الشعب الفرنسي ووطنيته (Frenchness) . ولتحقيق ذلك قام المجمع بتأليف المعاجم والمصطلحات لرعاة السلامة اللغوية . وحتى تتم الفائدة قام المجمع الفرنسي بتعليم نتاجاته على المدارس والجامعات ، وتم إلزامها بتنفيذ قراراته . وبعد أن فرغ المجمع من هذه المهمة ، اتجه إلى تطوير المفردات والمصطلحات ، وتحديثهما ، وتوليدهما حتى توأكراً كـ التفجر المعرفي .

٢ - إحياء اللغات الميتة أو المهجورة : (Language Revival)

ومثال ذلك ما حدث للغة العبرية في الكيان الصهيوني عن طريق إنشاء مجلس لغوي تطور فيما بعد إلى مجمع لغوي أخذ على عاتقه إحياء لغة مهجورة لقرون طويلة توحد أشانت اليهود غير المتجانسين لغويًا ، ولقد تم ذلك عن طريق تدريس العبرية من خلال العبرية نفسها حيث استعملت نصوص ميسرة ومفردات مفسرة ، وبعد شيوخ استعمال العبرية . تجتهد أنظار الجمعيين إلى تقييم اللغة العبرية (Standardization) وتأطيرها (Codification) وتحديثها (Modernization) ، حيث تم انبعاثها من جديد بعد قرون من الترك والهجران .

٣ - الإصلاح اللغوي : (Language Reform)

ومثال ذلك ما حدث للغة التركية ، فلقد كانت تكتب بحروف عربية ، ثم اتّخذ مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٧ قراراً بتربيك اللغة التركية عن طريق نقل حروفها إلى اللاتينية وتنفيذأً لهذا القرار تم إنشاء مجلس لغوي يتولى إنجاز هذه المهمة ، وتم تنقية اللغة التركية جزئياً من اللغة العربية والفارسية ، وذلك من خلال تأليف المعاجم ، وتوليد المفردات ، وتطويرها ، وبناء المصطلحات وذلك بالتعاون بين وزارة الإعلام ، والمدارس ، والجامعات التركية لاستيعاب نشر ما تم تربيكه وتحقيقه .

٤ - التقييس اللغوي : (Language Standardization)

ومثال ذلك ما حصل في زنجبار في شرق إفريقيا ، عندما تبنت زنجبار اللغة السواحلية لغة وطنية من بين العديد من اللهجات المنتشرة هناك . ولتحقيق هذا الهدف تم إنشاء جمعية لغوية عامة ، من أجل اختيار لهجة شائعة تحظى مكانة مقبولة في نفوس مستعملتها لتصبح لغة المدرسة ، ولإنجاز هذا الهدف تم تأليف المعاجم وتأطير القواعد السواحلية شرق إفريقيا .

٥ - تحديث المفردات وتطويرها : (Lexical Modernization)

ومثال ذلك ما حدث في سويسرا للغة السويسرية ، حيث تم إنشاء مركز المصطلحات الفنية من أجل تنسيق المصطلحات الحديثة ، وتوحيد بنائها ونشرها ، وتعيم استعمالها .

هذا ويرى الباحث أن هناك هدفاً سادساً للتخطيط اللغوي لم يذكره المشتغلون بهذا العلم ، ألا وهو إحلال اللغات القومية محل اللغات الأجنبية ذات الانتشار الواسع في الجامعات الوطنية . ولعل التجارب التي قامت بها بعض دول العالم كالإبان ،

والصين ، وفرنسا ، وروسيا ، وفيتنام ، وإسرائيل ، وسوريا ، من الأدلة الدامغة على إمكانية القيام بهذه المهمة المصيرية ، وعلى ارتباط اللغة بحركات التقدم العلمي والحضاري . فلأنَّ التعرِيب بوصفه عملية تخطيط لغوي مثلاً على تبني اللغات القومية .

التعرِيب

أوضح غنيم (١٩٨٩ : ٦٤ - ٦٥) أنَّ للتعرِيب ثلاثة معانٍ :

- ١ - يدل على استعمال العرب لفاظاً أعمجية على طريقتهم في النطق واللفظ ، وهو مصطلح قديم . وعن هذه الطريقة دخلت اللغة العربية آلاف الألفاظ الأعمجية التي سميت « دخيلة » .
- ٢ - يقصد به الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وينصرف إلى ترجمة العلوم والأداب ، والفنون ، وسائر الترجمات الأخرى .. وهكذا تكون كلمة « تعرِيب » هنا مرادفة لكلمة « ترجمة » ، وكلمة « مغرب » بمعنى « مترجم » . وبعكس التعرِيب في هذا السياق كلمة « التعجيم » ، أي نقل الأثر من اللغة العربية إلى آية لغة أعمجية .
- ٣ - جعل اللغة العربية لغة حياة الإنسان العربي كلها ، لغة الفكر والشعور ولغة العلم والعمل ، بها يعبر عن مكتنوات نفسه وخلجات قلبه ، وومضات ذهنه ، بها يتعلم ويعلم ، ولا ينتقص من مقامها تعلم لغة أخرى أو أكثر . إنها أداة للتفكير وأداة للتعبير .

أما الصيادي (١٩٨٥) فيعرف التعرِيب اللغطي بأنه عملية صرفية قياسية تعتمد لفظة أصلها غير عربي تضم إلى اللغة العربية ، بشرط وزنها على أحد الأوزان العربية . وكذلك يهتم التعرِيب بإيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية ، لتعليم

اللغة العربية واستعمالها في كل الميادين المعرفية ، وبهذه النظرة الجديدة التي قدمت التعريب النفسي الفكري على التعريب اللغوي ، يكون المفهوم الجديد قد اكتسب صبغة إنسانية شاملة تعنى بالفرد العربي وبصيره . وهكذا نجد أن تعريب الألفاظ لا يجدي نفعاً إذا ما بقيت العجمة هي المسيطرة على العقلية ، وإذا ما انسليخ الفرد تدريجياً عن الجموعة التي يتسمى إليها . إذن ، فالتعريب يشمل تعريب التعليم ، والإدارة ، والمجتمع ، والسياسة ، والفكر ، والاقتصاد . وهكذا نجد أن التعريب يتطلب جمعاً بين الأصالة والمعاصرة من حيث نقل الأفكار والمعانى بكل معطياتها من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية مع توخي الإفادة من مادة الموضوع ، وعرضه بأسلوب اللغة العربية من منظور فكري إسلامي وهذا يتطلب التحضر بالإسلام ، والتمكن من اللغة العربية ، واللغة الأجنبية والمادة العلمية البحتة . وهذا هو التأصيل العلمي المطلوب الذي يعني اللغة ، والتراث ، والحضارة .

وهكذا نجد أن عملية التعريب بعد آخر للخطيط اللغوي حيث ينصب اهتمام المشتغلين في التعريب على رسم سياسة لغوية ، ترفع من مكانة اللغة العربية في نفوس شعوبها وهذا ما يسمى (Arabicization Policy) وعلى توليد المفردات وبناء المصطلحات وتحديثها . وتتمثل التفجر المعرفي وهذا ما يسمى (Arabicization Corpus) .
لذا نرى أن التعريب عملية منظمة ومدروسة تهدف إلى حل المشكلات التي تواجه اللغة العربية ، وهي عملية مؤسسة (Constitutionalized) حيث تتولاها مجتمع اللغة العربية في مصر ، وسوريا ، والعراق ، والأردن ، ومكتب تنسيق التعريب في المغرب .

ومن الجدير ذكره أن الدراسات والخبرات التخطيطية اللغوية قد أقرت مجموعة من النظريات والأطر التي أصبحت أساساً لهذا العلم . وسوف أذكر باختصار أشهر تلك النظريات :

١ - نظرية هاوجن : (Haugen, 1966) وتشمل :

- أ - اختيار المعيار أو النمط اللغوي . (Norm Selection)
- ب - التأطير اللغوي (Codification)
- ج - الإغناء المفصل للاختيار اللغوي (Elaboration)
- د - التنفيذ والاستعمال لما تم اختياره وتأطيره ، وإغناوه .

٢ - نظرية فيرجسون (Ferguson, 1968) وتشمل :

- أ - الترسيم (Graphization)
- ب - التقسيس (Standardization)
- ج - التحديث (Modernization)

٣ - نظرية نوستبني (Neustupny, 1970) وتشمل :

- أ - عمليات التنمية اللغوية (Cultivation Processes)
 - (Codification) ١ - التأطير
 - (Cultivation) ٢ - التنمية
 - (Elaboration) ٣ - الإغناء والتفصيل
- ب - مشاكل التنمية اللغوية (Cultivation Problems)
 - (Implementation) ١ - التنفيذ
 - (Codification) ٢ - التأطير
 - (Elaboration) ٣ - الإغناء والتفصيل
 - (Treatment/Cultivation) ٤ - المعالجة أو التنمية اللغوية

وما تجدر ملاحظته تعدد المصطلحات والسميات لعمليات التخطيط اللغوي عند مختلف علماء التخطيط اللغوي وهذا مؤشر على أن هذا العلم لم يستقر بعد ، وهو في طور تكوين الأسس النظرية التي تفسر ظاهرة التخطيط اللغوي ومشاكله وطبيعته ونمطيته . لذا فإن الباحث يرى أن فهم النظريات السابقة يتم من خلال اعتبار مراحل القيس عند هاجن عمليات للتخطيط اللغوي ، واعتبار مراحل التطوير عند فيرجسون نتاجات للتخطيط اللغوي ، حيث إن اختيار لغة معيارية يحتاج إلى اختيار نمط لغوي (Norm) ثم يؤطر ذلك النمط ويفصل وينفذ ، ويرسم ، ويقيس ، ويحدث ، وهكذا نجد أن التنمية اللغوية عند نوستبني تعد عمليات التخطيط اللغوي عند هاجن مشكلات للتخطيط اللغوي ، ويرى كذلك أن نتاجات التخطيط اللغوي هي بمثابة العمليات التخطيطية (Eastman, 1983) .

٤ - نظرية تاولي : (Tauli, 1968)

وتقوم هذه النظرية على أساس أن اللغة ومكوناتها أداة يمكن تقويمها ، وتنفييرها ، وتصحيحها ، وتحسينها . يرى تاولي أن تنمية اللغة وتقييسها يتطلب وجود لغة معيارية مثالية تتصف بالصفات التالية :

١ - الوضوح : حيث تؤدي اللغة المثالية رسالتها وهدفها بوضوح تام ، وتعبر عن المعاني المطلوبة وظلالها دون غموض .

٢ - الاقتصادية : تعبر عن كل المعاني بأقل الوسائل وأقصرها ، ومتاز بالسهولة واليسر لدى كل من المتلجم والمستمع ، هذا بالإضافة إلى قلة عدد الوحدات اللغوية وقصر التراكيب المتداولة وبساطتها .

٣ - المسحة الجمالية : يفترض في اللغة المثالية أن تحتوي على كل عناصر الجمال اللغوي والتعبيري من حيث تناقضها ، والتماثل بين الألفاظ والمعنى ، وشاعريتها وإشارة كوامن النفس البشرية وانفعالاتها .

وهكذا نجد أن هذه المتطلبات التي ذكرها تأولي مثالية غير قابلة للتطبيق ، وهذا ليس بغرير ، لأن تأولي نظر إلى اللغة بوصفها أداة يمكن تحسينها ، وتجميلها ، وتغييرها ، لثلاثة أذواق مستعملتها . لذا نجد أن تأولي يعرف التقيس اللغوي ، بوصفه ظاهرة تخطيط لغوي ، بأنه طريقة إجرائية لتنظيم لغات موجودة أو تحسينها أو إيجاد لغات محلية أو عالمية جديدة ، فكما نصنع الأدوات الالزمة للمعيشة اليومية ، نستطيع أن نصنع اللغة التي تناسب أذواق الناس وحاجاتهم ، ويرى تأولي أن اللغة أداة مطاءعة بأيدي العالم اللغوي يحورها كيما شاء لا كيما يريد المجتمع ، وهذه نظرة مثالية غير واقعية ولا متحققة .

ثم يضيف تأولي أن الخطط اللغوي يجب أن يكون على علم كامل وشامل بالنظام اللغوي للغة المراد التخطيط لها حتى يتمكن من إجراء التحسينات والإضافات اللغوية الالزمة ، وقد غاب عن ذهنه أن اللغة هي إرث المجتمع وأن تطوير اللغة يحتاج إلى تضافر جهود مختلف المختصين بالعلوم المعرفية . فلا يملك فرد صنع لغة ما ولا تحسينها ؛ لأن تلك اللغة لا تقتصر على الاستعمال الفردي فقط . وهذا الحال يشبه استعمال جهاز الهاتف ، فامتلاك هاتف واحد ليس له قيمة على الإطلاق ، بل إن القيمة تبرز من توسيع شبكة الهاتف ليمتلكه معظم الناس ، حتى يصبح لتناوله قيمة .

ثانياً : المعيقات والسلمات النظرية للتخطيط اللغوي

قد رأينا أن علم التخطيط اللغوي يقوم على تضافر جهود العلوم الإنسانية ، والاجتماعية ، وتعاونها ، وتفاعلها . ولقد عدت هذه الميزة من المتطلبات الضرورية لإنجاح أية عملية في التخطيط اللغوي . لقد رأينا أن جوهر التخطيط اللغوي ينصب على حل المشكلات اللغوية ، وغير اللغوية ، التي تواجه فرداً أو مجتمعاً ، بطرق علمية مدرستة ومنظمة . وهكذا فإن محور التخطيط اللغوي هو الإنسان وحل مشكلاته

اللغوية . رب سائل يسأل : هل استطاع علم التخطيط اللغوي أن يكون مرئيات ومعطيات ثابتة على الرغم من حداة نشأته ؟ ما مدى صحة هذه المرئيات والمعطيات في ضوء واقع اللغة العربية صاحبة التراث والتاريخ العريق ؟ وفي ضوء عملية التعرّيف بوصفها ظاهرة تخطيط لغوي تهدف إلى نشر استعمال اللغة العربية في كل منحى من مناحي الحياة ؟

هل تأثر علماء التخطيط اللغوي بمدرسة فكرية بعينها ، أو أنهم استطاعوا التوصل إلى عموميات عامة تصلح أساسيات للتخطيط اللغوي ؟ وما مدى هذا التأثير ؟

لقد أثبتت الدراسات الإنسانية أن لكل علم من العلوم مرئيات ومعطيات أصبحت على مر الأزمان وتقدم العلوم بديهيات وحقائق عامة . فهل حق التخطيط اللغوي هذه المسلمات ؟ وما مدى مصداقية هذه المرئيات ؟ وهل ترقى إلى درجة الثوابت المسلمة ؟ هل تحيز علماء التخطيط اللغوي عندما نادوا « بالتغيير » (Westernization) ؟ ولماذا لم يلفتوا نظر الدارسين والعاملين في التخطيط اللغوي إلى تجربة أهل اللغة العربية في التطوير والتنمية وبناء المصطلحات وتوليد المفردات ؟ وهل كان بإمكان العرب أن يقدموا أنموذجاً فريداً في هذا المضمار تسترشد به اللغات في مختلف أصقاع المعمورة ؟ هذه مجموعة تساؤلات سوف يحاول الباحث الإجابة عنها في هذه الدراسة .

لقد بدأت عمليات التخطيط اللغوي في اللغة العربية قبل أربعة عشر قرناً ، أما تاريخ التخطيط اللغوي من منظور غربي فلا يتجاوز منتصف هذا القرن ، وبالتحديد منتصف الخمسينيات عندما استعمل فيه مصطلح التخطيط اللغوي على يد العالم فنراخ (Weinreich) . فهل سيفيد العاملون في التخطيط اللغوي من تجربة الشرق في إغناء معطيات التخطيط اللغوي وحقائقه ؟ لماذا لا يطالب « بالتشريع » (Easternization)

بدلاً من « التغريب » (Westernization) ؟ ولا سيما أن الدراسات تشير إلى سبق اللغة العربية في التاريخ والتخطيط ، والتقييس ، والتطوير ، والتحديث ، وبناء المعاجم ، وتوليد المصطلحات . هذا ويجب ألا يغرب عن البال أن تلك اللغة التي استوَّعت رسالة فكرية كانت ثورة على واقع جاهلي لدليل على طواعية تلك اللغة وقدرتها على تمثل كل جديد من الفكر والمعرفة . إن ثبات اللغة العربية ومرونتها يعزى إلى أثر رسالة الإسلام التي نزلت بتلك اللغة ، وهل من مخطط أفضل من الله جل وعلا ؟ لقد اكتملت تلك اللغة ونمّت وتطورت باكمال رسالة الإسلام وشموليها ، هذا مع العلم أنه لا يوجد ما يمنع الإضافة إلى الرصيد اللغوي العربي من منظور الإسلام ، وصدق الله العظيم لقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ، آية : ٩) .

إن الناظر في أدب التخطيط اللغوي الحديث ، يجد أن التخطيط اللغوي كان انعكاساً للواقع الفكري الرأسمالي الذي ساد في هذا القرن ، والقائم على أساس تقسيم العالم إلى دول متقدمة (Developed Countries) ودول نامية (Developing Countries) من منظور اقتصادي ولغوي . لقد ساد اعتقاد لدى الغرب مفاده أن تقدم الدول النامية اقتصادياً ، واجتماعياً ، وثقافياً ، وحضارياً ، وسياسياً ، ولغويًا يقوم على أساس أن تحذو تلك الدول حذو الدول المتقدمة ، وأن التطوير (Development) يتم من خلال التحديث (Modernization) وأن التحديث يتم من خلال التغريب (Westernization) ، والغريب هو تقليد الغرب عن طريق تبني وسائل تقدمه بما في ذلك اللغة . ولكن ما خصائص الدول النامية من وجهة نظر الغرب ؟ لقد عرفت الدول النامية بأنها ذلك الجزء من العالم الذي يعيش في أدنى سلم التطور الاجتماعي بالمقارنة مع المجتمع الغربي الصناعي المتحضر . وهي مجتمعات غير متطورة اقتصادياً لعدم تطبيق المبدأ الرأسمالي في الاقتصاد من حيث توفر : السوق الحرة ، والتنافس الحر ، ونظام الضرائب ،

والتنظيم المنطقي للدولة . وهي مجتمعات غير متطرفة اجتماعياً ، وثقافياً ، بسبب قلة الحراك الاجتماعي ، وغياب المبادئ ، وهي مجتمعات غير متطرفة سياسياً وذلك بسبب غياب النظام الديمقراطي وتوزيع الأدوار المؤسسية (Institutional Roles) وهذا ينبع أن هناك دولاً مركبة (Core Countries) ودولًا محاطة (Peripheral Countries) تدور في فلك الدول المركزية ، وأن حل مشكلات الدول النامية المحاطة يمكن في تغيير الأنظمة الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والتربيوية ، والسياسية ، بناء على تجارب ونماذج مأخوذة من الدول المتقدمة أو الدول المركزية .

وفيما يلي نجمل المعطيات والمرئيات التي سادت . بوصفها أساسيات . فكر التخطيط اللغوي في النصف الثاني من هذا القرن كما وردت في كتاب : مقدمة في التخطيط اللغوي للمؤلفة كارول إيستمان (Carol Eastman) عام ١٩٨٣ م .

١ - في الدول النامية ، يتتفوق الأفراد الذين يتمتعون بمهارات لغوية على الأفراد الذين لا يتمتعون بها ، وكذلك الأفراد الهرومون أو المعوقون في مجال اللغة لا يتقدون اقتصادياً .

٢ - في الدول النامية ، تساعد معرفة الفرد للغة ذات انتشار واسع (كالإنجليزية والفرنسية) على تحسين مستوى الدخل كما ونوعاً .

٣ - في الدول النامية ، إذا أراد الأفراد أن يتكيفوا مع التغيرات في النسق المهني والصناعي ، فإن عليهم أن يكونوا على اطلاع ووعي بالاستعمال اللغوي ، ومعرفة باللهجات والمصطلحات التخصصية .

٤ - في الدول النامية ، تتطلب التجارة الدولية معرفة لغات ذات انتشار واسع .

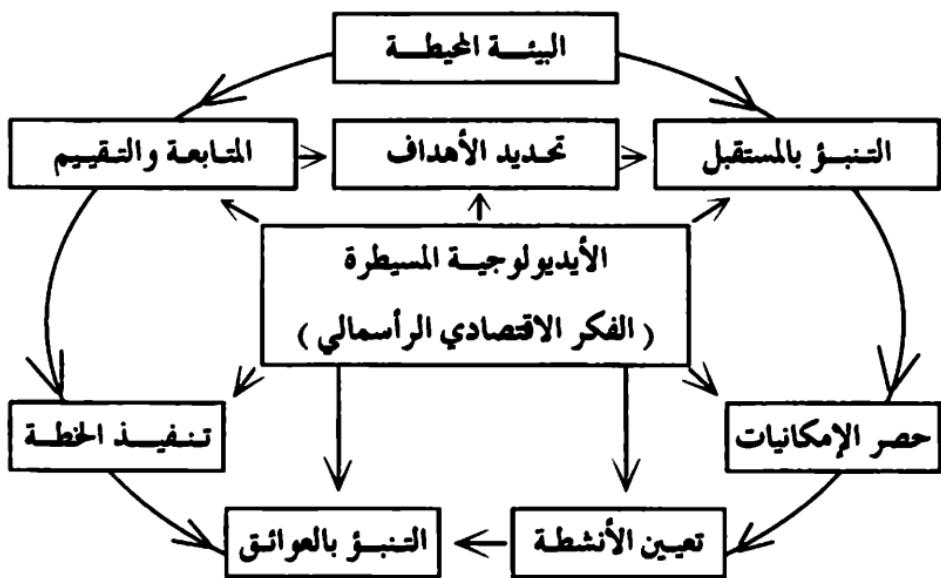
٥ - في الدول النامية ، يؤدي التجانس اللغوي إلى التجانس الاجتماعي ، والمهني ، والوظيفي .

- ٦ - في الدول النامية ، نجد أن النمو الاقتصادي الحديث سابق على النمو اللغوي ، وأن النمو الاقتصادي ، والنمو اللغوي عمليتان متاليتان .
- ٧ - تعد الدول المتقدمة اقتصادياً متقدمة لغويًا ، وتعتبر الدول النامية اقتصادياً نامية لغويًا .
- ٨ - إذا أرادت الدول النامية أن تحل مشكلاتها اللغوية ، فعليها أن تخدو حذو الدول المتقدمة في تجاربها .

٩ - النظرة الاقتصادية للتخطيط اللغوي حيث تبين ما يأتي :

- أ - أن الارتباط المادي (Instrumental Attachment) باللغة يقوى الارتباط المعنوي ويقود إلى التعلق العاطفي بها والسلوك لها . (Sentimental Attachment)
- ب - تعد اللغة مصدراً من مصادر الثروة والدخل القومي المادي .
- ج - أن تطبيق نظرية تحليل الكلفة والفائدة (Cost - Benefit Analysis) عند التخطيط لرسم السياسة اللغوية يعود بالفائدة والنفع الكبير .

و قبل الدخول في مناقشة هذه المعلومات ، تحسن الإشارة إلى المراحل التي يمر بها أي تخطيط حتى يتحقق ذاته . فالخطيط هو تحديد الأهداف تحديداً دقيقاً ، وتقدير الموارد و اختيار السبل الأفضل لاستخدامها من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف . إنه عملية مستقبلية تستهدف تحقيق الانتقال المنظم من موقف معين في الوقت الحاضر إلى موقف آخر يفوقه قيمة في مدة زمنية لاحقة ، ويمكن توضيح هذه المراحل في الشكل الآتي (الجوهري وأخرون ، ١٩٧٦) :



شكل (١) : مراحل التخطيط اللغوي

إن المدقق في الشكل الموضع أعلاه يمكنه أن يلاحظ أموراً عدّة ، منها :

- ١ - الانسياقات ، والترابط ، والتكامل بين كل العمليات والمراحل التي تجري في العملية التخطيطية من جهة ، واتخاذها شكل دورة متّحددة باستمرار .
- ٢ - تأثير عملية التخطيط كلها ببعدين لهما أهميتها القصوى وتأثيرهما الكبير في اتجاه التخطيط وهو البيئة المحيطة من ناحية ، والأيديولوجية المسيطرة من ناحية أخرى ، حيث يمارس كل منها ضغطاً معيناً (فوقياً وتحتياً) من الداخل والخارج على العملية التخطيطية فتخرج في النهاية خطة بعينها لها إطار وشكل معين . لذا نجد أن لكل تخطيط لغوي فلسفة أيديولوجية تناسب بيئات معينة .

إن الناظر في معطيات التخطيط اللغوي السابقة يجدها ضمن بيئه الفكر الاقتصادي الرأسمالي وأيديولوجيته ، حيث نرى مدى تأثير هذه المعطيات ببيئة وبالنظره الاقتصادية ، والنفعية ، والأدائية ، ومقاييس الربح والخسارة .

وهكذا نجد أن التخطيط اللغوي يدور في رحى الفكر الاقتصادي الرأسمالي وفلكله ضمن بيئه محيطة معينة في الدول الغربية . والأسئلة التي تثار هنا هي : هل يصلح التخطيط في الدول المتقدمة للدول النامية مع اختلاف الأيديولوجية الفكرية ، والبيئة المحيطة لكل منها ؟ ثم هل يمكن فصل التنمية والتخطيط اللغوي عن التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية ؟ وهل يمكن أن يتم التخطيط اللغوي بمفرده عن الأسس الأيديولوجية ؟

٢ - اعتبار الخطة جزءاً من التخطيط - حيث إنها - الخطة - إحدى مراحل العملية التخطيطية ذاتها . وعند هذه النقطة يحسن التمييز بين الخطة والتخطيط .

التخطيط (Planning) عمليات مستمرة من التفكير والمفاضلة والاختيار بين البدائل للوصول إلى أهداف بعينها . في حين أن الخطة (Plan) قد تنتج بدورها تخطيطاً جديداً .

أما الأسس والمبادئ التي ينبغي مراعاتها في أي تخطيط فتشمل :

الوضوح ، والواقعية ، والشمول ، والتكامل والتوازن والتنسيق ، والتدفق ، والانسياب والاستمرار ، والمرونة والتجدد ، والتبؤ والنظرية المستقبلية .

والأآن في ضوء ما سبق ، سوف ينتقل الباحث إلى تحصيص معطيات التخطيط اللغوي ونقدتها وبيان مصادقتها ، ومدى ثباتها ، بوصفها خطوطاً عريضة يسترشد بها المخططون اللغويون .

ثالثاً : دراسة مرتئيات التخطيط اللغوي ونقدتها

سوف يقوم الباحث بعرض هذه المعطيات واحدة واحدة ثم يقوم باختبار صحة هذه العطيات .

١ - في الدول النامية ، يتفوق الأفراد الذين يتمتعون بمهارات لغوية على الأفراد الذين لا يتمتعون بها ، وكذلك الأفراد المحرمون أو المعوقون في مجال اللغة لا يتقدمون اقتصادياً . هنا تجنب الإشارة إلى أن المقصود بالتفوق اللغوي هو إتقان لغات ذات انتشار واسع ، وليس إتقان اللغات القومية . ثم يتجلّى تأثير الفكر الاقتصادي حين يتم الربط بين القدرة اللغوية ، والتقدم الاقتصادي . صحيح أن معامل الارتباط بين الكفاءة اللغوية والتقدم الاقتصادي مرتفع ، ولكن لا يصل إلى حد أن تفرض الدول المتقدمة لغاتها على الدول النامية التي تخرب من تطوير لغاتها القومية وتوسيع انتشارها . إن هذا الافتراض يتضمن تبعية لغوية من الدول النامية ، إلى الدول المتقدمة وأن اللغة هي فقط وسيلة لتحقيق تقدم اقتصادي ودر ربع مادي . إذا طبقنا هذا المبدأ على الدول العربية بوصفها من الدول النامية ، فإنه يجب إقصاء اللغة العربية لأنها لغة دول نامية غير متطرفة ، وتبني لغات ذات انتشار واسع كالإنجليزية ، والفرنسية حتى تلحق بركب الدول المتقدمة . ولكن إذا رجعنا إلى حال الدول العربية إبان عهد الاستعمار ، نرى أن جهود المستعمرين كانت منصبة على إقصاء اللغة العربية ، وطمس هويتها ، وإحلال الإنجليزية ، والفرنسية محلها ، وحال المغرب العربي آنذاك خير شاهد على ذلك . إن هذا الافتراض يتضمن أن تبقى الهيمنة والسيطرة لأصحاب لغات الدول المتقدمة . ثم إذا نظرنا إلى غالبية شعوب الدول النامية ، ومنها الشعوب العربية ، نجد أنها شعوباً فقيرة ليس بوسعتها أن تتعلم لغة أجنبية ، وهذا سيؤدي إلى حرمان أبناء الفقراء من تعلمها ، وبذل يزداد الفقير فقراً والغني غنى عن طريق تعلم اللغات الأجنبية . ثم يجب أن نتذكر أن من أهداف التخطيط اللغوي حل المشكلات اللغوية لا تعقيدها ، وهكذا نجد أن المبدأ السابق يشير إلى خلق مشكلات لغوية للدول النامية بدل حلها ، وهذا يدل على

أن الفرضية السابقة مرفوضة وغير مقبولة . إضافة إلى ذلك ، يجب أن ندرك أن معرفة اللغات ليست الوسيلة الوحيدة لازخ الفقراء من دائرة الفقر ، ثم إن الجهل باللغات الأجنبية ليس السبب في الوضع الاقتصادي المزري الذي يعوق حياة الملايين من البشر بسبب عدم معرفتهم تلك اللغات .

إن الناظر في المبدأ السابق يجد أن التخطيط اللغوي يرفع شعاراً مضمونه : تعلم اللغات الأجنبية يعني والجهل بها يفتر . وهذا شعار يحمل في ثناياه تبعية لغوية وثقافية استعمارية . إن الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية لا يمكن تجاوزها عن طريق تقديم لغات واسعة الانتشار ، بل عن طريق تغير اجتماعي يدعو إلى تغيير العلاقات بين الأفراد أنفسهم . وهكذا نرى أن المبدأ السابق يربط التخطيط اللغوي بالتطور الاقتصادي ، وهذا ناجم عن تأثير نظرية التحديث (Modernization) في فكر التخطيط اللغوي في السبعينيات والستينيات من هذا القرن . إن هذا المبدأ يساعد على استمرار الوضع الراهن كما هو دون حل مشكلات الدول النامية لغويًا . وهكذا نجد أن تعريف المشكلة اللغوية يعتمد على فلسفة فكرية تخطيطية تختلف من بلد إلى بلد ، فالمشكلة اللغوية للدول النامية في نظر الدول المتقدمة هي إحلال اللغات الأجنبية بوصفها لغات عالمية محل اللغات الوطنية . وإذا فهمنا الأيديولوجية المسيطرة على فكر التخطيط اللغوي التي ترى أن حل مشكلات الدول النامية تأتي عن طريق التطوير ، وأن التطوير يتم عن طريق التحديث وأن التحديث هو التغيير ، فلا عجب أن نرى مثل هذه الطروح السابقة .

٢ - في الدول النامية ، تساعد معرفة الفرد للغة ذات انتشار واسع كالإنجليزية والفرنسية على تحسين الدخل كماً ونوعاً . هذا المبدأ يقيس المعرفة اللغوية بالقياس الكمي الرقعي .

فاللغة ليست سلعة تباع وتشترى ، ولن يستهان بها أو مواد صناعية يمكن صناعتها وبيعها بأسعار منافسة ، ثم إن اللغة ليست مادة خاصة للقياس . إن هذا الإصرار في الربط بين النمو الاقتصادي والاستعمال اللغوي يعكس اتجاهًا في العلوم الاجتماعية يشير إلى أن قيمة أي علم من العلوم مرهونة بالفائدة المادية وتحليله الكمي ، وهذا الاتجاه صدى للنظرية الرأسمالية ، في حين نجد أن اللغة لا تخضع لكل هذه المعايير الاقتصادية ، والتحليلات الكمية ، ونظرية الكلفة والفائدة .

٣ - في الدول النامية ، إذا أراد الأفراد التكيف مع التغيرات في النمو المهني والصناعي ، فإن عليهم أن يكونوا على اطلاع ووعي بالاستعمال اللغوي ، ومعرفة باللهجات والمصطلحات التخصصية . يتطلب هذا المبدأ من الأفراد في الدول النامية معرفة اللغات التي تستورد من بلاد أصحابها الآلات والمواد الصناعية ، حتى يتم استعمالها على أكمل وجه . حتى يحصل الإنسان على بضائع أفضل ، يجب أن يتقن أكثر من لغة ، هذه فرضية قابلة للأخذ والعطاء ، بدليل أن الفلاح الذي يستعمل المحرار الزراعي قد يعطي أجزاءه أسماء لا تطابق التي أعطاها إياها مخترع الآلة ، ومع ذلك يستطيع ذلك الفلاح الأمي أن يستعمل الآلة استعمالاً موفقاً . إن ربة البيت التي تستعمل غسالة من صنع أمريكي ، وخلطاً من صنع فرنسي ، ومكنسة كهربائية من صنع ألماني ، ومنظفه السجاد من صنع روسي ، دون أن تتعلم تلك اللغات ، لدليل على أن الفرضية السابقة غير صحيحة على إطلاقها ثم لا أحد ينكر أهمية معرفة اللغة الأجنبية .

إن معرفة المصطلحات واللغات الأجنبية من قبل فريق من المختصين قد يكفي لسد هذه الذريعة ، لكن أن يصبح تعلم اللغات الأجنبية ذات الانتشار الواسع فرض عن على كل فرد يريد مجاراة الدول المتقدمة فهذا زعم خاطئ .

ثم لا عجب أن نرى في المجلات والجرائد العربية إعلانات للوظائف حيث تشرط إتقان اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة وتحدثاً من أراد أن يعمل طباخاً أو حارساً أو مراسلاً . وهذا يدل على أن هذه العدوى اللغوية قد استشرت حتى وصلت إلينا من حيث ندرى ، أو لا ندرى . لماذا لا ينسحب هذا الشرط على اللغة العربية ؟ وفي هذا السياق يقول محمود (١٩٨٤ : ١١٧) « وليس تشجيع تعلم اللغات الأجنبية واشتراطها في بعض الوظائف في العالم العربي بالذات إلا نوعاً من التبعية ، ونوعاً من الاعتراف بأن لغة العدو المستعمر لها في بلادنا من المكانة مala تستحقه ، وهذا التشجيع للغات الأجنبية ليس في حقيقته إلا تبعية فكرية ثقافية ، وتغريباً ضرورياً لعدد من أبنائنا وهو في الوقت نفسه حرب للغتنا وإحلال لغة أخرى محلها ، وإدخال للغة القرآن الكريم ، غير أن كلامنا هذا لا يعني أن نرفض تعليم اللغات الأجنبية في عالمنا الإسلامي ، وإنما يعني أن تكون للغة العربية المكانة الأولى في العالمين العربي بالذات والإسلامي بعامة » .

٤ - في الدول النامية ، تتطلب التجارة الدولية معرفة لغات ذات انتشار واسع . يجب ألا ننكر أهمية اللغات الأجنبية في التجارة الدولية ، فلو أخذنا الأردن على سبيل المثال حيث غالبية سكانه من الريف والبادية ، فكم نسبة هؤلاء الذين يستغلون بالتجارة الدولية ؟ وكم نسبة هؤلاء الذين يحتاجون إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ؟ ثم هل كون اللغات الأجنبية ذات الانتشار الواسع هي لغات الدول المتقدمة سبباً مقنعاً لكي تكون لغات التجارة الدولية ؟ لماذا لا يعطي هذا الدور للغات القومية . لاحظ أنه عندما أصبح غالبية مستهلكي البضاعة الغربية من العرب ، بدأت الشركات المنتجة تصدر نشرات التعليمات باللغة العربية ، لأن المهم عندهم هو إيجاد سوق لتصادراتهم ولو كلفهم ذلك إصدار تعليمات الاستعمال باللغة العربية ، فالغاية عند الدول المتقدمة تبرر الوسيلة وهذا يعكس نظرية الفكر

الرأسمالي في التعامل مع الأشياء . إذن فسواء كنا مستهلكين أو متاججين ، يجب علينا تطوير اللغة القومية تطويراً يواكب متطلبات التجارة العالمية والدولية . وهكذا فإن دور اللغات الأجنبية مبالغ فيه ، ويجب ألا يكون على حساب دور اللغات القومية .

٥ - في الدول النامية ، يؤدي التجانس اللغوي (Linguistic Homogeneity) إلى التجانس الاجتماعي والمهني والوظيفي (Professional and Social Homogeneity) . لقد حدّدت كارول إيستمان (١٩٨٣: ٦٤) خصائص الدول المتتجانسة لغويًا والدول غير المتتجانسة لغويًا كما يلي :

الدول غير المتتجانسة لغويًا	الدول المتتجانسة لغويًا
١ - مناطق واسعة .	١ - مناطق صغيرة .
٢ - كثافة سكانية قليلة .	٢ - كثافة سكانية عالية .
٣ - مجتمعات زراعية .	٣ - مجتمعات صناعية .
٤ - درجة قليلة من التمدن والتحضر .	٤ - متحضررة ومتقدمة جداً .
٥ - معدل الدخل الفردي والقومي متوسط .	٥ - معدل الدخل الفردي والقومي قليل .
٦ - غير متطرفة اقتصادياً .	٦ - متطرفة اقتصادياً .
٧ - كثرة عدد منسوبي الدراسات العليا .	٧ - قلة عدد منسوبي الدراسات العليا .
٨ - عدم التجانس الديني .	٨ - التجانس الديني .
٩ - مستقلة سياسياً حديثاً .	٩ - مستقلة سياسياً .
١٠ - لم تكتمل نمواً وتطوراً .	١٠ - نمت وتطورت واستقرت .
١١ - نظام تسلطى .	١١ - الاستقلال الدستورى .
١٢ - القيادة الفردية .	١٢ - القيادة الجماعية .

إن الناظر في هذه الخصائص يرى أثر الأيديولوجية المسيطرة على الفكر الرأسمالي الغربي ، ويرى أن هذه الخصائص قد وضعت من منظور اقتصادي وسياسي غربي انعكست على الوضع اللغوي ، حيث عد التقدم السياسي والاقتصادي مؤشراً للتقدم والتفوق اللغوي ، كما يرى فوقة تلك الدول على الدول النامية وهذه فرضية فيها خلط وليس وغموض . فإذا طبقنا الخصائص سالفة الذكر على موقع اللغة العربية ، نجد أن كثيراً من هذه الخصائص لا ينطبق ، بل إن واقع اللغة العربية يجمع خصائص من تينك المجموعتين ، ولا عجب في ذلك لأن الأيديولوجية التي وصفت هذه الخصائص مختلفة عن الأيديولوجية التي تصف واقع اللغة العربية في الدول العربية بوصفها دولاً نامية .

وهذا يدل على أن التخطيط للغة العربية ولعملية التعريب ينطلق من أيديولوجية عربية إسلامية لا تتفق مع الأيديولوجية الغربية ، لذا يجب أن نأخذ مرئيات التخطيط اللغوي المتأثرة بالفكرة الرأسمالي بحذر شديد . إن ما ينطبق على تخطيط اللغات الأجنبية قد لا ينطبق على اللغة العربية وعملية التعريب ، آخذين بعين الاعتبار أن التخطيط اللغوي لا يقتصر على اللغة ذاتها بل يتعداه ليشمل مكانتها أيضاً .

ومن الجدير ذكره أن الناظر في الفرضية السابقة يفهم أن التجانس لم يكن يتحقق لو لا وجود لغات واسعة الانتشار كالإنجليزية والفرنسية ، ثم إن المشكلات المزعومة التي تعرّض عملية التعريب للغة العربية - على حد قولهم - تكفي لترشيح تلك اللغات الأجنبية لغات للحديث اليومي وأدوات للتعليم في العالم العربي .

يزعم بعض علماء التخطيط اللغوي الغربي أن العمل على تطوير اللغة العربية ونشر مفرداتها وتعليمها أمر مكلف اقتصادياً وفيه استهلاك للجهد والوقت ، لذا فإن استعمال لغة مثل الإنجليزية فيه توفير للجهاد والمال والوقت ، ناسين أو متناسين ما للتعلم

باللغة القومية من فوائد علمية ، وتربيوية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية . يجب ألا يغيب عن البال أن التجانس اللغوي لدى علماء التخطيط اللغوي الغربي هو تبني لغات ذات انتشار واسع وعلى وجه التحديد الإنجليزية والفرنسية . لذا ، فإن الاعتقاد بأن التجانس اللغوي يتحقق من خلال إحلال لغات أجنبية محل اللغات القومية هو زعم مرفوض جملة وتفصيلاً ، حيث لا يتحقق التجانس إلا باللغة القومية للوطن والدولة ، وهذا الزعم قد وضع ليجعلنا نلهث وراء الغرب حتى في مجال اللغة . يقول الرسول الكريم ﷺ لتر كبن سنن من كان قبلكم ثبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم ، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلمتم » أخرجه البخاري ومسلم (الألباني ، ١٩٧٩ : ٣٣٤) .

يجب ألا يغب عن الذهن أن مخططي اللغة قد بهرجوا فوائد التجانس اللغوي المتحقق من خلال استعمال لغات أجنبية كالإنجليزية ، حتى ينخدع المضللون ويصبحوا دعاة لهم ، وتخارب اللغات القومية من قبل أبناء جلدتها . يقول العالم (فسمان) ١٩٦٨ : إن البلاد المجانسة لغويًا تكون متقدمة اقتصادياً ، ومتحضرة مادياً وعلمياً ، ومستقرة سياسياً وفكرياً ، وأكثر تنظيماً وديمقراطية . وهنا يجب أن نبين بأن هناك نوعين من التجانس اللغوي . النوع الأول وهو الذي يتحقق من خلال اللغة القومية ، والنوع الثاني وهو الذي يتحقق من خلال اللغات الأجنبية ، وهذا يلاحظ في بلاد تكثر فيها اللغات واللهجات المحلية كالهند مثلاً ، مما يضطرها لتبني اللغة الإنجليزية ذات الانتشار الواسع لغة للتفاهم والاتصال والتواصل والتجارة الدولية . والسؤال المطروح الآن هو : أي النوعين أفضل ؟ والجواب بلا شك ولا ريب هو النوع الأول . إذ هل يعقل أن تكون هذه الفوائد التي ذكرها (فسمان) هي نتاجات مباشرة للنوع الثاني ؟ أو أنها وعد وآمال مستترة لمستعملة اللغات الأجنبية سواء الإنجلizية أو الفرنسية ؟

إن الفرضية السابقة تشير إلى علاقة سببية بين التجانس اللغوي المتحقق عن استعمال اللغات الأجنبية ، والاستقرار السياسي والفكري ، والثقافي ، والحضاري ، والاقتصادي . وهذه الفرضية قد تكون إحدى المغالطات المطعقة (Logical Fallacies) التي تخدم أهداف من هم وراء نشر الإنجليزية بوصفها لغة اتصال عالمي ، حيث يرى علماء التخطيط اللغوي الذين تأثروا بالفكرة الرأسمالي أن التحديث (Modernization) يؤدي إلى التغريب (Westernization) وأن التغريب يؤدي إلى التجانس اللغوي (Linguistic Homogeneity) وأن التجانس اللغوي يؤدي إلى الاستقرار السياسي ، والاقتصادي ، والحضاري ، والثقافي . إن التجانس اللغوي قد يكون نتيجة لتكامل عوامل عدّة وليس سبباً لها .

٦ - في الدول النامية ، نجد أن النمو الاقتصادي الحديث سابق على النمو اللغوي ، وأن النمو الاقتصادي ، والنمو اللغوي عمليتان متاليتان . إن الحاجة إلى بناء المصطلحات ، وتوليد المفردات التي توافق النمو الاقتصادي يجعل تبني لغات أجنبية ذات انتشار واسع أمراً لا مفر منه ، بدلاً من تطوير اللغات القومية والوطنية . إن الناظر في هذه المقوله يدرك أن النمو اللغوي والاقتصادي لا يتبع كل منهما الآخر لسبب يسير هو أن النمو اللغوي لا يخضع للقياس الكمي ، وال النوعي ، ولا لنظرية القيمة كالنمو الاقتصادي . ثم إن الاعتقاد بأن جاهزية اللغة الأجنبية أوفر مادياً ، وجهداً ، ووقتاً من تطوير اللغة القومية أمر غير مقنع ، ومرفوض علمياً ، وقومياً ، ووطنياً . وبالإضافة إلى ذلك ، إن الادعاء بأن اللغات ذات الانتشار الواسع أكثر قدرة على استيعاب التفجر المعرفي يشير إلى التفاضل والتباين بين اللغات ، وهو أمر لا تقره المدارس اللغوية . إن علم اللغويات الحديث يشير إلى أن كل لغة قادرة لغويًا على التعبير ونقل الأفكار وحفظ التراث ، وأن فكرة فوقيّة اللغات وأفضليتها اعتقاد خاطئ . إن الحكم

على كفاءة لغة ما من منظور يرى ملائمة قدرة مفرداتها على استيعاب المصطلحات العلمية هو حكم من منظور فكري غربي ينادي بإحلال اللغات الأجنبية محل اللغات القومية لعجزها عن مواكبة التقدم الاقتصادي . ومرة أخرى نرى دعوة صريحة لتبعة لغوية فرضتها أيديولوجية غربية هدفها السيطرة والهيمنة حتى تبقى تلك الدول النامية تدور في فلكها وتبقى سوقاً لاستهلاك متوجهاتها . حيث نجد أن الدول المتقدمة في ظل هذه المنظومة الفكرية ترى أن اللغة سلعة غالبية ولا بد من إيجاد سوق لاستهلاكها ، ولا يوجد سوق أفضل من الدول النامية . وهذا ليس بغرير ، لأن الأيديولوجية المسيطرة على فكر التخطيط اللغوي الغربي تؤمن بأن السبيل الوحيد لتطوير الدول النامية هو التغريب (Westernization) والتغريب ليس فكرياً وتكنولوجياً فقط بل لغوياً أيضاً وهذا المنحى يخالف الهدف الذي من أجله قام علم التخطيط اللغوي حل المشكلات اللغوية . فالحكم بأن اللغة إذا كانت غير قادرة على استيعاب المخترعات العلمية أو غيرها وجب التخلص منها وتبني اللغة الإنجليزية ذات الانتشار الواسع هو حكم غربي متخيّر .

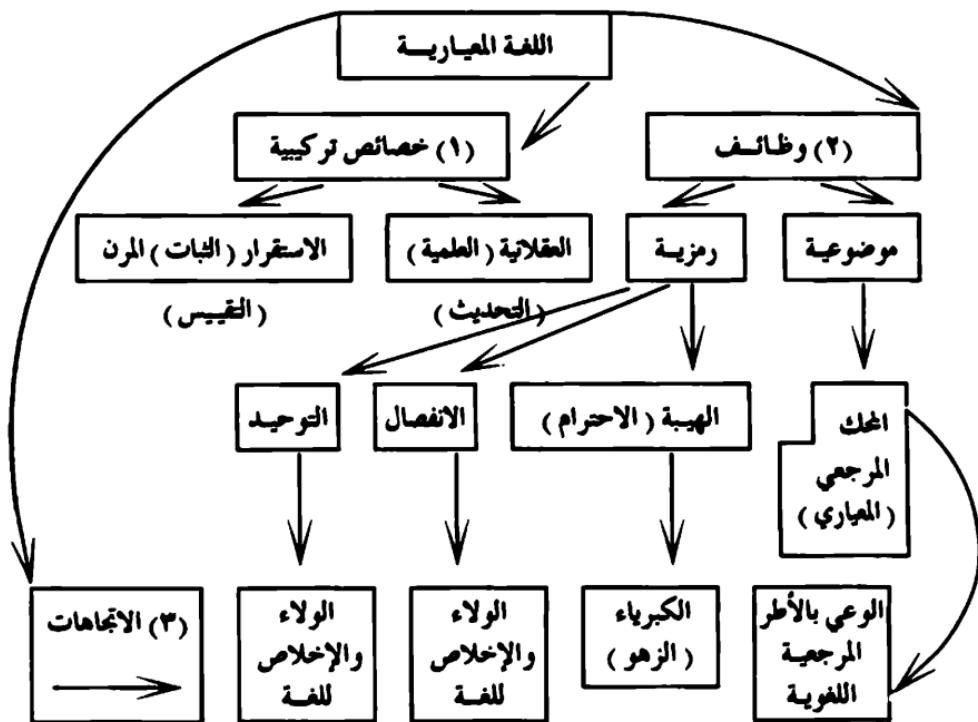
٧ - تعد الدول المتقدمة اقتصادياً متقدمة لغوياً ، وتعتبر الدول النامية اقتصادياً نامية لغوياً . يقول يرنود (Jernudd. 1977 : 41)

" It is commonplace in our time and our society to divide nations into categories of ' developing' and ' developed' . Writings on Language tend to follow this division and discuss Language development within them, as though they were polar types, the one leading into the other . The so called ' developing ' nations may not have institutions that are materially the same as those of the ' developed ' nations ... "

إن الرابط بين تقدم الاقتصاد ، وتقدير اللغات ، وتقدير الدول أمر فيه كثير من المغالطات المنطقية . فلو أخذنا اللغة العربية مثلاً لهذا الرابط ، نجد أن الأمر لا ينطبق عليها إطلاقاً . صحيح أن الدول العربية تعد ضمن زمرة الدول النامية اقتصادياً ، لكن اللغة

العربية لا يمكن أن تعد في اللغات النامية أو البدائية . وهذا يثبت زيف الربط المزعوم بين تقدم الاقتصاد واللغات والنبل . فإن صلح هنا الربط في بلاد تزامن فيها التقدم الاقتصادي واللغوي ، فلا يصلح ذلك بالنسبة للغة العربية التي يشهد القاصي قبل الداني برقها ، وآكمال نموها النحوي والصرف ، وتطورها عن طريق النحت ، والاشتقاق ، والصرف ، والقوالب التركيبة (Molds) المعروفة تحت الجديد من المفردات وبنيتها .

يجب أن نذكر هنا أن معاير تقدم اللغات تقاس بخصائص لغوية معيارية وليس بمعايير اقتصادية . يذكر فارفن (Garvin, 1959) خصائص اللغات المعيارية الفصيحة (standard Language) كما هي موضحة في الشكل التالي :



شكل (٢) : خصائص اللغة المعيارية

يبين الشكل السابق أن اللغة المعاييرية الفصيحة هي شكل لغوي مؤطر مقياس مقعد ،
يمتاز بالخصائص الآتية :

- ١ - خصائص تركيبها (Structural Properties) تتميز بالثبات والمرونة (Flexible stability) والعلمية والدقة (Intellectualization) في وصف ما يستجد من ظواهر تستوعبها اللغة .
- ٢ - وظائف (Functions) رمزية (Symbolic) كتوحيد الأمة (Unification) وانفصالها وتميزها عن غيرها من الأمم ، وغرس الهيبة والاحترام (Prestige) في نفوس مستعملتها ، ووظائف موضوعية (Objective) كإيجاد محكّمات وأطر مرجعية (Frame of Reference) يحتكم إليها .
- ٣ - تكوين الاتجاهات وبناؤها (Attitudes) كالولاء للغة أو البراء منها والشعور بالكبرياء أو الزهو بها (Pride) ، وتنمية الوعي بالأطر المعاييرية المرجعية (Awareness of Norm) .

وهكذا نجد أن اللغة المعاييرية هي تلك التي لها خصائص تركيبية منطقية مرنة قابلة للتحداث والتطوير تؤدي وظائف رمزية ، وموضوعية ، وتولد اتجاهات فكرية ، واجتماعية ، ونفسية نحو تلك اللغة . إن المتخصص لهذه الخصائص يجد لها تسجم انسجاماً كاملاً مع خصائص اللغة العربية .

ومن الجدير ذكره أن دراسة خصائص اللغة العربية كانت محط أنظار علماء اللغة في الشرق والغرب لما لها من أثر في بناء النظرية اللغوية القديمة والحديثة . وهذا يجعلها في مصاف اللغات المتقدمة ، لا كما يعتقد منظرو التخطيط اللغوي الغربي . وفي هذا المجال يذكر كارم غنيم (١٩٨٩ : ٤٤ - ٥٥) الخصائص التالية للغة العربية : كونها لغة القرآن ، والوضوح ، والسهولة ، والمرونة ، والتطور ، والتنظيم ، والاقتصاد

والإيجاز ، وتتوفر وسائل النمو العقلي كالاشتقاق ، والإلصاق ، والمنطقية . ويضيف الأمير ناصر الدين (١٩٦٨ : ١٣ - ١٧) « أن اللغة العربية هي لغة الأعاجيب في وضعها الحكم وتنسيقها الدقيق ، فمن استطاع أن يستجلي غواصتها ، ويستقرئ دقائقها ، ولم بما هنالك من حكمة ، وفلسفة ، وبيان للدقائق ، وأسبابها المنطبقة على العقل والمنطق استيقن أن العربية قد وضعت بالهام من المبدع الحكيم جلت قدرته ، فالحدث عنها كالمحدث عن السماء وكواكبها ، وبروجها ، ونظمها الفلكي ، يذكر الأقل ويند عنه الأكثر ، أو كالمحدث عن البحر الجياش الغوارب الدائم المجزر والمد ، يقول شيئاً وتفوته أشياء » .

٨ - إذا أرادت الدول النامية أن تحمل مشكلاتها اللغوية ، فعليها أن تخدو حذو الدول المقدمة . إن اختلاف البيئات والأيديولوجيات المسيطرة على عمليات التخطيط اللغوي بين الشرق المسلم ، والغرب النصراني ، يبين أن ما يصلح للدول المقدمة قد لا يصلح للدول النامية . لقد تبين لنا أن لكل دولة أيديولوجية تحكم مسار التخطيط اللغوي وفلسفته . فمثلاً نشر اللغة العربية وتطورها مبني على فكر إسلامي تكون فيه اللغة وسيلة وغاية لنشر رسالة الإسلام وليس فرض الهيمنة اللغوية على غيرها من اللغات . إن الفلسفة التي تحكم عملية التعریب بوصفها ظاهرة تخطيط لغوي قد سمحت ببناء المصطلحات العربية وتوليدها ، ولم تنظر إلى اللغة العربية نظرة مقدسة لا تسمع بتطورها وتميّتها وتحديّتها . إذن ، فإن اختلاف فلسفات التخطيط اللغوي بين دولة ودولة يؤدي إلى تباين في مرجعيات التخطيط اللغوي ومعطياته ، ومبادئه . إن اعتبار بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من الدول المقدمة اقتصادياً ولغوياً ، لا يعني أن تبني الأردن ، بوصفها دولة نامية ، اللغة الإنجليزية ذات الانتشار الواسع حتى تصل إلى مصاف تلك الدول المقدمة . إن إحلال اللغات الأجنبية محل اللغات القومية في الدول النامية لا يؤدي إلى تقدمها ، لتباين البيئات والأيديولوجيات .

٩ - النظرة الاقتصادية للتخطيط اللغوي ، حيث تبين ما يلي :

- أ - يقوي الارتباط المادي باللغة الارتباط العاطفي والمعنوي بها .
- ب - تعد اللغة مصدراً من مصادر الشروء كغيرها من المصادر الطبيعية التي يجب استغلالها لزيادة الدخل القومي .
- ج - إن تطبيق نظرية تحليل الكلفة والفائدة عند التخطيط لرسم السياسة اللغوية يعود بالفائدة والنفع الكبير .

يقول روسي - لاندي (Rossi - Landy, 1974 : 1929) إننا نجد أنفسنا منشغلين بهذه اللغة وبوسائلها ، ويدو المجتمع اللغوي سوقاً كبيراً ، فيه الكلمات ، والجمل ، والمصطلحات ، سلعاً تجارية ترتفع وتتحفظ كما ترتفع وتتحفظ السلع التجارية .

وهكذا نرى أثر النظرة الاقتصادية في توجيه مرتيات التخطيط اللغوي برغم صعوبة تطبيق المعاير الاقتصادية الكمية على اللغة بوصفها عنصراً له قيمة معنوية لا تقاد بالمقاييس الاقتصادية . إن المنظور الاقتصادي للغة يهتم بالأرباح والخسائر المادية المترتبة على اتخاذ قرار يؤدي إلى تغير لغوي ، كتعريب التعليم العلمي الجامعي في بعض البلاد العربية . وكذلك نظرية الكلفة والقيمة ذات البعد الاقتصادي تمكّن المخطط اللغوي من معرفة مدى الربح والخسارة عند اتخاذ قرار يتعلق باختيار لغة ما لغرض ما في زمن ما في مكان ما ولناس ما . حيث إن هناك مشكلات لغوية وغير لغوية متعددة ، وهناك حلول متعددة ، ولكن جلوى هذه الحلول مرهونة بنظرية الكلفة والفائدة التي تدرس كم يكلف اختيار لغة ما من ناحية اقتصادية ، وكم تكون الخسارة المرافقة لذلك القرار آخرتين بعين الاعتبار بعد الزمان المتضرر حل مشكلة ما .

يقول ثوربيرن (Thorburn, 1971 : 258) إن نظرية تحليل الكلفة والفائدة تهدف إلى تحديد الفروق ، وحسابها ، وتقديرها في الاختيارات لحل مشكلة لغوية ، بمعنى آخر ، أي الاختيارات أقل تكلفة ، وأكثر فائدة من تلك التي يتم اختيارها . لهذا تهم نظرية تحليل الكلفة والفائدة بدراسة ما يلي :

- . (Inputs) . ١ - معرفة المدخلات
- . (Processes) . ٢ - معرفة العمليات
- . (Outputs) . ٣ - معرفة المخرجات (المستجات)
- . (Evaluation of Results) . ٤ - قياس النتائج من منظور اقتصادي

ولتوضيح ما سبق نأخذ مثلاً الاختيار بين تعریب المواد العلمية في الجامعات أو تدریسها بلغة أجنبية كالإنجليزية ، فالاختيار بين التعریب والتغیریب يتوضع فيما يلي :

- ١ - المدخلات وتشمل :

 - أ - الكلفة الاقتصادية المترتبة على التدریس باللغة الأجنبية كالإنجليزية .
 - ب - الكلفة الاقتصادية المترتبة على التدریس باللغة العربية بعد التعریب .
 - ج - عند حساب الكلفة المادية يؤخذ بعين الاعتبار حساب الزمن المطلوب لتحقيق أ و ب وتحويل قيمة الزمن إلى قيمة كمية مادية .

- ٢ - العمليات وتشمل :

 - أ - المباشرة في تدریس المواد العلمية باللغة الإنجليزية وهو الوضع القائم الآن في أغلب الدول العربية باستثناء سوريا .
 - ب - المباشرة بتدریس المواد العلمية باللغة العربية .
 - ج - رصد المشكلات التي تواجه المخططين اللغوين عند تنفيذ الخططين .

- ٣ - المخرجات وتشمل :

 - أ - التحصيل والمعرفة الناتجين عن التدریس باللغة العربية .
 - ب - التحصيل والمعرفة الناتجين عن التدریس باللغة الإنجليزية .

٤ - تقويم المنتجات وتشمل :

- أ - الفوائد المترتبة على التعلم باللغة العربية كتحقيق الوحدة الوطنية ، ومبدأ تكافؤ الفرص بين الخريجين ، وإغناء الثقافة الوطنية والقومية (انظر الصيادي ، ١٩٨٥ ، شاهين ١٩٨٦ ، غنيم ، ١٩٨٩) .
- ب - الفوائد المترتبة على التعليم باللغة الأجنبية كالإنجليزية ، كالحصول على فرص عمل أكثر لاتساع انتشار تلك اللغة - ومتابعة الدراسات العليا في البلاد الأجنبية ، والاطلاع على ما ينشر من علوم ومعارف في الدوريات وال المجالات العلمية المنشورة باللغة الإنجليزية ، وغير ذلك من الفوائد .
- إن التفحص لتقويم المنتجات يجد صعوبة في إعطاء قيمة رقمية وكمية للفوائد المعنوية لكل من التعريب أو التغريب ، ثم من يملك قرار إعطاء قيم رقمية لهذه الفوائد ؟ إذ سوف تختلف هذه القيم فيما لو أعطيت حسب التوجه الفكري لأصحاب قرار إعطاء القيم ، فإنماء التراث القومي بتجدد البنى العربية قد لا يشمن بالدولارات عند أحدهم ، وفي الوقت نفسه قد لا يساوي شيئاً عند آخرين .

يدعى أصحاب نظرية تحليل الكلفة والفائدة أنه بالإمكان أن نقدر تكلفة مشروع تبني لغة أجنبية ، ومشروع التعريب أو تبني لغة وطنية ، حيث تحسب كلفة تدريب المختصين وتوفير الجهاز الإداري الفعال اللازم لتنفيذ الخطة . وما يجب ذكره أن الأمور المادية يمكن تخمين قيمتها ، ولكن كيف يمكن أن نخمن قيمة تحقيق الوحدة الوطنية وإغناء الثقافة القومية وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص مادياً ؟ من هنا نرى أثر الفكر الاقتصادي الرأسمالي في توجيه مرتبات التخطيط اللغوي وعندها فلا نعجب لهيمنة النظرة الاقتصادية ، وسيطرتها على عقول المخططين اللغويين في القرن العشرين ، فاللغة قيمتها بقيمة الربع المادي الذي تدره على مستعملها ، وذلك الربع المادي للغة يجعلها مصدراً من مصادر الثروة العزيزة ، وهذا الشعور يولد انتماء وولاء متميزين .

الملاصقة :

في أي علم من العلوم تشكل المعطيات وال المسلمات النظرية أساساً يرتكز عليه ذلك العلم ، فإذا صحت وصلحت هذه المسلمات ، صبح العلم القائم عليها . وهكذا رأينا أن بعض المسلمات والبديهيات التي بني عليها التخطيط اللغوي خاطئة وغير صحيحة ، لأن المرتكزات التي قامت عليها غير صحيحة . لقد رأينا أن هناك دعامتين أساستين للخطيط اللغوي هما : البيئة التي يجري فيها التخطيط ، والفكر الذي يدور بفلكه .

لقد رأينا أن البيئة التي استخلصت منها البديهيات السابقة هي بيئة الدول الغربية المتقدمة ، وأن الفكر المهيمن هو الفكر الاقتصادي الرأسمالي . ولذا رأينا أن ما يصلح لبيئة الدول المتقدمة لا يصلح لبيئة الدول النامية ، وأن فلسفة الفكر الغربي قد ولدت اتجاهات في فكر التخطيط اللغوي لا تناسب الدول النامية . وهكذا فقد ظنت الدول المتقدمة اقتصادياً أن تحضير الدول النامية وتطويرها يتم عن طريق التغريب (Westernization) ، وأن التغريب يتم عن طريق تقليد تلك الدول اقتصادياً ، وإحلال لغاتها محل اللغات القومية في الدول النامية . وهكذا رأينا أن المغالطات في تلك المريئات قد نتجت عن طريق ربط التقدم الاقتصادي باللغة ، وظن المخططون اللغويون أن المكاسب الاقتصادية في الدول المتقدمة قد نتجت بسبب تبني لغات ذات انتشار واسع ، وهذه العلاقة السببية بين التقدم الاقتصادي واللغة هي التي أوقعتهم في كثير من المغالطات . ولم يقتصر هذا الأمر على ذلك ، بل تعدد إلى الزعم بأن الدول المتقدمة اقتصادياً عدت متقدمة لغويًا أيضًا ، والدول النامية اقتصادياً عدت نامية لغويًا .

إن الفرق بين الدول المتقدمة والنامية قد انسحب على اللغات وهذا غير صحيح ، كما رأينا الحال بالنسبة للغة العربية ، لذا فإن اعتبار أن الدول النامية تتمتع بلغات نامية ، وأن الدول المتقدمة تتمتع بلغات متقدمة ، مغالطة منطقية جسيمة . وبذلك المعايير يستدل الدارس على خطأ أن اللغة العربية لغة نامية لأن أصحاب اللغة يقعون في دائرة

الدول النامية ، في حين يجب أن نعلم أنه إذا ضعف العرب ورکنوا إلى الخمول العلمي فلا يعني هذا بأي حال أن اللغة العربية في حد ذاتها نامية ؟ بمعنى كونها قاصرة وعاجزة عن تلبية حاجات المجتمع ، لأن المجتمع العربي أصبح مجتمعًا مستهلكاً يستورد الأفكار واللغات الأجنبية والمصطلحات كما يستورد التماعل والملابس . إذن ، فالغريب والقصور ليس في اللغة العربية بل يكمن في أهل اللغة ، إذ كيف غلوك إطلاق التسميات على أشياء من غير صنعنا وإناتجنا ؟ وهل يملك تسمية الآبن غير أبيه أو ولد أمره ؟ ولكن إذا كان الأب أو ولد الأمر جاهلاً فلتتوقع ما شاء من التسميات الغريبة ؟ مثل « جحش » و « دبس » و « كديش » وغير ذلك من الأسماء المنفرة . إذ إن الوعي اللغوي والفكري الإسلامي ينعكس انعكاساً إيجابياً ليس فقط على اختيار الأسماء الحسنة بل على تطوير اللغة العربية وتنميتها .

ثم رأينا أن تطبيق نظرية تحليل الكلفة والفائدة يجعل من اللغة مادة أو وسيلة تقاد وتعطى قيمة كمية ورقمية تشير إلى ربح أو خسارة ، في حين نجد أن قيمة اللغة لا تقاد بالأوزان الكمية ولا تقدر قيمتها بالأثمان النقدية المعروفة ، فقد يبذل المرء روحه رخيصة في سبيل لغته . لقد رأينا أن الطلبة الأسرائليين في معهد (التخنيون) في فلسطين المحتلة قد تظاهروا وطالبو رئاسة الجامعة أن يدرسوا باللغة العبرية بدلاً من الإنجليزية برغم سهولة الإنجليزية وصعوبة العبرية .

إن بناء معطيات التخطيط اللغوي على خلفية اقتصادية أدى إلى تكوين نظرية نفعية للغة ، جعلتها كأي أداة تهترئ وتصلح ، وترمى إذا لم تكن ذات جدوى . ثم إن التبريرات لاستعمال لغات أجنبية ذات انتشار واسع في الدول النامية ، من حيث إنها أقل تكلفة ، وإنها سبب في التقدم الاقتصادي والعلمي أمر غير مقبول ومرفوض جملة وتفصيلاً .

وهذه التبريرات تجعل من التخطيط اللغوي علمًا ينادي بالتبغية اللغوية وهو بذلك يزيد المشكلات اللغوية تعقيداً بدلاً من حلها . وما يجب ذكره أن التبغية اللغوية صورة وشكل من أشكال الغزو الفكري .

وفي هذا السياق يذكر محمود (١٩٨٤ : ٩ - ١٠) أن « الغزو الفكري هو أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب فضلاً عن أن تحمل محلها أو تجاريها بإحياء اللهجات العامية ، والإقليمية ، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة - كما يجمع على ذلك العلماء - فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفkerها ، وإحلال لغة أمة محل لغة أمة هو إجبار للأمة المغلوبة على أن تفكـر كما تفكـر الأمة الغالبة وأن ترى من العادات والتقاليد مثل ما ترى صاحبة اللغة الغازية ، وما سكتـتـ أمة غازية في تاريخـناـ المعاصر عن لغـةـ أمةـ مـغـزـوـةـ ، وإنـماـ تـخـطـطـ لـحـربـهاـ بـنـفـسـ الـضـراـوةـ الـتـيـ تـخـطـطـ بـهـاـ لـلـاسـتـيلـاءـ عـلـىـ مـقـدـراتـهـاـ الـاقـصـادـيـةـ ،ـ وـلـيـسـ الصـورـةـ المـاثـلـةـ أـمـامـاـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ بـلـدـانـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ ،ـ وـفـيـ كـثـيرـ مـنـ بـلـدـانـ الـعـالـمـ النـاميـ بـعـيـدةـ عـنـ الـأـذـهـانـ » .

وخلالـةـ القـولـ أنـ التـخـطـيطـ الـلـغـويـ يـجـبـ أـلـاـ تـبـنـىـ مـسـلـمـاتـهـ عـلـىـ تـجـارـبـ دـوـلـ دـوـنـ أـخـرـىـ ،ـ وـيـجـبـ أـنـ يـأـخـذـ بـعـيـنـ الـاعـبـارـ كـذـلـكـ اـخـتـلـافـ الـبـيـانـاتـ وـالـأـيـديـوـلـوـجـيـاتـ السـائـدـةـ فـيـ مـخـلـفـ الـبـلـدـانـ حـتـىـ تـقـومـ تـلـكـ الـمـعـطـيـاتـ عـلـىـ أـسـسـ صـحـيـحةـ .

المراجع العربية

- ١ - القرآن الكريم ، سورة الحجر .
- ٢ - الألباني ، محمد ناصر الدين (١٩٧٩) . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها . الكويت : الدار السلفية .
- ٣ - الجوهرى ، عبدالهادى وآخرون (١٩٨٦) . دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي . جامعة القاهرة : مكتبة نهضة الشرق .
- ٤ - السيد ، محمود (د. ت) في قضايا اللغة التربوية . الكويت : وكالة المطبوعات .
- ٥ - الصيادى ، محمد المنجى (١٩٨٥) . التعرير وتنسق في العالم العربي . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- ٦ - المبارك ، مازن (١٩٧٣) . اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- ٧ - أنيس ، إبراهيم (١٩٧٠) . اللغة بين القومية والعالمية . القاهرة : دار المعارف .
- ٨ - بنت الشاطئ ، عائشة (١٩٧١) . لغتنا والحياة . القاهرة : دار المعارف .
- ٩ - شاهين ، عبدالصبور (١٩٨٥) . « قدرة العربية على استيعاب علوم العصر » . الأمة ، ع . ٦١ .
- ١٠ - شاهين ، عبدالصبور (١٩٨٦) . العربية لغة العلوم والتكنولوجيا . القاهرة : دار الاعتصام .
- ١١ - عطار ، أحمد عبد الغفور (١٩٧٩) . دفاع عن الفصحى . جدة : دار الشروق .
- ١٢ - غنيم ، كارم (١٩٨٩) . « اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة » عالم الفكر ، م . ١٩٠ ، ع . ٤ ، ص . ٣٧ - ٨٠ .

- ١٣ - فيصل ، شكري (١٩٨٧) . « التحدي اللغوي » ، التحديات الحضارية والغزو الثقافي . الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- ١٤ - محمود ، علي عبدالجليل (١٩٨٤) . « أضواء على مفهوم الغزو الفكري » ، في الغزو الفكري والتىارات المعادية للإسلام . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ١٥ - ناصر الدين ، الأمير نديم (١٩٦٨) . دقائق العربية . بيروت : مكتبة لبنان .
- ١٦ - وافي ، علي عبدالواحد (١٩٨٣) . اللغة والمجتمع . الرياض : عكاظ .

REFERENCES

1. Chejen, Anwar. (1969) . The Arabic Language : its Role in History. Minneapolis : University of Minnesota Press.
2. Eastman, Carol. (1983) . Language Planning : An Introduction . Chardler and Sharp Publishers, Inc.
3. Das Gupta, J. and Charles Ferguson. (1977) . " Problems of Language Planning " in Rubin, Jernudd, Das Gupta, Fishman and Ferguson, eds. (1977) . Language Planning Processes . The Hague : Mouton .
4. Ferguson, Charles. (1968) . " Language Development ", in Fishman, Ferguson, and Das Gupta, eds. (1968), PP. 27 - 35 .
5. Fishman, Joshua . (1968) . " Some Contrasts Between Linguistically Homogeneous and linguistically Heterogeneous Politics ". in Fishman, Ferguson, and Das Gupta, eds. (1968), pp. 53 - 68 .
6. Fishman, Joshua . (1973). " Language Modernization and Planning in Comparison with Other Types of National Modernization and Planning " . Language in Society, Vol. 2, No. 1.
7. Fishman, Joshua, ed. (1974). Advances in Language Planning . Mouton.

- 8 . Fishman, Joshua, Charles Ferguson, and Jyotirindra Das Gupta, eds. (1968) . Language Problems of Developing Nations . John Wiley and Sons .
- 9 . Gallagher, Charles, (1971) . " Language Reform and Social Modernization in Turkey ", in Rubin and Jernudd, eds. (1971) . Can Language Be Planned ? East West Center, Honolulu : University of Hawaii Press.
- 10 . Garvin, Paul . (1959). " The Standard Language Problem : Concepts and Methods ", Anthropological Linguistics, Vol. 1, No. 3, PP. 28 - 31 .
- 11 . Haugen, Einar. (1959) . " Planning for a Standard Language in Modern Norway ", Anthropological Linguistics, I, pp. 8 - 21 .
- 12 . Haugen, Einar (1965) . " Construction and Reconstruction in Language Planning : Ivar Aasen's Grammar ", Word Vol. 21, No. 2, pp. 188 - 207 .
- 13 . Haugen, Einar, (1966) . " Linguistics and Language Planning ", in Haugen (1972) pp. 159 - 190 .
- 14 . Nahir, Moshe . (1977) . " The Five Aspects of Language Planning " Language Problems and Language Planning . Vol. 1, No. 2, pp 107 - 124 .
- 15 . Neustupny', Jiri (1970) . " Basic Types of Treatment of Language Problems ". in Fishman, ed. (1974), pp. 37 - 48 .
- 16 . Rossi - Landy, Ferrucio (1974) . " Linguistics and Economics ", in Sebeok, ed. (1974) . pp. 1789 - 2012 .
- 17 . Rubin, Joan. (1971). " Evaluation and Language Planning ". in Rubin and Jernudd, eds. (1971) Can Laguage Be Planned ? East West center, Honolulu : University of Hawaii Press .
- 18 . Rubin, Joan and Bjorn Jernudd, eds. (1971) . Can Language Be Planned ? Sociolinguistic Theory and Practic for Developing Nations . East - West Center Press .

- 19 . Rubin, Joan, Bjorn Jernudd, Jyotirindra Das Gupta, Joshua Fishman, and Charles Ferguson, eds. (1977) . Language Planning Processes . Mouton .
- 20 . Sebeok, Thomas, ed. (1974) . Current Trends in Linguistics 12 . Mouton .
- 21 . Tauli, Valter (1968) . Introduction to a Theory of Language Planning . Uppsala : Universitry of Uppsala .
- 22 . Thoruburn, Thomas (1971) . " Cost - Benefit Analysis in Language Planning ", in Rubin and Jernudd, eds. (1971), pp. 253 - 262 .

الفلسفه المسلمون وفن الشعر الأسطري في دراسات المستشرقين الألمان

د. زياد صالح الزعبي

جامعة اليرموك

- ١٠ -

عرف العرب كتاب الشعر الأسطري منذ القرن التاسع الميلادي فقد اختصره الفيلسوف العربي الكندي (ت ٢٥٢ هـ) ، كما ترجمه بعد ذلك ، عن السريانية متى بن يonus (ت ٣٢٨ هـ) ، وشرحه أو اختصره الفلاسفة المسلمين : الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) ، وأبن سينا (ت ٤٢٨ هـ) وأبن رشد (ت ٥٩٥ هـ)^(١).

وعرفت أوروبا هذا الكتاب أول مرة في القرن الثالث عشر من خلال ترجمة لاتينية وضعها Wilhelm von Moerbeke ، لم ترك في حقيقة الأمر أي أثر أو صدى في العالم الأوروبي آنذاك . وفي القرن نفسه ترجم هرمانوس ألمانوس Hermannus Alemannus شرح ابن رشد لكتاب الشعر الأسطري ، واعتمداً على هذه الترجمة ظهرت أول طبعة للكتاب في أوروبا تحت عنوان :

Determinatio in poetria Aristotilis في البندقية عام ١٤٨١ م . لكن هذا العمل لم يستطع أن يقدم لقارئه إلا صورة غامضة جداً عن المضمون الحقيقي لكتاب الشعر . وظل الأمر كذلك حتى نشر جيورجيو فلا Giorgio Valla ترجمة لاتينية للكتاب في البندقية عام ١٤٩٨ م ، عدت نقطة البداية الحقيقة لمعرفة كتاب الشعر في أوروبا^(٢) .

ومنذ ظهر كتاب «الشعر» الأرسطي في أوروبا أصبح محوراً لعدد ضخم من الدراسات التي كرسـت للبحث في أصوله ، ونصـه ، ونقدـه ، وقضاياـه ، وتركـه ، وبالتالي ، آثارـاً عميقـة وواسـعة في تاريخـ الآدـاب الأوروبيـة جـميعـها^(٣) .

أما في العالم الإسلامي فقد كـاد الاهتمام بهذا الكتاب يـحصرـ في دائـرة الفلـاسـفة الذين رأـوا فيه جـزءـاً من آثارـ أـرسطـو الفلـسـفـية التي اهـتمـوا بها ، ولـذا فإنـ الكتاب لم يـتركـ آثارـاً عمـيقـة كـذلكـ التي تـركـها على الأـدب والنـقـدـ في أـوروـبا ، وإنـ تركـ بعضـ آثارـ على النـقـدـ العـربـيـ يمكنـ تـبـينـها وـتـبعـها في بعضـ الكـتبـ النـقـديةـ والـبلاغـيةـ^(٤) .

لقد كانـ منـ الطـبـيعـيـ أنـ يـفـيدـ الغـرـبيـونـ منـ التـرـجـماتـ والـشـروحـ والـتـلـخـيـصـاتـ العـرـبـيـةـ لـكتـابـ الشـعـرـ «ـالـأـرـسـطـيـ» ، وبـخـاصـةـ أـنـ هـذـهـ التـرـجـماتـ والـشـروحـ قدـ ظـهـرـتـ فـيـ فـتـرـةـ مـبـكـرـةـ ، وـأـنـهـ كـانـواـ بـحـاجـةـ ، فـيـ إـطـارـ اـهـتـمـامـهـ بـنـقـدـ نـصـ كـتابـ الشـعـرـ ، إـلـىـ الـاطـلـاعـ عـلـىـ صـورـهـ وـرـوـايـاتـهـ الـأـخـرىـ ، وـمـنـ بـيـنـهـ الصـورـ وـالـنـقـولـ الـعـرـبـيـةـ ، وـمـنـ ثـمـ فـقـدـ كـانـ اـهـتـمـامـ الـغـرـبـيـنـ بـالـتـرـجـمـةـ أـوـ الشـروحـ أـوـ التـلـخـيـصـاتـ الـعـرـبـيـةـ مـرـتـبـطاـ بـعـلـمـهـ بـهـذـهـ الـكـتابـ وـتـعـقـيقـ نـصـهـ^(٥) ، وـهـذـاـ أـمـرـ يـدـوـ جـلـيـاـ فـيـ عـمـلـ لـازـيـتوـ F. Lasinioـ الـذـيـ نـشـرـ لأـوـلـ مـرـةـ تـلـخـيـصـ ابنـ رـشـدـ لـكتـابـ الشـعـرـ فـيـ بـيـزاـ عـامـ ١٨٧٢ـ مـ ، وـفـيـ عـمـلـ مـرـجـليـوـثـ Margoliouthـ الـذـيـ كـانـ أـوـلـ مـنـ نـشـرـ تـرـجـمـةـ متـىـ بـنـ يـونـسـ لـكتـابـ الشـعـرـ الـأـرـسـطـيـ عـامـ ١٨٨٧ـ مـ فـيـ لـندـنـ ، وـنـشـرـ مـعـهـ كـذـلـكـ فـنـ الشـعـرـ مـنـ كـتابـ الشـفـاءـ لـابـنـ سـيـناـ ، وـيـظـهـرـ أـنـ مـرـجـليـوـثـ قـدـ تـوـخـيـ بـهـذـاـ النـشـرـ غـرـضـيـنـ اـثـنـيـنـ :

١ - تعـريفـ الـغـرـبـ بـالـصـورـةـ الـتـيـ اـتـخـذـهـ كـتابـ الشـعـرـ عـنـ الـشـرـقـيـنـ ، وـمـاـ كـانـ لـهـ مـنـ آثرـ فـيـ نـظـرـتـهـ إـلـىـ الشـعـرـ .

٢ - تقرير الترجمة العربية إلى المشتغلين بالدراسات الأرسطية ، بحيث يتيسر لهم الانتفاع بهذه الترجمة في تحقيق النص اليوناني ^(٦) .

وهذا ما بدا واضحاً ، بعد ذلك ، في اعتماد عدد من الباحثين الغربيين في كتاب الشعر على الترجمة العربية لتصحيح النص اليوناني ، بل إن هذه الإفادة هي التي دفعت أكاديمية العلوم في فينا إلى تأليف «لجنة لنشر الترجمات العربية مؤلفات أرسطو» تألفت من مجموعة من العلماء ، قررت تكليف د. ياروسلاوس تكاشن القيام بنشر ترجمة متى بن يونس ودراستها . وقد قام تكاشن بعمله هذا على مدى عشرين عاماً ، وأصدر كتابه Die arabische Übersetzung der Poetik des Aristoteles Und die Grundlage der kritik der Griechen Textes .

«الترجمة العربية لفن الشعر الأرسطي وقواعد نقد النص اليوناني» . وقد جاء هذا الكتاب في جزأين صدر الأول عام ١٩٢٨ . وصدر الثاني عام ١٩٣٢ . وكان عمل تكاشن عملاً كبيراً عني بصورة رئيسة بنص ترجمة متى بن يونس وتحقيقه ، كما وقف عند كتابات الفلسفه المسلمين عن «الشعر» ، «الأرسطي» ، وبالذات ما كتبه ابن سينا وابن رشد ، أما الفارابي فلم تكن كتاباته قد ظهرت آنذاك ^(٧) .

وفي عام ١٩٣٤ نشر Richard Walzer مقالة بعنوان :

Zur Traditionsgeschichte der aristotelischen Poetik

«في الرواية التاريخية لفن الشعر الأرسطي» . عالج فيها مسألة رواية «فن الشعر» عند العرب ، ومصادر الفلسفه المسلمين في شروحهم لكتاب الشعر ^(٨) .

ونشر آرثر أربري A. Arberry رسالة الفارابي «رسالة في قوانين صناعة الشعراء» عام ١٩٣٨م ^(٩) . وبهذا يكون المستشرقون قد نشروا الترجمة العربية القديمة لكتاب الشعر الأرسطي ، وشرح الفلسفه العرب له .

وقد صدرت وقتذاك دراسة للمستشرق الإيطالي غابرييلي Gabrieli (عام ١٩٢٩) حول « جمالية الشعر العربي من خلال شرح ابن سينا وابن رشد لكتاب الشعر الأرسطي ». وفي هذه الدراسة تجاوز غابرييلي البحث في النص ونقده ، وعمد إلى دراسة شرح ابن سينا وابن رشد من وجهة نظر تاريخ الأدب العربي ، وتاريخ الثقافة العربية ، ووقف عند بعض المسائل الفنية مثل فكرة التخييل الواردة عند ابن سينا^(١٠).

- ٤٠ -

إن العرض التاريخي الموجز لاشتغال المستشرقين الغربيين بالترجمة والشروح العربية لكتاب الشعر الأرسطي تظهر مدى اهتمامهم بالنص ، وأصوله ورواياته ، ونقده أو ما اصطلاح عليه بالألمانية *Textkritik* ، وإن المستشرقين الألمانيين تكاثر و فالنذر لم يخرجا في عملهما عما قام به الآخرون . ويظهر أن استكمال مهمة نشر النصوص المتعلقة بكتاب الشعر الأرسطي ، قد صرف الاهتمام منذ نهاية الثلاثينيات من هذا القرن عن العودة إلى هذه النصوص لدراستها وبحث القضايا التي تتضمنها . وقد ظل الأمر كذلك حتى ظهر كتاب حازم القرطاجني « منهاج البلاء وسراج الأدباء » عام ١٩٦٦ الذي شكل نقطة انطلاق جديدة للبحث مجدداً في الترجمة والشروح العربية لكتاب الشعر الأرسطي ، وذلك لأن حازماً القرطاجني قد بنى تصوراته النقدية على أساس أرسطية استقامتها من كتابات الفلاسفة المسلمين ، وبخاصة الفارابي وابن سينا ، وشكل بذلك استثناء ، خرق التصور السائد لدى المستشرقين بأن كتاب الشعر الأرسطي لم يترك أثراً على النظرية الأدبية عند العرب . وبعد صدور كتاب « منهاج البلاء ... » بحوالي ثلاث سنوات صدرت دراسة المستشرق الألماني فولفهارت هاينريكس Wolfram Heinrichs :

Arabische Dichtung und Grieschische Poetik. Hazim Al - Qartağannis

Grundlegung der Poetik mit Hilfe Aristotelischer Begriffe. Beirut 1969 .

« الشعر العربي وفن الشعر اليوناني ، أسس فن الشعر عند حازم القرطاجني استناداً إلى المفاهيم الأرسطية » (حرفاً : بمساعدة المفاهيم الأرسطية) .

ثم ظهرت عام ١٩٧٥ دراسة أخرى عن حازم القرطاجني للمستشرق الألماني غريغور شولر Gregor Schoeler بعنوان :

Einige Grundprobleme der Autochthonen und der Aristotelischen Arabischen Literaturtheorie Hazim Al - Qartağannis Kapital über die Zielsetzungen der Dichtung und die Vorgeschichte in ihm Dargelegten Gedanken .

« بعض الإشكاليات الأساسية في نظرية الأدب العربية ، والعربيّة الأرسطية ، باب أغراض الشعر عند حازم القرطاجني وأصول الأفكار المعروضة فيه » .

وبهذين الكتابين تبدأ مرحلة جديدة في دراسة الآثار الأرسطية في النظرية الأدبية عند العرب من خلال العمل الرئيس الذي قدمه حازم القرطاجني ، وكذلك فقد عاد هذان الباحثان إلى دراسة شروح الفارابي وابن سينا لكتاب الشعر الأرسطي ، انطلاقاً من الاعتقاد بأنهما كانا المصدررين الرئيسين اللذين اعتمد عليهما حازم القرطاجني في تصوراته ومفاهيمه النقدية^(١١) . وقد أدت معرفة كل من هاينريكس وشولر بهذا الحقل من النظرية الأدبية Literaturtheorie عند العرب إلى مواصلة البحث فيه ، وعلى نحو أكثر دقة وأكثر تفصيلاً ، فكتب هاينريكس عام ١٩٧٨ دراسة بعنوان :

Dic Antike Verknüpfung von Phantasia und Dichtung bei den Arabern

« الترابط القديم بين الخيال والشعر عند العرب » درس فيها على نحو تفصيلي نظرية الخيال كما جاءت في كتابات الفارابي^(١٢) .

وكتب شولر عام ١٩٨٣ دراسة بعنوان :

Der poetische Syllogismus. Ein Beitrag Zum Verstandnis der logischen Poetik der Araber .

«القياس الشعري . مساهمة في فهم فن الشعر المنطقي عند العرب » .

بحث فيها مفهوم القياس وأصوله وصوره ووظيفته في التأثير على المتلقى اعتماداً على آراء الفلسفه المسلمين ، كما بحث في تأثيره على النظرية الأدبية العربية الخالصة .

إضافة إلى أعمال هاينريكس وشولر يمكن أن تذكر هنا دراسة كريستوف بورغل Christoph Bürgel المعروفة :

Die beste Dichtung ist die Lügenreichste " Wesen und Bedeutung eines literarischen Streites des arabischen Mittelalters im Lichte komparatistischer Betrachtung "

« أحسن الشعر أكذبه . الجوهر والمغزى لخصوصية أدبية عند العرب في العصر الوسيط في ضوء وجهة نظر مقارنة » .

فقد وقف بورغل في دراسته هذه عند مسألة الصدق والكذب كما جاءت عند الفلسفه المسلمين ، الفارابي وابن سينا ، وابن رشد ، وربطها بالمفاهيم الأرسطية وتجلياتها في الشروح والتلخيصات العربية ، كما عرض للمسألة نفسها عند حازم القرطاجي كذلك (١٣) .

- ٣ -

إن هذه الأعمال مجتمعة تمثل اتجاهًا جديداً في تناول النظرية النقدية من خلال كتابات الفلسفه وشروحهم لكتاب الشعر الأرسطي . وهي في بنيتها ومنهجها تفارق المنهج التاريخي التحقيقي السابق ، وتعصب اهتمامها على القضايا المبنية من اشتغال العرب بالأثار الأرسطية بعامة ، وبكتاب الشعر بخاصة .

فكتاب هاينريكس « الشعر العربي وفن الشعر اليوناني » ، الذي يمثل بداية هذه المرحلة الجديدة في الدراسات الاستشرافية التي تبحث في نظرية الأدب عند العرب ، درس ، وعلى نحو غير مسبوق ، نظرية النقد العربي القديم من خلال صورها ومصادرها العربية ، والعربيّة الأرسطيّة ، كما أنه يمثل بداية جديدة لدراسة كتاب الشعر الأرسطي من خلال كتابات الفارابي وابن سينا عنه وتلخيصيهما له ، وفاتحة لدراسة كتاب « منهاج البلغاء » الذي تشكل من خلال التقاء التصورات النقدية العربية الحالصة والأفكار العربية الأرسطية ومقارتها^(٤) .

ولذا فقد جعل هاينريكس كتابه في ثلاثة أبواب رئيسة ، خصص الأول منها لدراسة النظرية النقدية العربية الحالصة وقضاياها وتصوراتها دراسة مسهبة (ص ١٩ - ١٠٤) واعتمد فيها على الكتب النقدية العربية بدءاً بكتاب ثعلب « قواعد الشعر » وحتى « المثل السائر » لابن الأثير .

أما الجزء الثاني فدرس فيه « فن الشعر الأرسطي عند العرب » تاريخه وروايته وشروحه ، وقضاياها ، وإشكالياته (ص ١٠٥ - ١٧٠) في حين خصص الجزء الأخير لترجمة المنهج الثالث من « منهاج البلغاء » وهو :

« في الإبانة عما تقوم به صنعتنا الشعر والخطابة من التخييل والإيقاع ... »^(٥) .

إن الجزء الثاني من الكتاب الذي درس فيه المؤلف كتاب الشعر الأرسطي عند العرب هو الذي يحظى بالاهتمام هنا ، لأنّه يمثل عودة المستشرقين لدراسة فن الشعر الأرسطي عند الفلاسفة المسلمين ، وهي عودة لم تغفل الدراسات التاريخية التوثيقية السابقة ، بل اعتمدت عليها اعتماداً كبيراً ، وإن تجاوزتها أحياناً من خلال توظيف مادة معرفية جديدة لم تكن متيسرة للسابقين ، وهذا ما يلمسه الباحث من خلال عودة

هاينريكس للبحث في الأصول السريانية التي نقل عنها كتاب «الشعر» إلى العربية ، ومن خلال العودة إلى ترجمة متى بن يونس واسكالياتها ، اعتماداً على التصورات التي رسمتها دراسات المستشرقين السابقين الذين شكلوا مرجعية أساسية Authorität للمؤلف^(١٦) .

أما حين انتقل إلى كتابات الفلاسفة التي تتناول كتاب الشعر الأرسطي ، فقد قام بمعالجة هذه الكتابات من خلال عرضها الذي اعتمد فيه على الترجمة أولأ ، ثم مناقشة القضايا البارزة فيها ثانياً ، مراوحاً بين البحث التاريخي التحقيقي للمفاهيم والأفكار المطروحة فيها والدراسة التحليلية لهذه المفاهيم والأفكار ، فقد حاول هاينريكس أن يتبع أصول مصطلحي المحاكاة والتخييل ، في التراث اليوناني وبيان ما طرأ عليهما من تحول في إطار النظرية العربية ، وكيفية تأثيرهما وتشكلهما في نظرية الشعر عند حازم القرطاجي^(١٧) .

لقد عاد هاينريكس لبحث مصطلح التخييل عند الفارابي بخاصة ، إدراكاً منه خطورة هذا المصطلح في إطار النظرية الأدبية عند الفلاسفة فكتب دراسته الموسعة عن «الترابط القديم بين الخيال والشعر عند العرب» بحث فيها على نحو عميق مفهوم التخييل وحده في إطار فن الشعر المنطقي *logische Poetik* ، وتبع دلالاته وانتقاداته عند العرب ، ووقف مطولاً عند تصورات الفارابي وفهمه للتخييل ودوره في النظرية الشعرية والدينية على حد سواء ، كما بحث العلاقة بين التخييل الشعري والتخييل الديني .

اعتمد هاينريكس في بحثه هذا على آثار الفارابي الفلسفية بخاصة محاولاً ربطها بأصولها اليونانية ، من أجل تبين طبيعة مفهوم التخييل الذي يرى أنه مصطلح انتقل من الثقافة اليونانية إلى الثقافة العربية ، وأن تحولات قد طرأت عليه أثناء عملية الانتقال هذه ، ومن هنا فإنه يرى أن بحثه يشكل مساهمة في الدراسة المقارنة للثناقيف . ولذا فقد

حاول هاينريكس البحث عن أصول مفهوم التخييل المرتبط بالمحاكاة والذي يشكل أساس نظرية الشعر عند الفارابي ، لكنه وصل إلى نتيجة غير قاطعة تتمثل في إمكانية أن يكون هناك مصدر يوناني يعود إلى مدرسة الإسكندرية ، لكنه ضاع أو لم يصلنا ، أو أن الفارابي نفسه قد وضع مصطلح التخييل لتمييز الأقاويل الشعرية^(١٨) . أما مصطلح المحاكاة فإن مصدره لم يمثل مشكلة ، ذلك لأنه مأخوذ من الشعر الأرسطي ، وبالتالي فقد كانت الكلمة محاكاة مقابلًا للكلمة اليونانية *mimesis* لكن الأمر المهم في هذا المصطلح هو تحول دلالة الأصلية التي تعني محاكاة الفعل ليصبح عند العرب دلالة « اللغة التصويرية » *Bildersprache* . ويعيد هاينريكس هذا التحول إلى المصطلح السرياني *meddammyānūla* الذي ترجمه متى بن يونس بكلمتين هما : التشبيه والمحاكاة ، ولأن المحاكاة بمفهومها الأرسطي لم تكن مفهومة لدى العرب ، فقد كان من السهل تحويلها باتجاه اللغة التصويرية ، وهو تحويل تبناه من جاءوا بعد الفارابي^(١٩) .

فإذا انتقلنا إلى أعمال غريفور شولر فإننا واجدون عملين يقابلان عمل هاينريكس . الأول كتابه « بعض الإشكاليات الرئيسية في نظرية الأدب العربية الخالصة والعربية الأرسطية » والثاني دراسته عن « القياس الشعري » ، وذلك من حيث بنية هذين العملين ومنهجهما .

فالكتاب يتصنف بالشمولية ، ككتاب هاينريكس ، فهو يقوم بدءًا على دراسة فصل من كتاب حازم القرطاجي « منهاج البلغاء » ، ولكنه في سبيل ذلك يدرس التصورات النقدية العربية الخالصة ، والتصورات العربية الأرسطية كما جاءت في كتابات الفارابي وأبن سينا . ولذا فقد قال شولر : إن كتابه يترسم خطى كتاب هاينريكس في البنية والمنهج ، ولكنه يفارقه بمعالجته للأفكار والتصورات النقدية العربية ، والعربية

الأرسطية التي تقود إلى حازم في باب واحد من الكتاب وليس في أبواب منفصلة ، كما فعل هاينريكس^(٢٠) . ولكن ورغم هذا القول فإن القارئ يرى أن شولر قد تجاوز ما بدأه هاينريكس حين تخلص من البحث في الجانب التاريخي لكتاب الشعر عند العرب - وهو أمر لم يعد الباحث بحاجة إليه - ، وحين انصرف لمعالجة قضايا نقدية أساسية ، فقد درس في الباب الأول من الكتاب ، أهداف الشعر وأغراضه محللاً الآراء والمواقف النقدية العربية الخالصة والערבية الأرسطية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة هذه المسألة عند حازم من خلال تأثيرات الآراء والأفكار السابقة عليه وحضورها في كتابه . وفعل الأمر نفسه في البابين الثاني والثالث حين تحدث عن « أنماط الشعراء وشروط الشعر » ، وعن « الحيل الفنية في الشعر والخطابة »^(٢١) ومن الملاحظ في مناقشات شولر هذه أنه لم يتوقف عند كتاب « الشعر » وأثره على حازم فقط بل وسع بحثه ليشمل تأثيرات كتاب « الخطابة » الأرسطي .

أما الجزء الأخير من الكتاب ، فقد خصصه لترجمة المنهج الثاني من القسم الرابع من منهاج البلغاء المعون : « في الإباهة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى فنون الأغراض ... »^(٢٢) .

إن كتاب شولر هذا يمثل نقلة مهمة في دراسة النقد العربي القديم ، وبخاصة في دراسة جهود الفلاسفة المسلمين في النقد ، التي وضعت في الإطار العام للتراث النقطي العربي من جانب ، وفي إجراء مقارنات بين معطياتها ومعطيات التراث اليوناني من خلال كتابي « الشعر » و « الخطابة » الأرسطيين وشروحهما ، وكذلك مقارنتها بالآراء والمواقف النقدية الأوروبية ، وإن حدث هذا على نطاق محدود ، من جانب آخر^(٢٣) .

فعندما بحث شولر هدف الشعر عند ابن سينا حاول بدءاً أن يتبع التأثيرات الأرسطية اليونانية فيه ، ومدى فهمه للأصول ، وتحويله لها ، فوقف عند الهدف المزدوج للشعر عنده القائم على المتعة والفائدة ، أو على المتعة (التعجب) فقط ، وحاول ردهما إلى أصول أرسطية ترجمت إلى العربية بصورة خاصة ، وفهمت تبعاً لذلك على نحو يبتعد فيها عن الأصل . فالرعب (Gruseln) في الشعر الأرسطي حل مكانه عند ابن سينا التعجب (Erstaunen) ، في حين وضع مصطلح الانفعال (Reaktion) مقابل المصطلح الأرسطي الخوف (Furcht) ، كل هذا اعتماداً على أن ابن سينا اطلع على ترجمة عربية غير ترجمة متى بن يونس - كما يرى شولر - وبالتالي فإن تصورات ابن سينا عن هدف الشعر تقترب من تصورات هوراس الذي تحدث عن المتعة والفائدة في الشعر (dulce - utile) ، وهذه التصورات كانت شائعة في الشعريات القديمة منذ القرن الخامس قبل الميلاد^(٤).

بعد هذا البحث في أصول المصطلحات ومصادرها وتحولاتها يصل الباحث إلى الحديث عن هدف الشعر عند حازم القرطاجي ، وبين كيفية تبنيه للأفكار السينوية ، ودمجها في نظريته عن هدف الشعر . وقد أخلص الباحث لمنهجه هذا في تناوله لقضاياها كلها .

أما دراسته عن «القياس الشعري» فهي تمثل استمراراً لبعض ما أثاره في كتابه السابق ، كما أنها تمثل بحثاً مقابلاً لبحث هاينريكس حول «الترابط القديم بين الخيال والشعر عند العرب» من حيث المنهج ، واستمرار بحث قضايا فن الشعر المنطقي على نحو متخصص دقيق .

تناول شولر في هذا البحث مفهوم القياس الشعري ، وأصوله وصوريه ، ولماذا سمي هذا القياس «شعرياً» ، كما عرض لمفهومي المحاكاة والتخييل في إطار حديثه

عن المصطلحات التي استعملها الفلاسفة المسلمين للتعبير عن الأقوال التصويرية) bildliche Aussage ، وإضافة إلى هذا فقد وقف عند تأثير القياس على السامعين ، وهدف المتحدث منه .

لقد استند بحث شولر « القياس الشعري » إلى المصادر الفلسفية بصورة رئيسة ، وبخاصة الآثار الفلسفية الكاملة للفارابي وابن سينا ، وأصولها الأرسطية ، ولذا فقد جاء البحث في معظمها بحثاً لنظرية الشعر المنطقي ، كما تجلّى عند الفلاسفة المسلمين ، مع إشارات إلى تأثير التصورات العربية الخالصة على هذه النظرية ، غير أن الباحث التفت في نهاية بحثه إلى مدى تأثير « القياس الشعري » على نظرية الشعر العربية الخالصة ، فدرس إمكانية تأثير القياس الشعري على الحرجاني ، مقرراً في النهاية أن عبد القاهر لم يتأثر به^(٢٥) .

إن هذا الحكم يقود للحديث عن آراء المستشرقين الألمان في تأثير « الشعر » الأرسطي على النقد العربي ، ولكن قبل ذلك يجب أن يشار إلى أن الأعمال التي قدمها هاينريكس وشولر وخاصة ، تشكل - كما سبقت الإشارة - مرحلة جديدة في دراسة النظرية الأدبية عند العرب ، بتiarتها الكبارين : العربي الخالص ، والعربي الأرسطي ، ولذلك فإن منهجها العلمي الدقيق ، واعتمادها على مجموعة كبيرة من المصادر اليونانية والأوروبية ، غير المتوافرة بين أيدي الدارسين العرب ، يجعل منها أعمالاً ذات قيمة مرجعية كبيرة ، يجعل بدارسي النظرية النقدية عند العرب العودة إليها .

- ٤ -

يكاد المستشرقون يجمعون على أن كتاب « الشعر » الأرسطي لم يترك آثاراً حقيقة تذكر على النظرية الأدبية عند العرب ، ويعلّلون ذلك بالفارق الجوهري الكبير بين الشعر العربي والشعر اليوناني الذي حال بين العرب وبين فهم الأفكار الأرسطية .

وهذا موقف قرره على نحو قاطع المستشرق الإيطالي غابريللي الذي ذهب إلى أن اشتغال العرب بكتاب الشعر كان جهداً عقيماً ، وعملاً شاقاً بلا جدوى^(٢٦) . وقد تبني هاينريكس هذا الحكم في بداية الباب الذي خصصه لدراسة كتاب الشعر عند العرب ، وهو بهذا يقدم الحكم على البيانات ، ويضع النتائج قبل المقدمات ، ثم يمضي بعد ذلك في تفصيل الأسباب التي باعدت بين الأفكار الأرسطية الواردة في كتاب الشعر وبين إمكانية تأثيرها على النظرية الأدبية عند العرب ، أو فهم العرب لها^(٢٧) . فيرى «أن مضمون كتاب الشعر اللامفهوم عند العرب ، ورداءه المنطقي الغريب كانوا السببين الرئيسيين في أن هذا الكتاب لم يترك أثراً على الأطلاق (Keinerlei) حتى ولو بسيطاً على النظرية الأدبية عند العرب - باستثناء حازم القرطاجني - ، وكم عمل منطقي فإنه قد دخل حقل عمل المنطقي وظل من اختصاصه ، ولم تكن له أدنى صلة بنظرية الشعر ، وهذا ما تظاهره بوضوح الموسوعات العربية بدءاً بمفاتيح العلوم للمخوارزمي وحتى مقدمة ابن خلدون التي ظهر فيها كتاب الشعر في قائمة العلوم غير العربية ، في علوم المنطق . أما الشعر نفسه ، فإنه قد وضع في إطار العلوم العربية ، دون إشارة عابرة إلى علاقة ما بينهما»^(٢٨) .

وفي مكان آخر كرر هاينريكس هذه الأفكار مشيراً إلى الفصل الحاد بين العلوم العربية وعلوم القدماء في إطار الثقافة الإسلامية ، وإلى أن الترجمات والشرح العربية لكتاب الشعر كانت ردية ومشوهة ومحدودة الانتشار ، إضافة إلى ارتدائها رداء منطقياً جعل إمكانية حصول نوع من اللقاء بينها وبين معطيات الشعر العربي أمراً صعباً^(٢٩) .

لقد جعل هذا الموقف هاينريكس ينصرف عن البحث في إمكانية وجود تأثيرات أرسطية في النظرية الأدبية عند العرب ، ويكتفي ، تدعيمًا لرأيه ، بإيراد رفض ابن الأثير لإمكانية وقوع الشعراء المحدثين تحت تأثير العلوم اليونانية ، ورفضه كذلك أن

يكون لكلام ابن سينا في الشعر والخطابة تأثير على الأدب العربي ، يقول : « وكل الذي ذكره (ابن سينا) لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً »^(٣٠) .

ومن الجدير ذكره هنا أن هاينريكس لم يقف على رد ابن أبي الحديد على ابن الأثير ، فقد اتهمه بعدم فهم ما يرمي إليه ابن سينا ، وذهب إلى بيان المقصود بالقياس الشعري التخييل ، وتأثيره على النفس بيسطها أو يقظتها .

يقول ابن أبي الحديد : « والذي يريدونه بالشعر يأتي في كل قياس مخيل ، يعلم العاقل كذبه ، لكنه يحدث له مع ذلك نوع قبض أو بسط ، أو إقدام أو إحجام ، كما يقال : لا تأكلوا العسل فإنه ثمرة مقيبة ، أو يقال للحلواء الرطبة المزغفة لا تأكلها فإنها غائط . فالعقل والحس يكذبان هذا الكلام الذي هو في قوة قياس ، صورته هكذا : كل غائط فهو غير مأكله ، ومع علمه بكذبه يتبعض عن الأكل . وأكثر إقدام الناس وإحجامهم بسبب هذه التخييلات والأوهام ، وهي الأقبية الشعرية التي يذكرونها ، وإنما سميت شعرية لتشابهتها مقاصد الشعراء في تخيلاتهم وتزويفاتهم »^(٣١) .

وهذا النص يتضمن أهم التصورات والمصطلحات الأساسية المشكلة لنظرية الشعر عند ابن سينا . ومن الملحوظ أنه ، بكتابه ، ليس موجوداً في كتاب واحد من كتب ابن سينا ، بل في غير كتاب ، فإذا كان بالإمكان رد الإشارة إلى التخييل ، وأثره من البسط والقبض ، وأن الناس يتبعون تخيلاتهم إلى « فن الشعر »^(٣٢) ، فإن القياس الشعري والأمثلة التي أوردها عليه يمكن أن تجدوها في كتابي « القياس » و « البرهان »^(٣٣) .

ولا شك أن لهذا النص قيمة ، فهو مرتبط بحوار يفترض أن يكون مطروحاً ومعروفاً آنذاك بين الأدباء حول بعض المفاهيم النقدية الفلسفية . وابن أبي الحديد في استشهاده بهذا النص يمثل موقف المستقبل المدرك لأبعاد المصطلح الفلسفى ، العارف بمصادره . ويستطيع المرء أن يذهب إلى القول : إن ابن أبي الحديد لم يكن الوحيد

الممثل لهذا الموقف ، ولذا فإن شولر في بحثه عن « القياس الشعري » كان يمكن أن يفيد من هذا النص لو وقف عليه ، كما كان يمكن أن يفيد من الدراسة القيمة لجابر عصفور حول الخيال والصورة التي ذهب فيها إلى تأثير عبدالقاهر الجرجاني بالفلسفه وشروحهم لأرسطو ، وهو ما يتناقض مع ما ذهب إليه شولر^(٣٤) .

إن الفكرة الشائعة حول عدم تسرب تأثيرات أرسطية ، أو تأثيرات منبتقة عن اشتغال الفلسفه المسلمين بفن الشعر الأرسطي ، إلى النظرية الأدبية عند العرب ، قد لا تصح على إطلاقها ، ذلك لأن القراءة الثانية لكتب النقد والبلاغة العربية ، ستجعل من البسيط تلمس العديد من الأفكار والمفاهيم الأرسطية ، أو الفلسفية التي تسربت إلى النظرية الأدبية عند العرب ، حتى وإن طرأ عليها تحويرات وتغييرات في دلالتها . ويمكن أن يشار هنا إلى مفهوم التخييل الذي يشكل عمود نظرية الشعر عند الفلسفه المسلمين ، هذا المفهوم يمكن أن يقف عليه المرء في كثير من الكتب النقدية والأدبية العربية ، يجده مثلاً في : الصناعتين لل العسكري ، والعمدة لابن رشيق ، وطيف الخيال للشريف المرتضى ، والاقتضاب للبطليوسى ، وألف باه للبلوي ، ومقدمة ديوان ابن خفاجة ، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، والفلك الدائر لابن أبي الحميد ، وقد وقف على هذه المواطن ودرسها جابر عصفور في بحثه عن الخيال والصورة^(٣٥) . وكذلك فإن النقاد العرب قد أفادوا في موقفهم من قضية الصدق والكذب في الشعر من الأفكار الأرسطية ، إلى حد ذهب معه بورغل إلى القول : إن أرسطو هو أبو هذه القضية عند العرب^(٣٦) .

إن الهدف من إبراد بعض الأفكار الأرسطية أو الإشارة إليها ، أو على نحو أدق بعض الأفكار الفلسفية ، التي أثرت في نظرية الأدب عند العرب هو لبيان أن الحكم المطلق بأن النظرية النقدية عند العرب لم تتأثر بكتاب الشعر الأرسطي كما جاء في بعض دراسات

المستشرقين وكذلك عند بعض الباحثين العرب مثل عبدالرحمن بدوي ، وسعد مصلوح على سبيل المثال^(٣٧) ، قد لا يكون صحيحاً ، وأنه بحاجة إلى إعادة نظر على الأقل .

وثمة ظاهرة يجب التوقف عندها ، وهي أن المستشرقين الآمان الذين ذكرت أعمالهم هنا ، لم يلتفتوا إلى الدراسات العربية المعاصرة التي بحثت القضايا نفسها التي بحثوها ، فهاينريكس لم يعد إلى كتاب شكري عياد ودراسته عن أثر فن الشعر الأرسطي على النظرية الأدبية عند العرب ، كما لم يعد إلى بحث جابر عصفور عن « الخيال والصورة » وهو يشبه بحثه عن « الترابط القديم بين الخيال والشعر عند العرب » ، بل إنه يلتقي معه في كثير من الجوانب التي تناولها^(٣٨) . وكذلك فإن هذا البحث ذو علاقة كبيرة يبحث شولر « القياس الشعري » لكن شولر كذلك لم يعد إلى أية دراسات عربية معاصرة في كتابه وفي بحثه المشار إليه سابقاً^(٣٩) .

وكذلك فإن الباحثين العرب المعاصرين الذين كتبوا في الموضوعات نفسها لم يقفوا على أي من دراسات المستشرقين هذه ، فعلى سبيل المثال ، لم ترد أية إشارة لدى ألفت الروبي في كتابها « نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين » إلى أيّ من أعمال هؤلاء المستشرقين أو غيرهم ، وكذلك الحال في كتاب « نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم » لعصام قصيجي . أما في أفضل الأحوال فقد ذكر مصطفى الجوزو كتابي هاينريكس وشولر ، وعناوين بعض المقالات المستشرقين آخرين دون أن يفيد منها في كتابه « نظريات الشعر عند العرب »^(٤٠) .

وليس ثمة تبرير يسوغ للمستشرقين عدم اطلاعهم على الدراسات العربية ، أو وقوفهم عليها ، وكذلك فإن الباحثين العرب لا يبرر لهم في عدم اطلاعهم على مثل هذه الدراسات وبخاصة أن دراساتهم الحديثة تعتمد بالاقتباسات من كتب النقد والأدب العربي المكتوبة بلغات مختلفة ، فمن القمين بما أولاً الاطلاع على ما كتبه الآخرون عن ثقافتنا وأدبنا بصورة مباشرة ، وما كتبوه ليس بالقليل ، كما أنه ليس بالعرضي ، بل هو يمس قضايا الثقافة العربية الجوهرية .

الهوامش

١ - حول اشتغال العرب بفن الشعر الأرسطي انظر :
عبدالرحمن بدوي : فن الشعر . ٥٠ - ٥٦ .

Heinrichs : *Arabische Dichtung* ١١١ - ١٦٣ .

إحسان عباس : تاريخ النقد ١٨٦ - ١٨٧ ، ٢١٤ ، ٤١١ ، ٥٢١ .

٢ - انظر : Fuhrmann : *Einführung* S. ١٩٨ .

وقد وقف Fuhrmann عند روایة كتاب الشعر الأرسطي في أوروبا وأشار إلى ترجمة متى بن يونس في كلمته الخاتمية التي أحدها بترجمته الألمانية لفن الشعر الأرسطي . انظر :

Aristoteles : *Poetik* ١٧٣ - ١٧٨

٣ - انظر : Fuhrmann : *Einführung* S. ١٨٨ - ٢٩١ .

وعبدالرحمن بدوي : فن الشعر ١٢ - ٢٧ .

٤ - انظر : Heinrichs : *Die Antike* ٢٥٤ .

٥ - عبد الرحمن بدوي : فن الشعر ٣٣ - ٣٧ .

٦ - شكري عياد : كتاب أرسطو طاليس في الشعر .

٧ - انظر : عبد الرحمن بدوي : فن الشعر ٣٧ ، شكري عياد : كتاب أرسطو طاليس ١٩ - ٢٠ .

٨ - ظهرت هذه المقالة سنة ١٩٣٤ في مجلة :

Studi italiani di Filologia classica N. S. ١١ (1934), ٥ - ١٤.

٩ - انظر : Walzer, R.: *Greek into Arabic* ١٢٩ - ١٣٦ ثم نشرت في كتاب

Arberry, Arthur : *Farabi's Canons of Poetry*. In : *Rivista degli Studi Orientali*, ١٧ (1938) ٢٦٦ - ٢٧٨.

١٠ - شكري عياد : كتاب أرسطو طاليس . ٢٠ - ٢١ .

Francesco Gabriele : *Estetica e poesia araba nell'interpretazione della poetica aristotelica presso Avicenna e Averroè*. In : *Rivista degli Studi orientali* ١٢ (1929), ٢٩١ - ٣٣١.

١١ - حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ٩٩ .

Heinrichs : Arabische Dichtung 155, 163

Schoeler : Grundprobleme 1, 25 - 29, 81.

١٢ - كان هاينريكس قد عالج هذه المسألة في كتابة ، *Arabische Dichtung* حين عرض لكتابات الفارابي عن فن الشعر الأرسطي .

١٣ - دراسة بورغل دراسة نقدية مقارنة موسعة امتدت لتشمل قضية الصدق والكذب في الأدب الفارسي .

وثمة دراسة معاصرة عن شرح ابن سينا لكتاب الشعر الأرسطي ، قسمها صاحبها (إسماعيل دحيات) إلى قسمين تناول في الأول الخلقة التاريخية لاستفال العرب برواية كتاب الشعر الأرسطي وخصص بالبحث الفارابي وابن سينا . أما القسم الثاني فهو ترجمة لشرح ابن سينا إلى الإنجليزية .

Ismail M. Dahiyat : Avicenna's Commentary on the poetics of Aristotle. A Critical Study with an Annotated Translation of the Text. Leiden 1974.

١٤ - لا شك أن الدراسة الرائدة الأولى التي عرضت لأثر كتاب الشعر الأرسطي - من خلال شروح الفلاسفة له - على حازم القرطاجني هي دراسة شكري عياد في كتابه : كتاب أرسطو طاليس ٢٤١ - ١٤٦ . وهي متضبة كتبت قبل نشر « منهاج البلغاء » واعتمدت على مخطوطته . وللأسف فإن هاينريكس لم يقف على كتاب عياد عندما كتب دراسته .

١٥ - حازم القرطاجني ومنهاج البلغاء ٦٢ - ١٤٦ .

Heinrichs : Arabische Dichtung 105 - 127

١٦ - انظر

١٧ - المصدر نفسه ١٤٩ - ١٤٧ - ١٢١ - ١٢٣.

Heinrichs : Die Antike 252, 256 - 257

١٨ -

١٩ - المصدر نفسه 256

Schoeler : Grundprobleme 1.

٢٠ -

٢١ - المصدر نفسه 33, 57

. ٢٢ - انظر حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ٣٣٦ - ٣٥٣ .

Schoeler : *Grundprobleme* 85 - 111.

. ٢٣ - لقد قارن شولر بين التصورات التقديمة العربية والتصورات التقديمة في النظرية الأوروبية في العصور الوسطى فعندما تحدث عن المطبوع أو الطبيع ، واشكيف أو المصنوع قرنه بالثنائية المشهورة *Ars - natura* انظر كتابه ٥١ على سبيل المثال .

Schoeler : *Grundprobleme* 17 - 19 ٢٤ - المصدر نفسه

Schoeler : *Poetische Syllogismus* 78 - 79. ٢٥

. ٢٦ - انظر شكري عياد : كتاب أرساطرو طاليس ٢٠ وقارن

Heinrichs : *Arabische Dichtung* 105.

Heinrichs : *Arabische Dichtung* 105 - 106 ٢٧

. ٢٨ - المصدر نفسه 108

Heinrichs : *Poetik* 188 - 189 ٢٩

. ٣٠ - المصدر نفسه 111 - 109

ونص ابن الأثير في : المثل السائر ٥ / ٢ .

. ٣١ - ابن أبي الحميد : الفلك الداير ١٩٠ - ١٩٢ .

. ٣٢ - انظر فن الشعر (بدوي) ١٦١ - ١٦٢ .

. ٣٣ - ابن سينا : القياس ٥ ، البرهان ١٧ .

. ٣٤ - جابر عصفور : الصورة الفنية ٨٠ - ٨٢ .

. ٣٥ - انظر المصدر نفسه ٧٧ - ٨٤ ، وانظر مصادره .

Bürgel : *Beste Dichtung* 37 ٣٦

. ٣٧ - انظر مناقشة حول هذه القضية عند شكري عياد : كتاب أرساطرو طاليس ٢٢٥ - ٢٢٦ .

. ٣٨ - انظر مصادره ومراجعة في كتاب *Grundprobleme*

وفي بحثه *Poetische Syllogismus*

. ٣٩ - انظر كتابي : *ألفت الرومي* : نظرية المحاكاة عند الفلاسفة المسلمين .

عصام قصبيجي : نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم .

. ٤٠ - مصطفى الجوزو : نظريات الشعر عند العرب ٩ .

المصادر العربية

- ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٢ م .
- بدوي ، عبد الرحمن : أسطر طاليس ، فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد ، القاهرة د. ت .
- الجوزو ، مصطفى : نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) ١ ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ .
- ابن أبي الحميد : الفلك الدائر على المثل السائر (ضمن الجزء الرابع من المثل السائر) .
- الروبي ، ألفت : نظرية الشعر عند الفلسفه المسلمين ، من الكندي حتى ابن رشد ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ابن سينا : القياس ، تحقيق سعيد زايد ، القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٦٤ .
- البرهان ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- عباس ، إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري . دار الثقافة ، ط ٤ ، بيروت ١٩٨٣ م .
- عصفور ، جابر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- عياد ، شكري محمد : كتاب أسطر طاليس في الشعر ، نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي ، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية ، شكري عياد القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ .
- القرطاجني ، حازم : منهاج البلفاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الحوجة ، تونس ١٩٦٦ م .
- قصبيجي ، عصام : نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم ، دراسة تطبيقية في شعر أبي تمام وابن الرومي والمتبي . دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- ابن النديم ، محمد بن أبي يعقوب إسحاق : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ .

المصادر الأجنبية

- Arberr, Arthur : Farabi's Canons of poetry. In : Rivista degli studi Orientali, 17 (1938) 266 - 278.
- Aristoteles : Poetik. Gieschisch/Deutsch. übersezt und Herausgegeben von Manfred Fuhrmann. Stuttgart 1984. (Reclam).
- Bürgel, J. Christoph : Die beste Dichtung ist die Lügenreichste in : Oriens 23/24 (1970 - 71) S. 7. 102.
- Dahiyat, Ismail, M. : Avicenna's Commentary on the poetics of Aristotle. Critical Study with an Annotated Translation of the Text. Leiden 1974.
- Fuhrmann, Manfred : Einführung in die antike Dichtungstheorie . Darmstadt 1973.
- Heinrichs, Wolfhart : Die arabische Dichtung und die Grieschische Poetik . Házim al - Qartağánnis Grundlegung der Poetik mit Hilfe aristotelischer Begriffe . Beirut 1969 .
- : Die antike Verknüpfung von phantasia und Dichtung bei Arabern . In : ZDMG 128 (1978), S. 252 - 298 .
- : Poetik, Rhetorik, Literaturkritik, Metrik und Reimlehre. In : Grundris der arabischen Philologie. Band II : Literaturwissenschaft . Herausgegeben von Helmut Gaije . Wiesbaden 1987 . S. 177 - 207 .
- Schoeler, Gregor : Einige Grundprobleme der autochthonen und der aristotelischen arabischen Literaturtheorie Házim al - Qartağánnis Kapitel über die Zielsetzungen der Dichtung und die Vorgesichte der in ihm dargelegten Gedanken . Wiesbaden 1975 .
- : Poetische Syllogismus. Ein Beitrag zum Verständnis der Logischen Poetik der Araber . In : ZDMG. Bd 133 (1983). S. 44 - 92 .
- Tktatsch, Jaroslav : Die arabische Übersetzung der Poetik des Aristoteles und die Grundlage der Kritik des grieschischen Textes. 2 Bd. Wien und Leipzig 1928 - 1932 .
- Walzer, Richard : Zur Traditionsgeschichte der aristotelischen Poetik. In : Greek into Arabic, Essays on Islamic Philosophy. Oxford 1962.

ثانياً : مع الكتب

كتاب
سرقات الشعراء
(وما عيب عليهم)
تأليف : عبدالله بن المعتز

جمع وتحقيق
عبدالكريم الحبيب

أولاً : بين يدي الكتاب

كتاب سرقات الشعراء لابن المعتز نموذجٌ نقدٌ يوضح سمات نضوج الفكر العربي في مراحله الأولى ، لأنَّه يتعامل مع الإبداع الشعري على أساس نقدٍ ، ويوضح أيضًا جانبيًّا من المعركة النقدية التي كانت مستعرة بين القديم والحديث ، ومن جانب آخر يُرِزِّ نوعًا من النقاد الذين يمثلون ازدواجية نقدية ، فابن المعتز من روؤس الحداثة شعرًا وفكراً ، وهو ضدَّ المحدثين في نقهٍ ، وقد يصعب على الباحث أن يجد سببًا مقنعًا لهذه الازدواجية .

ويعدُّ هذا الكتاب أول كتاب يؤلِّف في السرقات ، غير أنَّ نصيبيه من الشهرة كنصيب مؤلفه من الخلافة ، فقد ضاع من يد الزمن فيما ضاع من تراثنا ، ولو لا ذكره في مصادر متعددة ووجود نقول منه لما تبَّهَ إليه أحد ، ومع ذلك فلم يتصدَّ أحد من الباحثين فيلمُ شتاته ويضم أجزاءه ، على الرغم من محاولة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الذي جمع بعضاً من رسائل ابن المعتز في النقد والأدب إلا أنه لم يذكر الكتاب مطلقاً ، لذا أعدَّ نفسي أول من تصدَّى لهذا العمل في جمع الكتاب وتحقيقه وإخراجه من ظلمة النسيان إلى نور العلم والبحث النقدي .. وبعد

فإني أتفى مخلصاً أن أكون قد كونت صورة معينة لهذا الكتاب تجعله يأخذ مكانه في هذا التراث النقدي العربي ، عسى أن نعوض بعض ما فقد من تراثنا وطاله يد الإعدام .

ثانياً : نسبة الكتاب

من المؤكد أن هذا الكتاب مما ألفه ابن المعتز وفقد كما فقد غيره من الكتب ، وقد تداوله كثير من الأدباء قديماً ، وذكره النقاد حديثاً ، وكم حاولت جاهداً أن أعرف تاريخ ضياعه وسيبه غير أنني لم أوفق إلى ذلك . ولا شك أن أهميته النقدية هي التي دفعت الأدباء قديماً إلى ذكره ، سواءً عندما تعرضوا إلى الحديث عن حياة مؤلفه ، أو عندما أوردوا نقولاً منه في مؤلفاته ، فقد ذكره الأمدي في كتابه ، الموازنة في أكثر من موضع ^(١) وفي المؤتلف والمختلف ذكره مرّة واحدة عند ذكره الصلتان الفهمي ، فقال : (وذكره أبو العباس عبدالله بن المعتز في كتابه المؤلف سرقات الشعراء) ^(٢) ، كما ذكره أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني عند حديثه عن ابن المعتز ^(٣) وكذلك ابن خلkan عندما عدد مؤلفات ابن المعتز ذكره بينها ^(٤) ومثله فعل الصفدي في كتابه ^(٥) ولم يغفله البغدادي في تاريخه أيضاً ^(٦) وابن العماد في شذراته نقل ما كتبه ابن خلkan عنه ^(٧) وكذلك صاحب خزانة الأدب فقد ذكره في كتابه ^(٨) . أما النقاد المحدثون فمنهم من ذكره بين مؤلفات ابن المعتز ، مثل بروكلمان في تاريخه ^(٩) وعمر فروخ في تاريخه أيضاً ^(٨) وكذلك يوسف أسعد داغر في كتابه ^(٩) ومحمد عبد العزيز الكفراوي في كتابه عن حياة ابن المعتز وإنماجه ^(١٠) وعبد العزيز سيد الأهل ^(١١) وكذلك الدكتور أحمد زكي عندما تحدث عن مؤلفاته وقسمها ثلاثة أقسام ، جعل كتاب السرقات في القسم الثاني ، وهو الذي يتضمن كتبه عن الأدب ونقده وتاريخه ^(١٢) أما الدكتور محمد

مندور فقد عده أول كتاب يؤلف في السرقات^(١٢) . ومن أغفله : الزركلي في أعلامه^(١٣) وزغلول سلام في تاريخه^(١٤) وهذا الإغفال لا يدعو إلى الشك في نسبة الكتاب إلى صاحبه ، وما عثرت عليه من نصوص وإشارات في كتب ومصادر يؤكّد صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن المعتز وأسبقيته في التبيه إلى قضية السرقات كقضية نقدية من قضايا النقد العربي ، لا سيما أن القدماء قد نصوا على نسبة إلى ابن المعتز بصربيع العبارة مما لا يدع مجالاً للشك في هذه النسبة ، كما توضح هذه النصوص التي جمعتها في هذا البحث .

ثالثاً: دواعي تأليف الكتاب ومنهج ابن المعتز فيه

من خلال استقراء المصادر الأدبية القديمة يتبيّن لنا اهتمام ابن المعتز بتبع الشعراء وأخبارهم ، لأن اهتمامه كان منصباً على هذه الناحية بشكل جلي . غير أن نقده كان انطباعياً سريعاً لا يعدو تقسيماً آنياً لبيت شعر ينشد أمامه ، وقضية النقد الانطباعي لا تعطي تأصيلاً فكريّاً للقضية النقدية بل تمثّل بشكل سطحي تلك القضية ، وطاماً أن المواقف تتعدد والحالة النفسية أيضاً تتعدد بتنوع المؤثرات الطارئة على الشخصية ، فإن الأحكام النقدية تندو أيضاً متعددة ، بل أحياناً متغيرة ، فقد يستحسن بيتاً في وقت ، ويستقبحه في وقت آخر ، وقد يستتبعه قصيدة كاملة في موقف ويستحسن أغلب أبياتها في موقف ، مما يجعل هذا النقد عائداً إلى الحالة التي يكون فيها الناقد ، وهذه حال ابن المعتز في آرائه ، وكنت قد أشرت في مواضع متعددة إلى الاختلافات والتناقضات التي وقع فيها^(١٤) ولا بأس في ذلك حيث يمثل هذا النقد تياراً معيناً في نقدنا العربي القديم^(١٥) . إذن من دواعي التأليف في السرقات معرفة التأثير الشعري من ناحية وتحطيم الشاعرية الحديثة من ناحية أخرى ، هذا بشكل مباشر ، أما الدواعي الأخرى ، فمن الممكن أن

نقول إنَّ منها ما يعبر عن اعتزاز الأديب بثقافته الشعرية عندما يسمع بيتأتى في تلمس بشكل آتى مصدر التأثر به ، وهذا ما ينطبق على ابن المعتز ، ولكن دون أن يُظهر لنا الأديب مناحي الجمال في البيت ، لأنَّ ثمة خلافاً في ذلك ، هل الشاعر الذي أول من ابتكر الصورة هو المبدع ، أو الذي طورها و كان متأخراً ، ولربما يتأثر شاعر بأكثر من صورة فيولد صورة لها جذور في شعر آخرين غير أنها أفضل من سابقاتها . وما زال الاختلاف حول التفضيل قائماً . ولو استطاع الأديب كابن المعتز أن يتبع بواعث الصورة وتطورها لجاءنا بتتابع قيمة و موازنات فنية فريدة ، غير أنَّ هذا الأمر يتطلب معاينة ، وذاكرة حافظة ، و دراسة مستفيضة حتى ينجلِّي ، مما يتناهى مع طبيعة النقد الانطباعي ، ويدخل في إطار النقد العلمي . ومهما يكن الأمر ، فإن اهتمام ابن المعتز بمنهج الشعراء الحمدلتين دفعه إلى تأليف هذا الكتاب للاعتبارات السابقة ، ونراه أيضاً يذكر بعضاً من شعراء الجاهلية والحضرمين والإسلاميين والأمويين ، مما يضفي تعديلاً على نقه ونظرته إلى السرقة - حتى إنه من بعض اهتمامه بالحمدلتين ، كان يطلق ألقاباً على الشعراء ، فُشتهرُون بها وينسى اسم الشاعر الحقيقي^(١٦) غير أنني أتسائل في هذا المجال ، هل يخلو شاعر من تأثر ... ؟ إذا حسبنا هذا التأثر سرقة ، وقد قال ابن قتيبة إنه من الممكن أن يقع الحافر على الحافر^(١٧) طالما أن الشاعر يتشفَّف بشعر السابقين ويطلع على شعر المعاصرين له ، فهذا أمر نسي في الحقيقة ، لأنَّ ما يختارنه الشاعر في ذاته من نتاج السابقين بالإضافة إلى معطيات العصر وتوافق الشير والحاطر في الموقف يُحتم تقاربًا عضويًا في التركيب الشعري والصورة الفنية ، وأستطيع أن أقول بأنه لا يخلو شاعر من عيب أو سرقة ، فابن المعتز نفسه قد ذكر له صاحب العمدة في مواضع متعددة ما عابه عليه الجرجاني ، وأيضاً صاحب العمدة نفسه عاب عليه كثيراً^(١٨) أما سرقته فسألورد مقتطفات مما أورده ابن خلkan في كتابه حيث يقول :^(١٩)

قال البحترى :

مُخْمَرَةٌ فَكَانُوكُمْ لَمْ يُسْلِبُوا^(٢٠)

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ

أَخْدَهُ ابْنُ الْمَعْتَزَ ، وَقَالَ فِي غَلَامِ أَمْرَدَ :

مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ مَسَّهَا الْوَصَبُ^(٢١)

فَالَّذِي اشْتَكَتْ عَيْنَهُ فَقَلَتْ لَهُمْ

وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ

حُمْرَتْهَا مِنْ دَمَاءِ مَنْ قَتَلَتْ

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصْفِ الْهَلَالَ^(٢٢)

مِثْلَ الْقَلَامَةِ قَدْ قُدِّتْ مِنْ الظَّفَرِ^(٢٣)

وَلَاحَ ضَوْءٌ هَلَالٌ كَادَ يَفْضَحُنَا

فَقَوْلُهُ (ولاح) مأخوذٌ مِنْ قَوْلِ عَمْرُوبْنِ قَمِيَّةٍ فِي صَفَةِ الْهَلَالِ :

كَائِنُ ابْنُ مُزْنَتِهَا جَانِحًا فَسَبَطَ لَدِيَ الْأَفْقِ مِنْ خَنْصُرٍ^(٢٤)

وَقَالَ ابْنُ أَفْلَحِ الْعَبْسِيِّ فِي غَلَامِ نَاقِصِ الْجَمَالِ :^(٢٥)

كَرِهْتُ الْحُسْنَ وَاخْتَرْتُ الْقَبِحَا

وَمَا عِشْقِي لَهُ وَخَسَا لَأْنِي

وَكُلُّ النَّاسِ يَهْوَوْنَ الْمَلِحَا

وَلَكِنْ غَرَبْتُ أَنْ أَهْوَى مَلِحَا

وَلَابْنِ الْمَعْتَزِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فِي أَبَاهُ^(٢٦)

قَلْبِي مِيَالٌ إِلَى ذَا وَذَا

وَيَرْخَمُ الْقُبْحَ فَيَهْوَاهُ

يَهِيمُ بِالْحُسْنِ كَمَا يَنْبَغِي

هَذَا نموذجٌ مِنْ سُرْقَةِ ابْنِ الْمَعْتَزِ كَمَا أُورِدَهَا ابْنُ خَلْكَانَ وَلَوْ شَفَنا لَا سْتَفْضَنَا فِي ذَلِكَ
مَا وَرَدَ فِي الْأَنْوَارِ وَمَحَاسِنِ الْأَشْعَارِ ، وَالْحُبُّ وَالْمَحْبُوبُ وَالْمَصْوُنُ وَغَيْرُ ذَلِكَ . إِذْنَ فَلا

يخلو شاعر من هذه العلة . أما منهج ابن المعتز في هذا الكتاب فهو كما تبين لي من خلال ما جمعته أنه يتحدث عن السرقة من جهتين فأحياناً من جهة المعنى المقصود وأحياناً من جهة التركيب . وهو لم يكتف بذكر السرقة لدى الشاعر بل إنه يذكر آراء القدامى أحياناً - وهي بالطبع آراؤه - في عيوب الشاعر وما عيب عليه ، وأحياناً ييرّ سبب العيب أو يوضحه وأحياناً يورده إيراداً فقط ، وإذا ما ارتبط ذلك العيب بقصة أو حادثة أوردها . كما سيظهر من متن الكتاب لاحقاً . غير أنّي آخذ عليه عدم تفصيله في السرقة فأحياناً يكتفي بقوله (أخذه .. أو سرقه) وفي قضية العيب يقول : (عابوا عليه .. أو عيب عليه) إلى ما هنالك ، وكم كنت أتمنى أن أقع على أصول الكتاب حتى يخرج المرء بنظرية شمولية عن منهجه في ذلك . ولكنني لاحظت أن ابن المعتز كان يقسّى على المحدثين أكثر ، وعلى أبي تمام خاصة ، فكان يُكثّر من قوله (سرقه وأساء ..) أو (في غاية القبح) إلى ما هنالك من ألفاظ الاستهجان ، غير أنّي أستطيع أن أقول إن آرائه في سرقات الشعراء وما عيب عليهم لا تخرج عن دائرة نقد ابن المعتز الانطباعي .

رابعاً : عملي في الكتاب

أول عمل قمت به هو استقصاء عام للكتب الأدبية والقديمة التي ألفت بعد حياة ابن المعتز ، وحاولت جمع ما يتعلق بمادة الكتاب ، وكثيراً ما كنت أقع على عبارة (وذكر ابن المعتز في كتابه سرقات الشعراء) حيث كانت هذه العبارة هادياً لي بالجمع والاطمئنان إلى المادة التي أتعّر عليها ، وقد هداني البحث إلى حقيقة لطيفة ، هي ما أعاده ابن المعتز على الشعراء وقد تأكّدت أنّ هذا من صلب الكتاب المفقود ، لأنّ عبارة (وعيب عليه ، أو عابوا عليه) كثيراً ما تلحق كلامه (سرقه من فلان) أو (أخذه ...) .

ما جعلني أطمئن أيضاً إلى سلامة عملي واستنتاجي . و كنت أود أن أفرد ما ذكره من عيب على الشعراء في آخر مادة الكتاب أي يصبح الكتاب قسمين ، الأول في السرقات ، والثاني في العيوب ولكن خاطراً فاجأني أن أجعل في نهاية سرقة كل شاعر ما عيب عليه وقد استشرت أخي وصديقي الدكتور محمد خير البقاعي بما خطر لي ورغبي في ذلك فاستحسن الخطة وعدّها جيدة ، مما شجعني على إثباتها فله شكري وامتناني . إذن كانت خطتي في العمل أن أسلك منهج ابن المعتز في التأليف لأصل إلى صورة مرضية في ترتيب المادة التي جمعتها ، دون أن أضع عناوين للمادة ، فكنت أبدأ بالسرقة وانتهي بالعيوب . وقد راعتني في ترتيب المادة العلمية تقادم الشعراء ، وأ Zimmerman حيث بدأت بشعراء الجاهلية ، فالإسلام فالآمويين فالعباسيين ، وقد راعتني قدم ولادة الشعراء المعاصرين ، أو من كانت أخباره أقدم إن لم تتحقق من القديم الزمني التاريخي ، ثم أشرت إلى المصدر الذي وجدت المادة فيه في أول الخبر ، وعندت إلى دواوين الشعراء فخرّجت الشعر منها بطرفه ، أي شعر السارق والمسروق ، ثم عمدت إلى ترجمة الشعراء وبعض الأعلام ، ترجمة تفي بالغرض مما يتطلبه التحقيق العلمي ، وخصصت الحاشية لبعض آرائي ، ورأيت بعض المصادر لاتذكر إلا موضع السرقة سواء في صدر البيت أو في عجزه فعمدت إلى إتمام تلك الأبيات من دواوين الشعراء ، دون أن أشير إلى إتمامها . و كنت أذكر اختلاف الروايات إن وجد ذلك ، وفي كل ذلك أستهدي بطريقة ابن المعتز في مؤلفاته . وربما أوردت بعضاً مما استحسنته من أقوال الأدباء والنقاد في حالات البحث ثم ختمت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي عدت إليها ... وبعد فهذه محاولة لا أدّعى أنها كاملة ، غير أنني أعدّها خطوة أولى للإنصاف لهذا الأديب وجمع ما اندثر من مؤلفاته ، فإحياء ما أماته الزمن من دأبي وهو اياتي ، لأن

ما فقدَ من تراثنا أكثر مما بقي . وكم حاولت العودة إلى مئات الكتب عسى أن أجده ما يفي بالحاجة ويقرر صورة الكتاب كما وضعه ابن المعتز ، وخرجت بما أضعه الآن أمام الباحثين وطلبة العلم عسى أن يجد قبولاً حسناً . شافعي في التقصير إخلاصي للعلم والأدب ، ورائد الصدق في المعنى ، وأسأل الله عزوجل العصمة من الزلل والتوفيق إلى الخير ، والهدى إلى الصواب .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه الطاهرين

نصَّ الْكِتَاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ أَسْتَعِينُ

يقول أَفَقَرُ الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْتَصِمِ
بِاللَّهِ بْنِ الرَّشِيدِ هَارُونَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمُتَصُورِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ
عَلَيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

هذا كتابٌ في سرقات الشعراء ، وضعناه إظهاراً لفضل المتقدم من الشعراء على
المتأخر ، كي تُعرَفَ بضاعة المحدثين من أين أخذوها ، وكيف صرفوها ، وربما دخله
شيءٌ من الكلام على المتقدمين ، وأوردت بعض ما عيب على الشعراء ، لأن العيب
يحجب الشعر عن القلب حيث قيل لمعته : ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحجبه
عن القلب شيءٌ^(٢٧) ومن ذلك ما عيب على امرئ القيس^(٢٨) قوله :^(٢٩)

فَلِلْسُوْطِ الْهُوبُ وَلِلْساقِ دُرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعَ أَهْوَجُ مَنْعِبٍ^(٣٠)

لأنه أجهد فرسه في ضربه بسوطه ، وفي زجره ، ومرأه^(٣١) فأتعبه بساقه [وهذا ما
حَكَمَتْ بِهِ أُمُّ جَنْدَبٍ لعلقة^(٣٢) على امرئ القيس]^(٣٣) حيث حدث إبراهيم بن
محمد العطار ، عن الحسن بن عليل العنزي ، قال : حدثنا أبو عدنان السلمي ، قال :
أخبرني أبو يوسف الجنبي الأستدي ، رواية عن المفضل أن أبي الغول النهشلي حدثه عن
أبي الغول الأكبر : قال : لما نزل امرؤ القيس في طبع تزوج امرأة منهم يقال لها أم
جندب ، وكان مفركاً تبغضه النساء ، إذا وقع عليهن ، فأتى أم جندب من الليل ، فقالت
له : يا خير الفتيان أصبحتَ فَقْعُمْ ، فقام فإذا الليل كما هو ، فرَجَعَ إِلَيْهَا ، فقال : ما

حملك على ما صنعت؟ قالت: لا شيء، قال: لتخبرني، قالت: كرهت لأنك تغيل
الصدر، خفيف العجز، سريع الهرأة، بطيء الإفأة قال: فلم تزل عنده، فأتأه
علقمة بن عبدة، فتذكرة الشّعر عندها، فقال لها: أنا أشعر وقال لها: أنا أشعر، فقال
له علقة: قل شيراً وانعَت الصيد، وهذه الحَكْمُ يبني ويبيك - يعني أم جندب - فقال:

خليلى مرأ بي على أم جندب لينقضى لبانات الفؤاد المُعذب

فنت فيها فرسه والصَّيد حتى فرغ منها، فقال علقة في مثل ذلك:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حفنا كل هذا التجنب^(٣٤)

إلا أن علقة قال في نعت الفرس:

فأدركهمن ثانياً من عياني يمر كمر الرائع المتغلب^(٣٥)

وقال أمرى القيس:

فللز جر الهوب وللساق درة وللز جر منه وقع أهوج منعيب^(٣٦)

قالت لامرئ القيس: هو أشعر منك، رأيتك ضربت فرسك بسوطك وحركته
بساقيك، وزجرته بصوتك، ورأيته أدرك ثانياً من عياني يمر كمر المتغلب، فخلّ سيلها
لما فضلت علقة عليه^(٣٧).

قال عبدالله بن المعتر: وعييب على امرئ القيس^(٣٨)

أغرك ميني أنة حبك قاتلي وأنك مهما تأمرني القلب يفعل^(٣٩)

وقالوا: إذا لم يغروا فائي شيء يغروا؟ قال: وإنما هذا كأسير قال من أسره أغرك مني
أني في يديك^(٤٠).

وعابوا عليه قوله :

لها ذَنْبٌ مثُلُ ذيلِ العَرْوَسِ تَسْدِيْبَهُ فَرْجَهَا مِنْ دُبْرٍ^(٤١)

وقالوا : ذيل العروس مجرور ، ولا يجب أن يكون ذنب الفرس طويلاً مجروراً ولا
قصيراً ، قالوا والصواب قوله :

ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدَبَرَتْهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لِمَ يَأْعُزُّلِ^(٤٢)

وذكروا أنَّ الأصمعي^(٤٣) عاب عليه قوله :^(٤٤)

وأَرَكَبُ فِي الرُّؤُعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُتَشَبِّرٌ^(٤٥)

فإذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريماً ، والجيد الاعتدال ، كما قال عبيد^(٤٦)

مُضْبَرٌ خَلْقَهَا تَضْبِيرًا يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبَبُ^(٤٧)

وقال مؤذني أبو سعيد محمد بن هبيرة في قول أمير القيس^(٤٨)

وَلِلسُّوْطِ مِنْهَا مَجَالٌ كَمَا تَنْزَلَ ذُو بُرْدَةٍ مُتَهَمِّرٌ^(٤٩)

وهذا أيضاً رديء ، مالها ولسوط .

وعيب عليه قوله :

فَتُوضِّحَ فَالْقِرَاءَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنَوبٍ وَشَمَائِلٍ^(٥٠)

ثم قال :

وَإِنَّ شِيفَائِي عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحَتْهَا وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ^(٥١)

وعيب على أمير القيس قوله :

فَقُلْتُ لَهُ مَا تَمَطَّى بِصَبْرٍ
وَأَرَدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلٍ
يَصْبِحُ وَمَا الْإِصْبَاحُ إِنْكَ بِأَمْثَلٍ

قال : فَانسَلَخَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ بِوَصْفِ اللَّيلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرْ مَا قَالَ ، وَجَعَلَهُ مُتَعْلِقاً
بِمَا بَعْدِهِ ، وَذَلِكَ مُعِيبٌ عِنْدَهُمْ .

وعِيبٌ أَيْضًا عَلَى امْرَأِ الْقَيْسِ فَجُورُهُ وَعَهْرُهُ فِي شِعْرِهِ كَقُولَهُ :
وَمِثْلُكِ حَبْلِيْ قَدْ طَرَقْتُ وَمَرْضَعِي
فَالْهَمِيْهَا عَنْ ذِي تَمَائِلٍ مُّحَولٍ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا اتَّصَرَّفْتُ لَهُ
بِشَبَقٍ وَتَخْتَنِي شِقْهَا لَمْ يُحُولِ (٤٢)

وَقَالُوا : هَذَا مَعْنَى فَاحْشُ ، كَيْفَ قَصَدَ لِلْحَبْلِيِّ وَالْمَرْضَعِ دُونَ الْبِكْرِ وَهُوَ مَلِكُ
وَابْنِ مُلُوكٍ ، مَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا لِنَقْصٍ هِمُّهُ .

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : عِيبٌ عَلَى امْرَأِ الْقَيْسِ قَوْلُهُ :

إِذَا مَا شَرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوَثَاحِ الْمُفَضِّلِ

فَقَالُوا : لَيْسَ تَعَرَّضُ فِي السَّمَاءِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِّنْ يَعْذُرُهُ أَرَادَ الْجُوزَاءَ لِأَنَّهَا
تَلُوهَا (٤٣) .

وعِيبٌ عَلَيْهِ غَيْرُ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقُصِيدَةِ ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الرَّوَاةِ أَنَّ هَذِهِ
الْقُصِيدَةَ (٤٤) لَيْسَ لَهُ وَأَنَّهَا لِبَعْضِ التُّمَرِيرِينِ .

وَقَدْ عِيبٌ عَلَى النَّابِغَةِ وَزَهِيرِ وَالْأَعْشَى وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ وَالْأَنْطَلِ وَغَيْرِهِمْ مِّنْ
حُذَاقِ الشِّعْرِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةَ .

فَمَمَا عَيْبٌ عَلَى النَّابِغَةِ (٥٥) قُولُهُ فِي وَصْفِ النَّعَامِ (٥٦).

تَحِيدُ عَنْ أَسْتِنٍ سَوْدَ أَسَافِلُهُ مِثْلُ الْإِمَاءِ الْغَوَادِي تَحْمِلُ الْحُزْمَ (٥٧).

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِنَّمَا تُوصَفُ الْإِمَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِالرَّوَاحِ لَا بِالْعَدْوِ ، لَأَنَّهُنْ يَجْتَنِبُونَ الْحَطْبَ إِذَا رُحْنَ .

وَأَنْشَدَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَهَابَ التَّغْلِيْبِيَّ (٥٨) :

نَظَلَلُ بِهِ رَبِّ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءَ تُرْجَحِي بِالْعِشَيِّ حَوَاطِبُ (٥٩)

لأنَّ النَّعَامَةَ إِذَا خَفَقَتْ عَنْهَا وَمَسَتْ كَانَتْ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِمَاشٍ وَعَلَى ظَهِيرَهِ جِمْلٌ .

وَعَابُوا قَوْلَ النَّابِغَةِ أَيْضًا :

وَكُنْتُ اُمَّرَأًا لَا أَمْدَحُ الدَّهْرَ سُوقَةً فَلَسْتُ عَلَى خِيرِ أَنَاكَ بِحَاسِبِيِّ (٦٠)

وَقَالُوا : كَيْفَ يَحْسُدُهُ عَلَى مَا قَدْ جَادَ بِهِ لَهُ .

وَعَابُوا قَوْلَهُ :

فَاحْكُمْ كَحْكُمْ فَتَاهِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الشَّمَدِ (٦١)

وَقَالُوا : أَمْرَأَهُ أَنْ يَحْكُمْ كَحْكُمَ اُمَّرَأَهُ .

وَعَابُوا عَلَيْهِ اختِلَافُ التَّوَافِيِّ فِي الْإِعْرَابِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

قَالَتْ بْنُو عَامِرٍ خَالِسَا بْنِي أَسَدٍ يَا بُؤْسَ اللَّدْهِرِ ضَرَارًا لِّأَقْوَامٍ (٦٢)

وَقَوْلُهُ :

تَبَدُّو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةً لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ (٦٣)

وقوله : (غَيْرَ مَزُودٌ ..) (٦٤) ثم قال : (... الغَرَابُ الْأَسْوَدُ) (٦٥)

ومن ابتداءات النابغة الحسنة قوله : (٦٦)

كِلِينِي لِهُمْ يَا أُمِيمَةُ نَاصِبٍ وَلِلِّي أَفَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ (٦٧)
وهو مُقدَّم على قول أمير القيس :

قِنَانِكِ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ (٦٨)

لما فيه من عدم التاسب ، فإنه وقف ، واستوقف ، وبكي واستبكى ، وذكر الحبيب والمotel في نصف بيت عذب اللفظ ، سهل السبك ، ولم يتفق له مثل ذلك في النصف الثاني ، بل أتى فيه بمعان قليلة في ألفاظ غريبة فباین الأول بخلاف بيت النابغة فإنه لا تفاوت بين قسميه .

قال عبدالله بن المعتز : حُكِيَ عن ابن سلام - أو غيره (٦٩) - أنه قال : مما قدم به زهير على الشعراء ، أنه كان أبعدهم من سُخْفٍ ، وأشدُّهم اجتناباً لحوشِيَّ الكلام ، فأي شيء نصنع بقوله :

وَلَوْلَا عَسْبَهُ لَرَدَدْتُمُوهُ وَشَرْمِيْحَةُ أَيْرُ مُعَارُ (٧٠)
إِذَا جَمَحَتْ نِسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ أَشَظَّ كَانَهُ مَسَدُ مَفَارُ (٧١)
فهذا السُّخْف ، وأما حُوشِيَّ الكلام فقوله :

وَلَئِنْ لَطَلَابُ الرِّجَالِ مُطْلَبٌ فَلَسْتُ بِمَثْلُوجٍ وَلَا بِمُعْلَمَجٍ (٧٢)
يريد الدُّعْيَ ، وقيل المثلوج : البليد ، والمعلمج : الأحمق .
وقوله :

نَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةٍ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ^(٧٣)
وَالحَقْلَدُ : السَّيِّئُ الْخُلُقُ ، وَقِيلٌ : الْقَصِيرُ الْجَبَانُ .
وَعَابُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ فِي الصِّفَادِعِ :

يَخْرُجُونَ مِنْ شُرُبَاتٍ مَأْوَاهَا طَحِيلٌ عَلَى الْجَذَنِوْعَ يَخْفَنَ الْغَمَّ وَالْغَرَقاً^(٧٤)
لَأَنَّ الصِّفَادِعَ لَا تَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ لَأَنَّهَا تَخَافُ الْغَمَّ وَالْغَرَقاً ، وَإِنَّمَا تَطْلُبُ الشَّطُوطَ
لِتَبَيَّضَ هَنَاكَ وَتَفَرَّخَ .
وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ :

ثُمَّ اسْتَمْرُوا وَقَالُوا إِنَّ مَشْرَبَكُمْ مَاءَ بَشْرِقِيَّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْ رَكَكُ^(٧٥)
لَأَنَّهُ حُكْيَى عَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ رَكَكٌ^(٧٦)
وَقَالَ مُؤْدِبِي أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدَ بْنَ هَبِيرَةَ الْأَسْدِيِّ فِي قَوْلِ زَهِيرٍ :

رَأَيْتُ الْمَنَابِيَا خَبْطَ عَشَوَاءَ مِنْ تُصِيبَ تُمْتَهَنَّهُ وَمِنْ تُخْطِئِي ء يُعْمَرُ فَيَهْرَمُ^(٧٧)
إِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ الْمَشَايِخَ يَقُولُونَ : هَذَا بَيْتُ زَنْدَقَةٍ ، وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْ أَبْيَاتِهِ الَّتِي يَقُولُ
فِي بَعْضِهَا :

فَيَرْفَعُ فِي وَضْعِهِ فِي كِتَابٍ فَيُدَخِّرُ لِيَوْمٍ حَسَابٍ أَوْ يُعَجِّلُ فَيَنْقَمِ^(٧٨)
قَالَ : وَأَعْجَبَ مِنْ زَهِيرَ خَطَاً فِي هَذَا الْمَعْنَى ، لَأَنَّ زَهِيرًا كَانَ جَاهِلِيًّا ، زِيَادُ بْنُ قَتْبَعَ
الْتَّصْرِيِّ فِي سَرْقَتِهِ هَذَا الْمَعْنَى لَأَنَّهُ - فِي أَكْبَرِ ظَنِّي - مُسْلِمٌ ، حِيثُ يَقُولُ :

رَأَيْتُ الْمَنَابِيَا خَبْطَ عَشَوَاءَ مِنْ تُصِيبَ يَصِرُّ حَرَضًا عَنْ عَرْكَهَا بِالْكَلَّا كَلِ^(٧٩)
وَعِيبٌ عَلَى زَهِيرٍ قَوْلُهُ :
قِفْ بِالدَّلِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفَهَا الْقِدْمُ^(٨٠)

ثم قال :

بَلِّي وَغَيْرُهَا الْأَرْوَاحُ وَالدِّيمُ^(٨١)

فذكرت الرواية أنه أكذب نفسه ، فهو كمثل قول امرئ القيس :

.... (وَهُلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوْلٍ)^(٨٢)

وكان قد ذكر : (قَوْضِحَ فَالْمُقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا)^(٨٣)

وقال أبو سعيد مؤدي^(٨٤) وأحسن من إكذابه نفسه ، أن يكون جعل عُفُوها خلوتها من أحبيته ، ومع خلوتها منهم فقد غيرتها الأمطار^(٨٤)

قال عبدالله بن المعتز : عابوا على الأعشى^(٨٥) قوله^(٨٦)

وَنَبَقْتُ قَيْسًا وَلَمْ آتِيهِ وَقَدْ زَعَمُوا سَادَ أَهْلَ الْيَمْنِ^(٨٧)

فما بعدها الشك ، ويقال : إن قيساً أتكر عليه ذلك ، فجعل مكان (وقد زعموا على نائيه) .

وما استطاعت من معانيه قوله :

فَرَمَيْتُ غَلَّةَ عَيْنِي عَنْ شَاهِي فَأَصْبَتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالِهَا^(٨٨)

وقد عابه قوم بذلك لأنهم رأوا ذكر القلب ، والفؤاد والكبد يتردد كثيراً في الشعر عند ذكر الهوى والمحبة والشوق ، وما يجده المغرم في هذه الأعضاء من الحرارة والقرب ، ولم يجدوا الطحال استعمالاً في هذه الحال ، إذاً لا صنع له فيها ، ولا هو مما يكتسب حرارة وحركة في حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكوناً في فرح أو ظفير ، فاستهجنوا ذكره .

وابعوا عليه الإيطاء^(٨٩) في قوله :

وَدَعَ هُرُبَرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعِاً أَيْهَا الرَّجُلُ^(٩٠)

وقوله:

قالت هُرِيَّةُ لَا جِئْتُ زائِرَهَا وَيْلٌ عَلَيْكَ وَوَيْلٌ مِنْكَ يَا رَجُلٌ
وعابوا عليه استعمال الألفاظ العجمية في شعره^(٩١)

وأنكروا عليه قوله:

لَوْ أَسْنَدْتَ مِيتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرٍ^(٩٢)
وأخبرني بعض شيوخنا أنه أدرك الناس وهم يزعمون أنَّ هذا البيت أكذب بيت
قاله العرب.

قال عبدالله بن المعتز^(٩٣) : قال لبيد^(٩٤) :

وَغَدَةَ رِيحَ قَدْ كَشَفَتْ وَقَرْةً إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّمَالِ زِمامُهَا^(٩٥)
وقد أخذته من قول ثعلبة بن صعير المازني^(٩٦)

فَنَذَاكِرا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَمَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ^(٩٧)
قال عبدالله بن المعتز^(٩٨) وعابوا على ابن مقبل^(٩٩) قوله:

وَالْعَيْنُ تُكَشِّفُ عَنْهَا ضَافِي الشِّعْرِ^(١٠٠)

وقد تبع أمراً القيس في قوله:

وَأَرَكَبُ فِي السَّرْوَعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُتَشَبِّرٌ^(١٠١)
وهذا خطأ لأن شعر الناصية إذا غطى العين لم يكن الفرس كريماً.
وقال يزيد بن مفرغ^(١٠٢).

الْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَمَ وَالْحَرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَه^(١٠٣)

وقد أخذَهُ من الصَّلَتان الفَهْمِي حِيثُ قَالَ : (١٠٤)

الْعَبْدُ يَقْرَعُ بِالْعَصَمَ وَالْحَرُّ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ (١٠٥)

وَقَالَ الْأَخْيَطِيلُ (١٠٦-١٠٧)

وَلَقَدْ سَمَا لِلْخُرُمِي فَلَمْ يَقُلْ يَوْمَ الْوَغْرِي لَكِنْ تَضَايِقَ مَقْدَمَي (١٠٨)

أَخْذَهُ مُشِيرًا إِلَى قَوْلِ عَنْتَرَةَ (١٠٩)

إِذْ يَقْتَوْنَ بِسِي الْأَسْنَةِ لَمْ أَخِمْ عَنْهَا وَلَكُنْ تَضَايِقَ مَقْدَمَي (١١٠)

وَعِيبُ عَلَى جَرِيرَ (١١١-١١٢) قَوْلُهُ :

أَغْرَكَ مِنِي أَنَّمَا قَادَنِي الْهُوَيُّ إِلَيْكِ وَمَا عَهْدَ لَكُنْ بَدَائِمَ (١١٣)

فَهُوَ كَمِثْلِ قَوْلِ امْرَئِ الْقَيْسِ :

أَغْرَكَ مِنِي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْكِ مَهْمَا تَأْمِرِي الْقَلْبَ بِفَعْلِ (١١٤)

وَقَالَ الْكُجُبِتُ (١١٥-١١٦)

وَنَحْنُ طَمَحْنَا لِامْرَئِ الْقَيْسِ بَعْدَمَا رَجَأَ الْمُلْكَ بِالْطَّمَاحِ نَكْبَا عَلَى نَكْبِ (١١٧)
وَأَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ امْرَئِ الْقَيْسِ :

لَقْدَ طَمَحَ الطَّمَاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيُلِبِّسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبِسَا (١١٨)

قَالَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَعْتَزَ (١١٩) : قَالَ مُولَى لِتَمَّامَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَخَاطِبُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ مُولَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا أَتَى الْحَسْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ : أَنَا مُولاُكَ :

جَحَدْتَ بَنِي الْعَبَّاسَ حَقَّ أَبِيهِمْ فَمَا كُنْتَ فِي الدُّعَوَى كَرِيمُ الْعَوَاقِبِ
مَتَى كَانَ أَوْلَادُ الْبَنَاتِ كَوَارِثٍ يَحْوِزُ وَيُدْعِي وَالَّذَا فِي الْمُنَاسِبِ
فَسُرَقَ مَرْوَانُ^(١٢٠) هَذَا الْمَعْنَى وَأَوْدَعَهُ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

أَئِي يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنِ لَبَنِي الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ^(١٢١)

فَأَخْنَدَ بِهَذَا الْبَيْت مَالًا عَظِيمًا .

وَقَالَ إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ^(١٢٢) مِنْ قَصِيدَةِ لَهُ فِي إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمُصَبِّيِّ^(١٢٣) :

لَمَّا أَتَتْكَ وَقَدْ كَانَتْ مَنَازِعَةً دَانِي الرَّضَا بَنْ أَيْدِيهَا بِأَقْيَادِ^(١٢٤)

لَهَا أَمَامَكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذَكْرِكَ يُشْغِلُهَا عَنِ الرَّبْوَعِ وَيُلْهِهَا عَنِ الزَّادِ^(١٢٥)

وَقَدْ أَخْنَدَهَا مِنْ قَوْلِ أَخِيهِ مَرْوَانِ الْأَكْبَرِ لِلْمَهْدِيِّ :

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رَكَابُنَا دَجِي الْلَّيلِ يَخْبَطُنَ السَّرِيعَ الْمُخْدَمَ^(١٢٥)

يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا الْلَّيلُ أَظْلَمَ لَمَا

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ^(١٢٦) وَلَا قَالَ بَشَارُ بَيْتَهُ^(١٢٧)

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفِرْ بِحاجِتِهِ وَفَازَ بِالْطَّيَّابَاتِ الْفَاتِكِ الْلَّهِجُ^(١٢٨)

أَخَدَ سَلْمَ الْخَاسِرُ^(١٢٩) هَذَا الْمَعْنَى وَجَاءَ بِهِ فِي أَجْوَدِهِ أَفْقَاطِهِ وَأَفْصَحِهِ وَأَوْجَزَ فَقَالَ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمَّا وَفَازَ بِاللَّذْذَةِ الْجَسُورُ^(١٣٠)

وقال بشار - حين قال بيته ذاك - ما سبقني أحدٌ إلى هذا المعنى ولا يأتي بمثله أحدٌ ، فلما قال سَلْمَ هذا البيت ، قال راوية بشار ، صِرْتُ إِلَيْهِ فقلتُ لَهُ : يا أبا معاذ ، قد قال سَلْمَ بيته أَجْوَدَ مِنْ بَيْتِكَ الَّذِي كُنْتُ تُعْجَبُ بِهِ . قال : وما هو ؟ فَأَنْشَدَهُ ، فقال : أَوْخَ ذَهَبَ .
وَاللَّهِ - بِيَتِي ، لَوْدِدْتُ أَنَّ لَاءَهُ لِغَيْرِ أَبِي بَكْرَ الصَّدِيقِ ، فَأَقْطَعَهُ وَقَوْمَهُ بِهِجْرَى ، ثُمَّ نَحَّاهُ
عَنْ نَفْسِهِ ، حَتَّى كَلَمَهُ فِيهِ بَعْضُ إِخْرَانِهِ فَرَدَهُ .

وقال أَشْجَعُ السَّلْمَى^(١٣١) (١٣٢) -

وَيَعْنُتُنِي مِنْ لَذَّةِ الْعِيشِ أَنِّي أَرَاهُ إِذَا فَارَقْتُ لَهُواً يَرَانِي^(١٣٣)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ^(١٣٤)

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِكِ حَتَّى كَائِنَا عَلَيْ بَظَهَرِ الْغَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ^(١٣٥)
وَمَا يُسْتَحْسِنُ لِلْعَبَاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ^(١٣٦) قَوْلُهُ :^(١٣٧)

لَوْ كَنْتِ عَاتِبَةَ لَسْكَنَ لَوْعَتِي أَمْلَى رِضَاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مَرَاقبِ^(١٣٨)
لَكِنْ مَلَلتِ فَلَمْ تَكُنْ لَيْ حِيلَةَ صَدُّ الْمَلَولِ خَلَافُ صَدُّ الْعَابِ
مَا ضَرَّ مِنْ قَطْعَ الرِّجَاءِ يُبَخِّلِهِ لَوْ كَانَ عَلَّنِي يُوعِدُ كَاذِبِ

وهذا المعنى يشبه قول الشاعر^(١٣٩)

أَمْتَنِي فَهَلْ لَكِ أَنْ تَرْدِي حِيَاتِي مِنْ مَقَالِكَ بِالْغُرُورِ
أَرِي حُبِّيْكِ يَنْمِي كُلَّ يَوْمٍ وَجُورِكِ فِي الْهُوَى عِدْلًا فَجُورُي
وَقَالَ أَبُو الشِّيْصِ^{(١٤٠)- (١٤١)}

وَقَفَ الْهُوَى بِي حِيثُ أَنْتَ فَلِيسَ لِي مَتأخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقْدِمٌ^(١٤٢)

فَأَخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ (١٤٣) وَضَمَّنَهُ قَوْلَهُ فِي الْحَصِيبِ (١٤٤)

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَمَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حِيثُ يَصِيرُ (١٤٥)
فَسَارَ هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي نُوَاسٍ ، وَلَمْ يَسِرِّ بَيْتُ أَبِي الشِّيشِ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ (١٤٦) وَسَمِعَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ بِقَوْلِ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرَ (١٤٧)

خَلِيلِيُّ فِيمَا عِشْتَمَا هَلْ رَأَيْتَمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبٍّ قَاتِلِهِ قَبْلِيِّ (١٤٨)
فَأَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ كُلَّهُ وَأَخَذَ مَعَانِيهِ (١٤٩) كُلَّهَا فَقَالَ :

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِيَ قَتِيلًا بَكَى مِنْ شَدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ (١٥٠)
وَمَا عَيْبٌ عَلَى أَبِي الْعَمِيلِ (١٥١) مِنْ خَفَةِ الْوَزْنِ قَوْلُهُ (١٥٢)

قَدْ جَارَ وَاللَّهِ عَلَى جَارِهِ وَاللَّهُ قَدْ أَوْصَاهُ بِالْجَارِ
حَتَّى مَتَى يَا سَيِّدِي أَنْتَ لَيِّ تَمَرِّجُ إِقْبَالًا يَادِبَارِ
يَا مَنْ رَأَى فِيمَنْ رَأَى قَبْلَهُ الْدِينَارُ فِي رَاحَةِ دِينَارٍ

وَمَا عَيْبٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْحِمَانِيِّ (١٥٣) فِي قَصِيدَتِهِ التِّي يَسْتَحْسِنُهَا النَّاسُ الَّتِي أَوْلَاهَا
(عَادَلَهُ مِنْ عَاقَابِ الْهُوَى عِيدُ) (١٥٤)

يَقُولُ فِيهَا :

أَبْقَى الْهُوَى مِنْهُ جِسْمًا كَالْهُوَى ضَنْيًا تَنَفَّسَ الرِّيحُ فِيهِ وَهُوَ مَفْقُودُ (١٥٥)

قَدْ أَوْجَبَ (جِسْمًا تَنَفَّسَ فِي الرِّيحِ) فَأَوْجَدَهُ ثُمَّ أَعْدَمَهُ بِقَوْلِهِ (وَهُوَ مَفْقُودٌ) .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلَى الْمَنْجَمِ (١٥٦) «الشِّعْرُ صَوْبُ الْعُقُولِ ، يَظْهُرُ فِي السُّنْدِيَّ أَفْنَ الْإِنْسَانِ
أَوْ حِكْمَةً» (١٥٧) فَسَرَّقَ هَذَا الْلَّفْظُ ثُمَّ أَتَبَعَهُ بِمَا لَيْسَ بِسُرْقَةٍ مِنْ لَفْظِهِ الْفَثُّ وَإِنَّا
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ (١٥٨)

فلو كان يُفْنِي الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَأْتُ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الْذُوَاهِبِ^(١٥٩)
ولَكُنَّهُ صَوْبُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَابَ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَابٍ

قال عبد الله بن المعتز^(١٦٠) وللطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها وأخطأ في بعضها ، ولما نظرت في الكتاب الذي ألفه في اختيار الأشعار ، وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء ، وإنما سرق بعض ذلك ، فطوى ذكره ، وجعل بعضه عدداً يرجع إليها في وقت حاجته ، ورجاءً أن يترك أكثر أهل الذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها ، ويقنعوا باختياره لهم فتفغى عليهم سرقاته ، ولا يُعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاعة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول ، أو يَسْتَحْيَ لِهِ بِذَلِكَ مَعْنَى يَفْضُحُ بِهِ تَقْدِيمَهُ ، وَلَا يُفْتَضِحُ بِهِ ، وينظر إلى ما قصدَهُ نظرٌ مُسْتَغْنٌ عنه لا فقير إليه ، من ذلك ما حدثني به محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلْمَاني الزارع ، قال : حدثني ابن عائشة ، قال : قال أبو العتاهية لابن مناذر^(١٦١) إن كنت أردت بـ شعرك شِعْر العجاج ورؤبة^(١٦٢) فما صنعت به شيئاً ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ، أرأيت قولك ... ومن عاداك يلقى المرميسا^(١٦٣) . أي شيء أعجبك في المرميس .

وَوَجَدْتُ أَبَا عِيَدَةَ^(١٦٤) ذِكْرَ فِي كِتَابِ الْخَلِيلِ فِي بَابِ مَا يُسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى جُودَةِ الْفَرَسِ ، وَهُوَ يَحْضُرُ « وَيَبْضَعُهُ مَرْمِيْسُ » ، وَهَامَةُ مَرْمِيْسُ ، وَهِيَ الضَّخْمَةُ ، وَأَرَادَ ابْنُ مَنَازِ الدَّاهِيَةِ ، وَقَدْ جَاءَ أَبُو تَمَامَ بِالْدَّرْدِيْسِ ، وَهِيَ أَخْتُ الْمَرْمِيْسِ فَقَالَ :

بَنَدَاكَ يَوْسَى كُلَّ جَرْجَ يَعْتَلِي رَأْبَ الْأَسَاةِ بِدَرْدِيْسِ قَنْطَرِ^(١٦٥)

وقال رجلٌ من بني أسد ، وكان أبو عبد الله الجُرْشِي أحد الشعراء الشاميين أنشدَنَيه بعض شعراء بني أسد وهو الكُمَيْتُ بْنُ زِيدَ :

نَعْيَتُ كَمْ لَا تَجْتَوِي دِيَارُكُمْ وَلَوْلَمْ تَغْبَ شَمْسُ النَّهَارِ مُلْتَ^(١٦٦)
فَأَحْذَهُ الطَّائِي وَقَالَ :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ يَسِرَّ مَدِ^(١٦٧)
وَقَالَ الطَّائِي :

جَلَّا ظُلُمَاتِ الظُّلُمِ عَنْ وَجْهِ أُمَّةٍ أَضَاءَ لَهَا مِنْ كَوْكَبِ الْحَقِّ أَفْلَهَ^(١٦٨)
سَرَقَهُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ »^(١٦٩)
وَقَالَ :

الْجَدُّ لَا يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ يَرْضَى الْمُؤْمِلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرَّضَى^(١٧٠)
بَلَغَنَا أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ رَأَى حَيْبَ الطَّائِي يَتَشَدَّدُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ عِنْدَ الْحَسْنِ بْنِ
وَهَبِ^(١٧١) فَقَالَ : يَا هَذَا شَدَّدْتَ عَلَى نَفْسِكَ^(١٧٢) وَقَالَ :

لَا تَفْوَقْتِ الْخَطُوبُ سَوَادَهَا بِبَياضِهَا غَيَّتِ بِهِ فَتَفَوَّقَ^(١٧٣)
فَسَرَقَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

قَصَرَ الْلِّيَالِي خَطْوَهُ فَتَدَانِي وَثَنَنَ قَائِمَ صَلْبِهِ فَتَحَانِي
مَا بَالُ شَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَهُ أَفْنَى ثَلَاثَ عَمَائِمَ الْوَانِا
سَوَادَاءِ دَاجِيَةٍ وَسَحْقَ مُفْرَقٍ وَأَجَدَ لَوْنًا بَعْدَ ذَاكَ مَجَانًا^(١٧٤)

وَقَالَ يَصْفِحُ الْمَطَابِيَا :

لَوْ كَانَ كَلَفَهَا عَيْدَ حَاجَةً يَوْمًا لَزَئِنَى شَدَّقَمَا وَجَدِيلًا^(١٧٥)

يعني عَبْد الرَّاعِي ، مَا أَخْسَسْ قُولَه : (لَرَنَى شَدَقَمَا وَجَدِيلَا) وما معنى تزينة ناقة أو جمل
أو بهيمة ؟ ، وَمَا أَشَبَهُ هَذَا بِقولِ عَبْد الرَّاعِي (١٧٦)

إِلَى الْمُصْطَفَى بِشَرِّي بْنِ مَرْوَانَ سَافَرَتْ بِنَاللَّيلِ حَوْلَ كَالْقَدَاحِ وَلُقَحْ (١٧٧)
تَلَقَّهَا بَنَا رَوْحُ زَوَاجِلُ ، وَاتَّسَعَتْ بِأَجْوَازِهَا أَيْدِيْ تَبَدُّلٍ وَتَرَحُّ
فَظَلَّتْ بِمَجْهُولِ الْفَلَةِ كَائِنَهَا قَرَاقِيرُ فِي آذِيْ دَجَلَةِ تَسْبِحُ
لَهَامِيمُ فِي الْفَرْقِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَرَاءَ الَّذِي قَالَ الْأَدَلَاءُ تُصْبِحُ (١٧٨)

وَقَالَ الطَّائِي :

إِذَا الثَّلْجُ فِي حَرَّ الْهَجِيرَةِ لَمْ يَذْبُبْ مِنَ الصَّنْ وَالصَّنْبَرْ ذَابَتْ فَوَائِدُهُ (١٧٩)
وَسَرَقَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قُولِ الْآخِرِ : (مَا أَجْمَدَ فِي حَقٍّ ، وَلَا أَذْوَبَ فِي باطِلٍ) فَأَسَاءَ
السُّرْفَةَ وَشَوَّهَ الْمَعْنَى .

وَقَالَ :

رَقَّتْ جَوَاهِرُ أَجْنَاسِ الْغَزَالِ فَلَوْ مُلْكَتْ لَشَرِبَتْ الْخِشْفَ فِي الْكَاسِ (١٨٠)
فَانْظُرْ مَا أَبْغَضَ قُولَه : ثَمَّ (الْغَزَال) وَقَالَ هَاهُنَا (الْخِشْف) فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ وَإِنَّا سَرَقَ
الْمَعْنَى مِنْ قُولِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ مُخَارِقَ ، وَقَدْ غَنَى :
رَقَّتْ حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَحْسُوكَ (١٨١)

وَقَالَ :

فَإِنَّ صَرِيعَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ لَامِرِيْ إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتْحَوَّلَ (١٨٢)

وليس هذا بشيء ، ربما استطاب الناس التحول إلى الشمس ، وإنما أخذه من كلام العامة : (إذا بلغتك الشمس فتحول).

وقال :

لا تنسجَنْ لها فإنْ بُكاءَها ضيختْ وإنْ بُكاءَها استغرامٌ^(١٨٢)

وسرقَ هذا المعنى من قول القائل :

أحقاً يا حمامَةَ بطنَ فلْجٍ
بهذا الوجْدِ إِنْكِ تصْدُقِنَا
غلبتَكِ في البكاءِ بِأَنْ ليلسي
أوصيَّلَهُ وَأَنْكِ تَهْجَعِنَا
وَأَنْكِ في بكائِكِ تُنْدِبِنَا^(١٨٣)

وقال :

من شردة الإعدام عن أوطانِهِ
بالبذل حتى استطُرِفَ بالإعدام^(١٨٤)

وسرقَ هذا المعنى من الأعشى إذ يقول :

هم يطردون الفقرَ عن جارِهِمْ
حتى يُرى كالفنصِنِ الناضِرِ^(١٨٥)

وقال في وصف الفرس :

إمليَّةَ إمليَّةَ لو عَلَقتَ في صَهْوَتِيهِ العَيْنُ لم تَتَعلَّقَ^(١٨٦)

فسرقَه من أمرئ القيس حيث يقول :

..... متى ما ترقَ العينُ فيه تَسْفَلَ^(١٨٧)

وبيت امرئ القيس أصبحَ معنى ، لأنَّه أراد أنَّ العين إذا صعدَت فيه صُوبَت إشقاقاً عليه من أن تصيبَه ، خبرَني بذلك أبو سعيد ، وأراد الطائي أن العين لا تتعلق به من

انتقال لونه وأملائته، فأفرط ولم يصنع شيئاً.

وقال:

والحَرْبُ تَعْلَمُ حِينَ تَجْهَلُ غَارَةً
تَغْلِي عَلَى حَطَبِ الْقَنَا الْمَحْطُومِ^(١٨٨)
وسرق هذا المعنى من شعر لدُرَّةَ بنتِ أبي لهب في يوم الفِجَار^(١٨٩) وهو :

مَلْمُوْسَةُ خَرَسَاءُ يَحْسِبُهَا
مَنْ رَأَهَا مَوْجَأَ مِنَ الْبَحْرِ
ثَهُويَ أَمَامَ كَتَائِبِ خُضْرٍ
فِيهِمْ دُعَافُ الْمَوْتِ أَبْرَدَهُ^(١٩٠)

وقال الطائي :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالَةَ أُمُّهَا
وَلَوْدَ وَأُمُّ الْخَلْمِ جَدَّاءُ حَائِلُ^(١٩١)
وسرق هذا المعنى من قول الشاعر :

بُنَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا
وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتُ نَزُورُ^(١٩٢)

وقال :

سَدِّكُ الْكَفُّ بِالنَّدَى عَائِرُ السَّمْعِ إِلَى حِيثُ صَرْخَةُ الْمَكْرُوبِ^(١٩٣)
فوجدهناه قد سرق هذا من بيت بعض الشعراء مدح به يحيى بن خالد البرمكي وهو:

رَأَيْتُ يَحْيَى حِينَ نَادَيْتَهُ مُتَصِّلَ السَّمْعِ بِصَوْتِ الْمَنَادِي^(١٩٤)

وهو أجود من بيت الطائي ، وأسلم من التكلف ، وأمشى في الإحسان : وقال :

وَرَكْبُ يُساقُونَ الرَّكَابَ زُجَاجَةً
مِنَ السَّيْرِ لَمْ تَقْطُبْ لَهَا كَفُّ قَاطِبٍ^(١٩٥)

سرقة من قول أبي نواس :

رَكْبٌ تَساقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأسَ الْكَرْبَ فَاسْتَوْى الْمَسْقِيُّ وَالسَّاقِيُّ^(١٩٦)
قال عبد الله بن المعتز : جاءني محمد بن يزيد النحوي^(١٩٧) فجرى ذكر أبي تمام ،
فلم يوفه حقه ، فقال له رجل من الكتاب - كان في المجلس ما رأيت أحداً أحفظ لشعر
أبي تمام منه - يا أبا العباس ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول
مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغثث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه :

لَعْمَرِي لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمْ بَعْدِي وَمُحَّتْ كَمَا مُحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فِي دَمَعٍ أَنْجَدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ^(١٩٨)
ثم مر فيها حتى بلغ قوله في الاعتذار :

أَتَانِي مَعَ الرَّكْبَانِ ظَنْ ظَنَتْهُ لَفَقْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
كَرِيمٌ مَتِي أَمْدَحَهُ أَمْدَحَهُ وَالْوَرَى مَعِي وَمَتِي لَمْتَهُ لَمْتَهُ وَحْدِي^(١٩٩)
وقد كرر كلمة أَمْدَحَهُ أَمْدَحَهُ ، مع الجمْع بين الحاء والهاء ، وهما معاً من حروف الخلق ،
وهذا معيب على الشاعر^(٢٠٠)
وما أنكر عليه قوله في قصيدة^(٢٠١)

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنَّ جَنُونَهَا إِذَا لَمْ يُعُوذْهَا بِنَعْمَةِ طَالِبٍ^(٢٠٢)
وَلَمْ يُجَنْ جَنُونُ عَطَايَاهُ انتظاراً لِلْطَّلْبِ؟ يَتَدَئُّ بِالْجُودِ وَيَسْتَرِيعُ .
وقال :

تَسْعَوْنَ أَلْفَأَ كَآسَادِ الشَّرِّي نَضَجَتْ جَلْوَدُهُمْ قَبْلَ نُضُجِ التَّينِ وَالْعِنْبِ^(٢٠٣)

وقد سبق الناسُ إلى عِيبٍ هذا الْبَيْتِ قَبْلِي ، وهو من خسيسِ الْكَلامِ .

وقال :

لَوْلَمْ يَمْتَأْتِي بَيْنَ أَطْرَافِ الرَّمَاحِ إِذَا
لَمَاتَ إِذَا لَمْ يَمْتَأْتِي مِنْ شَيْءَةِ الْحَزَنِ^(٢٠٤)

فَكَانَهُ لَوْ نُصَرَّ أَيْضًا ، وَظَفَرَ كَانَ يَمُوتُ مِنْ الْغَمِّ حِيثُ لَمْ يَنْتَصِرْ وَيُقْتَلُ فَهَذَا مَعْنَى لَمْ
يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى الْخَطَأِ فِي مَثْلِهِ .

وقال :

إِذَا فُقِدَ الْمَفْقُودُ مِنْ آلِ مَالِكٍ تَقْطُعُ قَلْبِي رَحْمَةً لِلْمَكَارِمِ^(٢٠٥)

وَهَذَا قَدْ عِيبٌ قَبْلَنَا ، وَقَالُوا : تَقْطُعُ رَحْمَةً لِلْمَكَارِمِ - مِنْ كَلَامِ الْخَتَنِينِ - وَقَدْ كَانَ النَّاسُ
قَبْلَنَا يَنْكِرُونَ عَلَى الشَّاعِرِ أَقْلَى مِنْ هَذِهِ الْمَعَايِبِ حَتَّى هَجَنُوا شِعْرَ الْأَخْطَلِ ، وَقَدْمَوْا عَلَيْهِ
غَيْرَهُ بِثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ لَمْ يُصِبْ فِيهَا . وَهُوَ شَاعِرُ زَمَانِهِ ، وَسَابِقُ مِيَادِنِهِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشَرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكِي وَالْمُعَوْلُ^(٢٠٦)

فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْجَزَعِ ، وَعَظَمُ مِنْ فِعْلِ عَدُوِّهِ بِهِ .

وَقَوْلُهُ :

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبْيَتِنْ فِيكُمْ آمِنًا زُفْرُ^(٢٠٧)

فَعَظَمُ قَدْرُ عَدُوِّهِ ، وَمَنْ يَهْجُوهُ ، حَتَّى خَوْفُ الْخَلِيلَةِ مِنْهُ .

وَقَوْلُهُ :

قَدْ كُنْتُ أَخْسَبَهُ فِينَا وَأَنْبَأَهُ فَالْيَوْمَ طَيْرٌ عَنْ أَثْوَابِهِ الشَّرَّ^(٢٠٨)

فأراد أن يمدحه فهجاه ، فكيف نجيز للمحدثين مع تصريحهم لأشعار الأوائل وعلمهم بها مثل هذا الجنون .

وقال الطائي :

وقد سد مندوحة القاعصاء منهم وأمسك بالنافقاء^(٢٠٩)

ولم نعُب من هذه الألفاظ شيئاً ، غير أنها من الغريب المصدود عنه وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها فكأنها تشكو الغربة في كلامهم ، لأنَّرُون بعْدَ قوله :

قُرُبَ الْحَيَا وَانْهَلَ ذَاكَ الْبَارِقُ والْحَاجَةُ الْعُشَرَاءُ بَعْدَكَ فَارِقُ^(٢١٠)

وقال :

كَانُوا رِدَاء زَمَانِهِمْ ، فَتَصْدُعُوا فَكَانَتْ لَبِسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا^(٢١١)
وقد تقدم إنكار الناس هذا البيت قبلي لما بين نصفيه من التباهي في الإساءة والإحسان .
وقال يصف قصيدة :

فَجَعَلْتُ قِيمَهَا الضَّمِيرَ ، وَمَكَنْتُ مِنْهُ فَصَارَتْ قِيمًا لِلْقِيمِ^(٢١٢)
هذا وأمثاله مما أنكره عليه إسحاق بن إبراهيم ، حتى قال له لقد شددت على نفسك .
وقد أسلقنا من معايب شعره شيئاً كثيراً^(٢١٣)

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ الْعَزِيزِ الْوَهَابِ

خاتمة

لا بد لي قبل إنتهاء الكلام هنا ، من أن أشير إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أتنى من خلال استقصائي لكتب النقد والأدب لم أقع على أي رأي لابن المعتز في سرقات البحترى ، بالرغم من أن الآمدى ذكر قسماً كبيراً من سرقاته من الشعراء ومن أبي تمام ، وكان يدافع عنها جداً على خلاف ما فعل مع أبي تمام ، وبالرغم من اعتراف ابن المعتز نفسه « أن البحترى له المعانى الغزيرة » ، ولكن أكثرها مأخوذ من أبي تمام ومسروق من شعره « انظر طبقات الشعراء المحدثين ٢٨٦ » ولم أشاً أن أقحم شيئاً في المتن لم أثبتت أن قائله ابن المعتز . رغم اكتناعي أن كثيراً مما أورده الآمدى من سرقات الشاعرين مأخوذ من ابن المعتز ومن كتابه الذي جمعناه ، انظر مثلاً اعترافه الصريح في الموازنة / ٢٤١ و ٢٤٦ و ٢٦٨ / ... وبعد .

أتمنى أن أكون قد وفقت فيما استخرت به الله وعزّت عليه ، أملاً بإخراج كتاب يتردد اسمه وهو غائب ، ولني ثقة أنه قد يكون له مجال بين كتب النقد والأدب .

والحمد لله رب العالمين .

إحالات البحث وحواشيه

- (١) انظر الموازنة ١١١ و ١١٤ و ١٢١ وغير ذلك .
- (٢) انظر المؤتلف والمختلف . ٢١٥ .
- (٣) الأغاني ١٠ / ٣٧٤ .
- (٤) وفيات الأعيان ٣ / ٧٧ .
- (٥) الواقفي بالوفيات ١٧ / ٤٤٨ .
- (٦) تاريخ بغداد ١٠ / ٩٥ .
- (٧) شذرات الذهب ٢ / ٢٢٢ .
- (٨) خزانة الأدب ٢ / ١٨٢ ، وقد أشار إلى نص نقاً عن الآمدي .
- (٩) تاريخ بروكلمان ٢ / ٥٨ .
- (١٠) تاريخ عمر فروخ ٢ / ٣٧٨ .
- (١١) مصادر الدراسة الأدبية ١ / ١٨٨ .
- (١٢) عبد الله بن المعتز العباسي ٢٥ .
- (١٣) المصدر السابق ١٨ .
- (١٤) ابن المعتز في محسن أبي تمام ومساؤه .
- (١٥) للاطلاع يراجع كتاب الدكتور إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب . كما فعل بالشاعر أحمد بن جعفر .. بن برمك ، إذ لقب بمحظة لمحظوظ عبيه فقلب عليه لقب ححظة البرمكي ، انظر وفيات الأعيان ١ / ١٣٤ ، وفي لقبه خبر آخر أورده الحصري وهو : قال أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلة الوزير : سألت ححظة من لقبك بهذا اللقب ، فقال : أبو العبر لقيني ، فقال : ما هو حيوان إن نكسوه أثانا آلة للمراكب البحريّة ؟ فقلت : على إذا نكسوه صار قلعاً . فقال : أحسنت يا ححظة فازمني هذا اللقب / انظر جمع المواهر ٢٢٥ / والظاهر أن ابن خلkan نقل عن ياقوت وقد يكون حرف (أبو العبر فيه إلى ابن المعتز) والله أعلم .

- (١٧) مقدمة الشعر والشعراء .
- (١٨) انظر المددة ١٤٥ و ١٤٨ و ١٢٥ وغير ذلك .
- (١٩) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٥ .
- (٢٠) ديوان البحري ١ / ٧٦ .
- (٢١) ديوان ابن المعتر ٣١ .
- (٢٢) وفيات الأعيان ٣ / ٧٨ و ٨٠ و ١٦٠ .
- (٢٣) ديوان ابن المعتر ١٧٠ .
- (٢٤) انظر تاج العروس ولسان العرب (مادة فَسْطَ) وروى ابن دريد كأن ابن ليلتها ، وقال : يعني بذلك هلاً بـذا في الجذب والسماء مغيرة ومن رواه لابن مرتها ، قال : أراد هلاً ، أهلَ بين السحاب في الأفق الغربي .
- (٢٥) وفيات الأعيان ٣ / ٣٩٠ .
- (٢٦) ديوان ابن المعتر ٢١٨ .
- (٢٧) العددة ١ / ٢٥٢ .
- (٢٨) هو حندج بن حجر بن الحارث الملك على بني أسد ، من أشهر شعراء الجاهلية نشأ في لهو وترف ، حتى قتلت قبيلته أباه فانقلب مطالباً بعرشه الضائع ، رحل إلى القيسير مستجداً ، وعاد بالخيبة والمللة المسمومة وتوفي في أنقرة حوالي عام ٨٢ ق.هـ .
- (٢٩) الموضع ٣٢ ، وقد مر الحديث بروايات مختلفة فيه ، انظر ٢٨ و ٣٠ و ٣١ .
- (٣٠) ديوان امرئ القيس ٤١ ، الشعر والشعراء ، ١٧٠ ، طبقات فحول الشعراء ١١٦ . أشعار الشعراء السنة ٥٨ ، ويروى فيه : (فللساق ألهوب وللسوط ...) .
- والألهوب : الجري الشديد ، والدرة : الدفعه من الزجر ، المنعب : المصاح عليه .
- (٣١) مراه : من مريت الفرس : إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره .
- (٣٢) هو علقة بن عبدة من بني تميم ، يعرف بالفحول تميزاً عن رجل يدعى علقة بن سهل كان خصياً ، أو لحودة شعره ، عمر طويلاً ، واتصل باللحيرة وتوفي ٢٠ ق.هـ .
- (٣٣) زيادة يقتضيها السياق . وللخبر رواية أخرى ، انظرها في الموضع ٢٩ .
- (٣٤) ديوان علقة ٥ ، وديوان امرئ القيس ٤٠ ، والشعر والشعراء ، ١٧٠ ، طبقات فحول الشعراء ١١٦ ، وأشعار الشعراء السنة ١٥٩ .
- (٣٥) الرائح : السحاب ، التحلب : التساقط التابع .

(٣٦) تقدم برواية فللسوط ألهوب .

(٣٧) للقصة روايات متعددة ، اخترنا ما رواه ابن المعتز بلغته بناءً على إقرار المرزبانى فى الموضع انظر ٢٨ .

(٣٨) الموضع ٣٨ وما بعدها .

(٣٩) ديوان امرئ القيس ١٣ ، والشعر والشعراء ٨٤ ، وأشعار الشعراء السنة ٣٢ .

(٤٠) قال ابن قيبة وهذا ليس عيباً ، وكأنه يرد على ابن المعتز حيث قال : ولا أدرى هذا عيباً ، لأنه لم يرد القتل بعينه ، وإنما أراد به أنه قد برح به الحب فكانه قتله .

(٤١) ديوانه ١٦٤ ، وأشعار الشعراء السنة ١١٧ ، وفي الموازنة رد للأمدي على هذا العيب انظره ٣٤٠ حيث لا يعتبره عيباً .

(٤٢) الديوان ٢٣ ، والقصائد العشر ٤٢ ، وأشعار الشعراء السنة ٣٩ ، وبروى : وأنت إذا استدبرته ... والتعليق : القوي المتتخن الجنين ، والصافي : الطوبان ، والأعزل : الذي ذنبه في ناحية .

(٤٣) هو أبو سعيد عبد الملك بن قریب بن علي بن أصم ، ولد حوالي ١٢٣هـ ، تلقى العلم على يد كبار العلماء ، وبرع في الرواية ولقب شيطان الشعر ، ووفد على الرشيد ، ودعاة المؤمنون فاعتذر بسبب كبر سنه ، وتوفي في خراسان ٢١٦ .

(٤٤) تابع لكلام ابن المعتز كما في الموضع ٣٩ .

(٤٥) الديوان ١٦٣ ، وأشعار الشعراء السنة ١١٧ ، والحقيقة : الجرادة .

(٤٦) هو عبيد بن الأبرص من بني أسد ، نادم حجر بن عدي ، ثم كان بين أسرى بني أسد عندما قاما على حجر وقطلهم وسباهم ، وتردد على بلاط المناذرة ويقال إنه توفي ٧٧ قـ هـ .

(٤٧) ديوان عبيد ١١ . وشرح القصائد العشر ٣٣١ ، والمعتبر : المؤوث ، والسبب شعر الناصبة .

(٤٨) من مؤديي ابن المعتز وأساتذته ، برع بال نحو ، وصاحب الفراء ، له آراء وتعليقات كبيرة على الشعراء ، انظر وفيات الأعيان ٢٥/٢ و ١٧١ .

(٤٩) ديوان ١٦٦ ، وأشعار الشعراء السنة ١١٧ . وال المجال : مكان الجولان .

(٥٠) ديوان ٨ ، وأشعار الشعراء السنة ٣٠ .

(٥١) بروى : (عبرة مهرقة ...)

(٥٢) بروى : (وشق عندنا لم يحول)

(٥٣) أي تلو الثريا .

(٥٤) أي قصيدة المعلقة ، للاطلاع على هذا الخلاف ينظر الموضع ٣٤ وطبقات حول الشعراء ١٣٤ .

(٥٥) هو زياد بن معاوية بن سعد بن ذبيان ، من أشهر شعراء الجاهلية ومن يحكم في أسواقهم ، اتصل بالنعمان بن المثذر وحصلت بينهما جفوة لها أسبابها ، فاتصل بيلات الفسasseة ومدحهم ، ثم عاد إلى النعمان وتوفي حوالي ١٨ ق.هـ .

(٥٦) المنشع ٥٤ .

(٥٧) ديوان النابغة ٩٥ ، برواية (مشى الإماماء ...) وفي اللسان (ستن) .

(٥٨) هو الأخفش بن ثامة بن أرقم التغلبي ، من أشراف تغلب وشجعاتها وشعراتها ، حضر حرب البسوس وتوفي بعدها حوالي ٧٠ ق.هـ .

(٥٩) المفضليات ٧٨ ، الصناعتين ٨٥ .

(٦٠) الديوان ٣٣ ، أشعار الشعراء السنة ٢٥٦ .

(٦١) الديوان ٣٠ ، أشعار الشعراء السنة ١٩٤ .

(٦٢) الديوان ٩٨ ، وأشعار الشعراء السنة ٢٢٥ . برواية : (يا بؤس للجهل ..)

(٦٣) يروى في الديوان : (ولا ليل كباطل) فلا يكون فيه عيب .

(٦٤) البيت : (أمن آل مية راتخ أو مفتدي عجلانَ ذا زادِ وغير مزود) وهو في الديوان ٣٥ وطبقات فحول الشعراء ٥٥ والمنشع ١٥ - ١٦ . مع البيت الذي سيلفي في الإحالة .

(٦٥) البيت : زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك حدثنا الغراب الأسود ولها قصة لطيفة في الأغاني والصادرة المتقدمة .

(٦٦) الصبح المنسي ٣٩٤ .

(٦٧) ديوان النابغة ٤٨ ، وأشعار الشعراء السنة ٢٠٢ .

(٦٨) ديوان امرئ القيس ٥ ، وأشعار الشعراء السنة ٣٠ .

(٦٩) المنشع ٥٩ وما بعدها .

(٧٠) الديوان ٣٠١ ، وأشعار الشعراء السنة ٣١٤ ، واللسان (شظوظ) والبيان مما هجا بهما زهير الحارث بن ورقاء الأسد في حادثة مشهورة . راجع الأغاني ٣٠ / ١٠ .

(٧١) يروى : (إذا جمعت ...) والمسد المغار : الجبل المحكم الفتل .

(٧٢) الديوان ٣٠٤ .

(٧٣) الديوان ٢٣٤ .

(٧٤) الديوان ٤٠ ، وأشعار الشعراء السنة ٣٠٤ ، والواسطة ١٠ ، والشربات واحدتها شربة ، وهي حياض تحفر في أصول التخل من شق واحد فتملاً ماء فإذا بللت أن تملأ فهو رمي الخلة ،

فيقول : ملىء على الصفادع ذلك الشرب حتى خرجت ، فصعدت على جذوع النخل ،
وقوله : يخفن الفم ، ظن أن خروجهن مخافة الفم ، ولم يدر ، وطحل : قد احضر ما يصب
فيه الماء أو كدر / كما في شرح الديوان / .

(٧٥) الديوان ٦٧ ، أشعار الشعراء السنة ٣٠٩ ، وسلمي : أحد جيلي طبي والثاني أجأ .

(٧٦) وفي الديوان ، قال الأصمعي : قلت لأعرابي : أين ركك ؟ فقال : لا أعرفه ، ولكن هاهنا ماء
يقال له : ركك ، فاحتاج فأظهر الإدغام .

(٧٧) الديوان ٢٩ .

(٧٨) الديوان ١٨ ، برواية : يؤخر فيوضع ...)

(٧٩) لم أشر على هذا البيت ، ولا على ترجمة قائله ، وقد تكون إشارة ابن المعتز في هذا البيت أنه
سرقه من بيت زهير الشهور الذي تقدم ، لا من هذا البيت ، وهذا هو الصحيح لتوافق صدر
البيتين لفظاً .

(٨٠) الديوان ٦٨ ، وهذا صدر البيت وعجزه ما يليه .

(٨١) الأرواح : جمع ربيع ، والدم : جمع دية وهي السحابة المطرة .

(٨٢) تقدم البيتان ، ونقدهما ، وتخرجهما .

(٨٣) هو محمد بن هبيرة الأنصي ، الذي تقدم ذكره .

(٨٤) هذا التقد موجه لبيت زهير المتقدم : (قف بالديار ...) .

(٨٥) هو أبو بصير ميمون بن قيس من بني بكر بن وائل ، ولد في منفحة وكان شجاع النظر ، أول
من تكتب بشعره ، ومدح كثيراً من الرجال وكان يود الوفود على الرسول بيته فلم يوفق وأعد
له قصيدة ، غير أنه في طريق عودته سقط عن ناقته ومات حوالي ٧٦هـ . انظر خبره في الأغاني
. ١١٩/٩

(٨٦) المؤشح ٧٥ وما بعدها .

(٨٧) ديوان الأعشى ٢٥ ، وبروى : (... ولم أبله ... كما زعموا خير أهل ...) .

(٨٨) الديوان ٢٧ .

(٨٩) الإيطاء : هو تكرار القافية ويمثل ذلك عيناً على الشاعر وضعفاً منه . وقد جوز انعروضيون
تكرار ذلك بعد مرور عشرة أبيات بعد الكلمة الأولى انظر في ذلك : العقد الفريد / ٤٢٤
وموسيقاً الشعر ١١٥ .

(٩٠) الديوان ٥٥ .

- (٩١) مثل ذكره ، أورشليم والنبيط وغير ذلك كما في ديوانه ٢٠٠ وغيرها .
 (٩٢) الديوان ١٣٩ .
 (٩٣) زهر الآداب / ٤ ١٢٣ .

- (٩٤) هو لبيد بن ربيعة العاري ، شاعر فارس ، من أهل عالية نجد أدرك الإسلام ، ووفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو من المؤلفة قلوبهم ومن الأجواد الملعودين توفي ٤١ هـ ، بعد عمر مديدة .
 (٩٥) ديوان لبيد ٣١٥ . ويروى فيه : (... قد وزعت ...) .

- (٩٦) هو ثعلبة بن صعير بن خزاعي المازني ، شاعر جاهلي ، ذكره المنفصل في كتابه ، ولا تعرف ولادته أو وفاته وهو من المخمورين .
 (٩٧) الشعر والشعراء ٩٤ ، والمفضليات ٥١ ، والرثيد : هو المتابع الذي يضم من أجل حمله ، والذكاء : من أسماء الشمس ، والكافر : الليل المظلم لأنه يغطي بظلمته كل شيء .
 (٩٨) الموضع .

- (٩٩) هو تميم بن أبي بن مقبل من بني العجلان ، شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام ، تهاجي مع النجاشي وتوفي حوالي ٣٧ هـ .
 (١٠٠) ديوانه ٤٢ .
 (١٠١) تقدم البيت .

- (١٠٢) هو يزيد بن مفرغ الحميري ، ومفرغ لقب والده لأنه شرب سقاءين وأسمه ربيعة ، كان منقطعاً لزياد بن أبيه يمدحه وصحابه سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان فتأثر صحبة عباد بن زياد ، وتوفي ٦٩ هـ .

- (١٠٣) البيان والتبيين ٣٧/٣ ، المؤتلف وال مختلف ٢١٥ ، والأغاني ١٧ / ٥١ و ٥٥ ، وأمالى الرجاجى ٤٣-٤١

- (١٠٤) ورد اسمه في البيان والتبيين / الفلان الفهمى / وهو تصحيف الصواب كما أوردناه ، وأنى على ذكره الأمدي في المؤتلف وال مختلف ٢١٥ / وقال : لست أعرفه في شعرائهم ، وأنظه متاخرأ وأشار إلى أن ابن المعتز ذكره في كتابه سرقات الشعراء .

- (١٠٥) البيان والتبيين ٣ / ٣٧ ، المؤتلف وال مختلف ٢١٥ .

- (١٠٦) البديع ٦٤ ، والعمدة ٨/٢ ٧٠ وقد نسب غلطاؤه إلى الأخطل والصواب ما أثبتناه .

- (١٠٧) الأخيطل : هو محمد بن عبدالله بن شعيب الأهوازي المعروف بـ / برقوقا / يمكن أن يكون قد ببغداد ومدح محمد بن عبدالله بن طاهر ، وصف بأنه مليح الشعر سلك سبيل أبي تمام في الشعر وتهاجي مع الحسودوني الشاعر .

- (١٠٨) البيت في البديع ٦٤ ، والمنصف ٥٦٤ و ٥٦٥ (طبعة نجم) وقانون البلاغة ١٣١ . وينسب غالباً للأخطل في المددة ٨٧/٢ ونضرة الإغريض ١٩٠ وليس هو في ديوان الأخطل للدكتور قباوة ولا في ديوانه لإيليا حاوي .
- (١٠٩) هو عترة بن عمرو بن شداد العبسي ، فارس الجاهلية وشاعرها . أخباره مشهورة ، أحّب عبلة ابنة عمّه وظفر بحربته لأجلها ولم يظفر بها . عمر طويلاً وأيامه في داحس والغبراء مشهورة ومات قتيلاً ٨ ق.هـ .
- (١١٠) ديوان عترة ١٣٥ ، ولم أخم : لم أجبن .
- (١١١) المنشق ٣٨ .
- (١١٢) هو جرير بن عطية بن الخطفي من بني تميم ، ولد خديجاً لسبعة أشهر وبرع في الهجاء والنديغ وكان ثالث الهجاء مع الأخطل والفرزدق ، و مدح الأميين والحجاج وتوفي ١١٤ هـ .
- (١١٣) ديوان جرير ٥٥٩ ، والشعر والشعراء ٨٤ .
- (١١٤) تقدم البيت .
- (١١٥) البديع ٢٧ .
- (١١٦) هو الكمبت بن زيد الأستدي ، مدح آل البيت عليهم السلام وتعصب لضر على اليمن ، نسا معلماً للصبيان ، وسجنه خالد القسري والي الكوفة . وُقتل خطأً بالسيوف من قبل الحرس عام ١٢٦ هـ .
- (١١٧) ديوان الكمبت ٤٩ .
- (١١٨) ديوان امرئ القيس ١١٧ ، وأشعار الشعراء الستة ٥٣ ، والأغانى ٩٠/٩ . ويسرى البيت (ليبسني ما يلبس أبوسا) يعني به الحلقة المسمومة .
- (١١٩) طبقات الشعراء الحمدلدين ٥١ .
- (١٢٠) هو مروان بن أبي حفصة ، كان متبعاً على آل البيت ، بخيلاً على نفسه ، انقطع إلى المهدى والرشيد واختص بمجلسه واغتيل ١٨٢ هـ .
- (١٢١) طبقات الشعراء الحمدلدين ٥١ ، والأغانى ١٠ / ٧٥ وديوانه ٩٩ .
- (١٢٢) شقيق مروان المذكور آنفأ ، شاعر مقل ، وأنباءه قليلة ، تقرّب من الخلفاء العباسيين وأشهر بفضلاً لآل البيت ، وسار بهيج أخيه وتوفي بعده بسنوات .
- (١٢٣) هو أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب المزاعي ، صاحب شرطة الأمؤمن والمنتصر والواشق والمتوكل ، تولى قيادة جيش المؤمنون لقتال بابك الخرمي ، وأوقع به ، وتوفي في بغداد ٢٣٥ هـ .

- (١٢٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/٤٠٠ ، والأبيات في ديوان المعاني ٦٣/١ ، وبروى : (.. وافي الرضا ..)
- (١٢٥) ديوان مروان ١٠٢ ، والسربح : السير تُشد به نعال الإبل .
- (١٢٦) طبقات الشعراء الحدثين ١٠٠ .
- (١٢٧) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أشهر شعراء العصر العباسي وأمجاهم ولد أعمى وقضى معظم حياته في البصرة ، وتعرض في بدايته لهجاء جريرا فلم يعجبه ، وهجا وزير المهدى بعقوب بن داود فاتهم بالزنقة وقتل ١٦٧ هـ .
- (١٢٨) ديوان بشار ١٥٥ ، والأغاني ٣/٢٠٠ .
- (١٢٩) هو سلم بن عمرو بن حماد .. البصري مولىبني تيم ، كان شاعراً مزاحاً وماجنا ، متظاهراً بالخلاعة ، لقب بالخاسر ، لأنه باع مصحفاً واشتري بشمنه طبروا ، وتلذذ بالشعر على يد بشار وتوفي ١٨٦ هـ .
- (١٣٠) الأغاني ٢١/٧٤ ، ووفيات الأعيان ١/٣٥٣ .
- (١٣١) طبقات الشعراء الحدثين ٤٣٨ .
- (١٣٢) هو أشجع بن عمرو السلمي ، ولد في اليمامة ، ونشأ في البصرة يتيمًا بعد وفاة أمه ، اتصل بجعفر البرمكي بعد اشتهره ، ووصل إلى الرشيد وتوفي نحو ١٩٥ هـ .
- (١٣٣) الأغاني ٩/٤٩ ، والشعر والشعراء ٥٦٥ .
- (١٣٤) هو ابن المدينة .
- (١٣٥) الشعر والشعراء ٥٦٥ .
- (١٣٦) هو أبو الفضل العباس بن الأحنت من بني عدي ، كان جميلاً ، فصيح اللسان ، ظريفاً ، اتصل بالرشيد واصطحبه إلى خراسان وأرمانيا . وانتقام لأهله فعاد وتوفي في بغداد ١٩٨ هـ .
- (١٣٧) طبقات الشعراء الحدثين ٢٥٥ .
- (١٣٨) الأبيات في الشعر والشعراء ٥٢٥ .
- (١٣٩) لم يُهتم إلى اسم الشاعر ، والبيان في الشعر والشعراء . ٥٢٦ .
- (١٤٠) هو أبو جعفر محمد بن عبدالله بن رزين الخزاعي ، وهو ابن عم دعبدالخزاعي كان صديقاً لأبي نواس وعصبه ، وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر ثم عاش في بلاط الرشيد ومدحه ، ومات قتيلاً سنة ١٩٦ هـ .
- (١٤١) طبقات الشعراء الحدثين ٧٤ .
- (١٤٢) البيت في الأغاني ١٥ / ١٠٩ .

- (١٤٣) هو الحسن بن هانئ ، أمير شعراء الخمرة في العربية ، عمل عند عطار حتى صداقته مع والبة بن الحباب ، نادم الرشيد والأمين والمأمون ومدح الأعيان وتوفي ١٩٩ هـ .
- (١٤٤) أحمد بن الخطيب والي مصر وأحد مدحومي أبي نواس .
- (١٤٥) ديوان أبي نواس ١٧٥ ، الأغاني ١٦ / ١٥١ ، وفيات الأعيان ٢٤١/١ .
- (١٤٦) طبقات الشعراء المحدثين ٤٣٦ .
- (١٤٧) هو أبو عمرو جميل بن معمر من بني عذرة ، نشأ في شمال الحجاز ، وتعلق حبّاً ببيتة حتى عرف بها ، فأهدر دمه بعد زواجهما ، فقصد مصر لدرجها إليها عبد العزيز بن مروان خوفاً من القتل ، فعرض ومات ٢١١ هـ .
- (١٤٨) ديوان جميل ١٨٣ .
- (١٤٩) هو إسماعيل بن القاسم مولى عنزة ، ولد قرب الكوفة ، وانضم إلى عصابة الخمرة مع والبة بن الحباب وأبي نواس ، ومدح المهدي ، وكان بخيلاً على الدنيا ، خرج على أوزان الخليل في بعض شعره ، وتوفي ٢١١ هـ .
- (١٥٠) ديوان أبي العاتمية ٢١٠ ، والأغاني ٤ / ١٠٩ ، وفيات الأعيان ١٢٦ .
- (١٥١) هو عبدالله بن خليل ، أصله من الري ، عمل كاتباً لدى عبدالله بن طاهر ولدى أبي أيضاً ، كان مكتراً من نقل اللغة ، له موقف نقدي مع أبي تمام الشاعر ، وتوفي ٢٤٠ هـ / وفيات الأعيان ٨٩/٣ .
- (١٥٢) طبقات الشعراء المحدثين ٢٨٨ .
- (١٥٣) هو علي بن محمد بن جعفر ، الكوفي الحسانى ، من بني حمان وكان وجيه الكوفة في عصره ، حبسه الموفق العباسي وأطلقه وتوفي ٣٠١ هـ .
- (١٥٤) العقايل : ما يتركه المرض من أثر .
- (١٥٥) المصون في الأدب ١٨٩ .
- (١٥٦) هو أبو أحمد بحبي بن علي بن أبي منصور ، المعروف بابن المنجم ، كان أدبياً وشاعراً مطبوعاً ، نادم المتصند والمكتفي من بعده وتوفي ٣٠٠ هـ .
- (١٥٧) زهر الآداب ٩٩/١ .
- (١٥٨) هو حبيب بن أوس الطائي ، شاعر العربية ، ومبعد البديع ولد في جاسم ، وكان أذكى أهل زمانه ، حتى تبأ الفيلسوف الكندي بوفاته شابة ، اتصل بالمعتصم وخليه فتوحاته ومدح أكابر الوزراء والخلفاء والولاة وتوفي ٢٣٢ هـ على الأرجح .
- (١٥٩) ديوان أبي تمام ٤٣ ، أخبار أبي تمام ١٢٤ .

(١٦٠) الموضع ٤٧٨ .

(١٦١) هو محمد بن منذر ، ولد في عدن ، ونشأ في البصرة ، وانتهت أيام المنصور ومدح الرشيد ، وانقطع إلى البرامكة ، كان عفيفاً ثم تعلم يتشدق عبد الجيد الثقفي وبعد موت غلامه هجر الصلاة ، وكف بصره ، وتوفي ١٩٩هـ .

(١٦٢) العجاج ورؤبة هما شيخا الرجز في العصر الأموي ، ورؤبة بن العجاج ، والعجاج عبدالله الطريبل بن رؤبة ، ولد في البصرة وسمع الحديث من أبي هريرة ، ومدح عبد العزيز بن مروان وعبد الملك والحجاج وتوفي ٩٧هـ .

(١٦٣) الأغاني ٩/١٧ .

(١٦٤) هو معمر بن المثنى البصري التميمي بالولاء ، من أئمة العلم والأدب واللغة ولد في البصرة واستقدمه الرشيد إلى بغداد ، وقيل كان شعورياً .

(١٦٥) الموازنة ١٩٨ ، والبدان ، الجبان ، والجرج : القوي ، والأساة : جمع آسي وهو المواسي ، والرأب اللحمة ، والدرديس : الدهاهي ، والقنطرة : الكبيرة .

(١٦٦) الموازنة ٦٩ .

(١٦٧) الديوان ٩٠ ، وبروى (.. أن ليست ...) والخبر في الموازنة ٦٩ .

(١٦٨) الديوان ٢٠٤ .

(١٦٩) البديع ٢٦ .

(١٧٠) الديوان ١٦٥ ، والمدة ٢٢/١ و٦٩٣ ، وبروى (.. يرضى أمرؤ يرجوك إلا ..) .

(١٧١) الحسن بن وهب ، كان رئيس ديوان الرسائل عند المعتضم ، وهو الذي ولّى أبي تمام برید الموصل .

(١٧٢) الخبر في الموازنة ٢١ ، وفي الموضع ٤٨٠ ، ٤٨٨ متكرراً ، وبروى هذا القول على بيت آخر غير الوارد هنا كما في الموضع ٤٨٨ ، وهو فجعلت قيمها الضمير ومكتت منه فصارت قيماً للتقيم وقد يكون في الخبر اضطراب أو لشدة تعصب ابن المعتر على أبي تمام ، والله أعلم .

(١٧٣) الديوان ٣٥٨ ، وتروى القصيدة في مدح عياش بن لهيعة ، أو في مدح أبي الغيث ، ورواية الموضع والديوان (تفوفا) بالقاف ، وكلاهما خطأ ، والصواب (تفوفا) بالفاء ، والقصيدة فالية ، والتغريب تحطيط الأسود بالأبيض ، وبروى (عشت به ..) ولا معنى للتغريب هنا ، ويدل على صحة ما افترضناه مطلع البيت (نما تفوفت الخطوط) .

(١٧٤) لم أقف على القائل ، تحياني : أصبح محيناً ، تخدّد : تشقيق ، سوداء داجية : أي العاسمة

- الأولى لونها كذلك ، والمحقق المتفوّف : العمامة الثانية والهجان : الخلبيط ، وهي العمامة الثالثة .
- (١٧٥) الديوان ٢١٥ ، وشدق وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل ، وبروي (... يوماً لأنسي ...)
- (١٧٦) هو عبد بن حبيب بن معاوية بن جندل من بني تمير ، لقب براعي الإبل لكثرته وصفه لها وجودة شعره فيها ، وهو من سلالة أسياد في الجاهلية والإسلام ، نصر الفرزدق على جرير ، وبعد موت الربيّر مال إلى بني أمية ، وذهبت عينه في إحدى المعارك ، وتوفى ٩٠ هـ .
- (١٧٧) الناقة الحالى : التي لم تُعمل تلك السنة فنُزِّلَ إلى العام الذي يتحول واللقح : المحوامل ، الأروح : الذي في صدر قدمه ابساط ، والزواجل جمع زاجل ، وهو الذي له صوت ، والأجواز : جمع جوز وهو الصدر والقرافير : جمع فرور ، وهو الذي من أطول السفن ، والأذى : الموج ولهمام : إذا كانت كبيرة المشي ، والبياط : أوتار القلب ، والأدلة : جمع دليل وهو المرشد ، والخرق : الصحراء البعيدة .
- (١٧٨) لم أقف عليه في الديوان ، وهو في الموضع ٤٨٠ ، قال المزباني : الصن أول أيام العجوز ، والصبر الثاني ، والصبر أيضاً : بول الوير ، وهو من أيام العجوز ، وأيام العجوز سبعة أيام تكون في آخر الشتاء ، قاسمه البرد .
- (١٧٩) لم أقف عليه في الديوان وهو في الموضع ٤٨٢ .
- (١٨٠) انظر أخبار مخارق في الأغاني ١٧ / ٥٩ .
- (١٨١) الديوان ٢٢٥ .
- (١٨٢) الديوان ٢٤٧ .
- (١٨٣) الأبيات في معجم البلدان / وج / منسوبة لعروة بن حزام ، وهي في الموضع ٤٨٣ ، وروابتها في معجم البلدان (... بطن وج بهذا التوح ...) (غلبتك بالبكاء ...) (وأنك في بكائك تذكرنيا) .
- (١٨٤) الديوان ٢٤٧ .
- (١٨٥) ديوان الأعشى ١٤٥ ، وبروي (والشافعون الجموع عن جارهم ...) .
- (١٨٦) الديوان ١٨٧ ، وبروي (أسلوده ...) والإمليس والإمليد : الناعم .
- (١٨٧) ديوان امرئ القيس ٢٣ ، وصدره : (ورحنا وراح الطرف بنقض رأسه ...) .
- (١٨٨) ديوان ٢٧٢ .
- (١٨٩) حرب الفجار بين كنانة وقيس ، وسميت فجارة لأنها كانت في الأشهر الحرم وهي فجارات ، الأول ثلاثة أيام ، والثانية خمسة أيام في أربع مئين .

(١٩٠) الآيات في الوحشيات ٦٦ ، وفي المنشع ٤٨٦ .

(١٩١) ديوان ٢٢٦ ، وبروى : (أُم العلم جذاء حائل) والجدا : الشقطعة السن .

(١٩٢) ينسب في اللسان لكتير عزة . انظر مادة / قلت / وبروى (.. خشاش الطير) .

(١٩٣) ديوان ٣٨ ، وبروى (.. دعوة المكروب) والسدك : التولع بالشيء في لغة طني .

(١٩٤) لم أقف على قائله .

(١٩٥) ديوان ٤١ ، والقاطب : مازج الخمرة .

(١٩٦) ديوان أبي نواس ٢٦٠ .

(١٩٧) هو أبو العباس محمد بن يزيد الشمالي الأزدي المعروف بالبرد ، إمام العربية في بغداد ، ولد في البصرة ، ونشأ في سامراء ، ونافس نعانيا ، وتوفي ٢٨٦ هـ ، وقيل الصواب ٢٨٥ هـ .

(١٩٨) ديوان ١١٢ ، والوشائع : جمع وشيعة وهي الغزل الملحوظ من اللحمة التي يدخلها الناس في بين السدى ، والبرد : الشوب الخفظ ، وبروى الأول : « شهدت لقد » (انظر أخبار أبي تمام ٢٠٢) .

(١٩٩) ديوان ١١٤ . وفيات الأعيان ٢١/٢ وأخبار أبي تمام ٢٠٤ ، ٢٠٢ .

(٢٠٠) مجلة الرسالة مجلد عام ١٩٤٠ ، من مقال في الأدب المقارن لفخرى أبو السعود ، ص ٦١٢ ، وينسب هذا النقد لابن العميد ، كما في العمدة ٢ / ٢٥١ ورسالة الصاحب بن عباد ص ٦ - ٧ .

(٢٠١) المنشع ٤٧٠ .

(٢٠٢) ديوان ٤١ .

(٢٠٣) ديوان ١٧ ، وبروى (تسعون ألفا ... نضجت أعمارهم ..) وقد ورد في أخبار أبي تمام ٣٠ فإن كان هذا لأن التين والعنبر ليس مما يذكر في الشعر وأنه مستهجن ، فقد قال ابن الرقيات :

صنف من تينه ومن عبه سقرا حلوان ذي الكروم وما

وإن كان العيب لم يخصهما دون غيرهما ، فقد كان يجب أن يتعلم هؤلاء أولًا وبطبيعة يتكلمون ويعربون . انتهى .

(٢٠٤) ديوان ٣٤٦ ، برواية تسعين ، والصواب ما أثبتناه .

(٢٠٥) ديوان ٣٤٣ .

(٢٠٦) ديوان الأخطل ٢٧٢ والأغانى ١١/٥٧ ، والشعر والشعراء ٤٥٧ .

(٢٠٧) ديوان الأخطل ٢٤٣ ، والوساطة ١٩ .

(٢٠٨) لم أقف عليه في ديوانه وهو في المنشع ٤٧٤ .

- (٢٠٩) ديوان ٣١٠ ، قال المرزباني : القاعصاء : جحر البربوع الأول الذي يدخل فيه ، والنافقاء : موضع يرققه من جحرة فإذا أثيَّ من قبل القاعصاء ضرب النافقاء ففتحه .
- (٢١٠) ديوان ١٩٦ ، وبروي (... والخاجة الشعرا ...) وهو تصحيف .
- (٢١١) ديوان ١٨٢ ، وبروي : (كانوا برود زمانهم ...) .
- (٢١٢) تقدم البيت ، وذكرت الحادثة مع إسحاق المعني .
- (٢١٣) المؤشع ٤٨٤ .

ثالثاً : تعليقات ومناقشات

نقد مشروع ”معجم المصطلحات الكيميائية الموحد“

الدكتور مجید القيسی*

شاءت الظروف ان يقع بين يدي مشروع « معجم المصطلحات الكيميائية الموحد » الذي قامت لإعداده لجنة خاصة ألقها اتحاد الكيميائيين العرب منذ ما يزيد على عشر السنوات . وقد وُزعت أعداد منه على نخبة من المعينين للاطلاع وإبداء الرأي فيه .

وكلت اطاعت على باكورة أعمال « اللجنة » المذكورة حين استلمت من الاتحاد الجزء الخاص بالحرف « A » قبل سنوات طويلة .

وكانت سعادتي غامرة بولادة هذا « المشروع » الذي طالما انتظره الكيميائيون . لكن تلك السعادة لم تدم ، مع الأسف الشديد ، ذلك لأن ما اطلعت عليه من مصطلحات لم يكن سوى ألفاظ بسيطة مما ألفه الكيميائيون في المعاجم العلمية والفنية المتداولة .

وقد يتساءل القارئ الكريم ، وهو مندهش : كيف أجزت لنفسي ان أتصدى بالنقض العلني لمعجم لا يزال مسودة لم تأخذ ، بعد ، سبيلها إلى الكيميائيين؟!

والواقع ، فإن في ذلك التساؤل الشيء الكثير من الصدق والعدل ، إذا ما أخذ على علاته .

لكن جوابي البسيط عليه هو أنني اخترت هذه اللحظة بالذات لقراءة « المشروع » المذكور قراءة ناقدة فاحصة لقطع الطريق عليه قبل أن يرى النور ، فيصل إلى القراء وهو على هذه الحال من النقص الشديد .

* عميد كلية العلوم - جامعة بغداد - سابقاً .

والحقيقة ، فإننا أصبنا بخيبة أمل مرتين ، مرة حين اطلعنا على الأسس التي تبنتها « اللجنة » لتهتمي بها في صناعة المصطلحات ، ومرة ثانية عندما تفحصنا بإنعام متن المعجم الذي ضم قرابة العشرة آلاف مصطلح .

فقد كانت الأسس سطحية ومبسّرة ، ولا صلة لها بجوهر المصطلح الكيميائي العربي ، كنظام منهجي اصطلاحي ، ولا بمشكلاته وهمومه المزمنة . ولعل من أكثرها خطورة مسألة التسميات العربية للمركبات الكيميائية التي باتت كابوساً يقض مضاجع الكيميائيين كما لا يخفى .

وليس المستغرب أن تفر « لجنة المعجم » من مواجهة تلك المعضلة المزمنة . فقد جاء في الفقرة الأولى من الأسس التي أقامت عليها صرح « المعجم » ما خلاصته : (إن اللجنة لم تقصد بهذا المعجم أن يكون مستوعباً شاملاً لجميع مصطلحات الكيمياء ، وإنما أريد به في هذه المرحلة أن يشتمل على المصطلحات الأساسية ، ومن أجل ذلك لم يتطرق إلى الألفاظ الاختصاصية في كل فرع من فروع الكيمياء ، كما لم يلجأ إلى ترجمة التسميات ^{الدولية} التفصيلية إلا حيث دعت الضرورة . فتركت هذه جمياً إلى مراحل تالية) .

وكان « اتحاد الكيميائيين العرب » قد اتخذ عدداً من التوصيات المهمة في « ندوة تعریف الكيمياء » التي انعقدت في تونس عام ١٩٧٩ .

فقد جاء في الفقرة الثالثة من التوصيات : (اعتماد مبادئ الاتحاد ^{الدولي} للكيمياء البحث والتطبيقية في تسمية المركبات الكيميائية ... إلخ) .

لكن الأمر المستغرب أن « الاتحاد » لم يلتزم قط بتنفيذ تلك التوصية التي تتعلق بجوهر المصطلح الكيميائي وأساسياته ، متناسياً أن الكيميائيين ، وبجميع مستويات

تخصصاتهم ، هم يمسيس الحاجة إلى أنظمة عربية لتسمية المركبات العضوية وغير العضوية ، تسير بموازاة الأنظمة **الدولية** ، وتكون لغتها العربية . فمثل تلك التسميات تؤلف العمود الفقري لأي معجم كيميائي حقيقي .

غير أن الاتحاد صرف جل طاقته المادية والمعنوية على ملمة ألفاظ كيميائية وغير كيميائية يمكن الحصول عليها من المعجمات المتداولة .

وما لا جدال فيه ، أن صناعة التسميات والمصطلحات الكيميائية المركبة من عدد من المقاطع البنائية ، تتطلب خبرة واسعة ومعرفة أصلية في علوم لغوية وأصطلاحية ودلالية كبيرة ومتشعبة ، إلى جانب التسken من الكيميا ودرأية طيبة في علوم الطبيعة .

ونحن لا نشك لحظة في قدرة « الاتحاد » على تشخيص الكفاءات الكيميائية المقدرة والخلصة للقيام بذلك المهمة القومية الخطرة . فهذه مجتمع اللغة ولجانها الفنية تزخر بعلماء اللغة والكيميا . وتلك الجامعات ومؤسسات البحث بأساتينها وباحثيها ، تقف على ثابة الاستعداد للقيام بالمهمة ورفع راية العربية عالياً لأأخذ المكانة الرفيعة التي تستحقها بين اللغات الحية .

ومن حقنا أن نتساءل ويأصرار : أين ، إذاً ، مكانن الحال فيما قلنا ؟ . ولمَ لا يكون لنا معجم كالمخصص للعالم اللغوي العربي الفضير ابن سيدة ، او كمعجم « وبستر » الإنكليزي ، او كمعجم « لاروس » الفرنسي ، او كعشرات المعجمات العلمية الأخرى ؟ . وما الأسباب التي تقف حائلاً أمام نهوض حركة تعریب العلوم في الوطن العربي ، ومن طلائعها صناعة المعاجم المتخصصة ؟ .

والواقع ، فإنني أشعر بالعجز عن الأجابة عن تلك التساؤلات ، إما لمجهل أو لوجل . فمثل تلك التساؤلات لا تنحصر فقط في تعثر حركة التعریب ، أو في تباطؤ صناعة المعاجم ، وإنما تتناول مختلف جوانب حياتنا بعامة وحياتها الفكرية والعلمية بخاصة .

فالعقل العربي ، ونقولها على حذر ، قد عجز عن تشخيص الأولويات وتعريفها ، فيما يمكّن مستقبل الأمة وجودها ، متمثلاً في الحفاظ على عقيدتها ولغتها ، حتى كاد أن يصبح عقلاً ثانوياً ، وآلها ، ومُقلداً ، وتابعًا ومثلاً بالعقد ، مع شديد الأسف .

فهو لا يتململ إلا استجابة لفعل ، وبالاتجاه المعاكس أحياناً ، بعد أن قاد الفكر الإنساني عشرات القرون ، وعلى امتداد مسيرة الحضارة البشرية .

أوليس مما يؤكّد هذا الوصف القائم ادعاء جمهرة من المشغلين بالعلوم ، وبالكيمياء بخاصة ، كلما ضمهم مؤتمر أو اجتماع ، بأن اللغة العربية لا تصلح للعلوم ، متتجاهلين **المسلمة** القائلة : بأن اللغة العربية ، إن كانت ، حقاً ، كما يصفون ، شأنها شأن الكيمياء العربية او الطب العربي ، **المعاصرين** ، من حيث إنها ، جميعاً ، غير قادرة على تنمية ذاتها بأنفسها . فبقدر ما تُعزَّ الكيمياء العربية بالكيميائيين العرب ، تُعزَّ أيضاً لغة الكيمياء بمجهودهم وبإرادتهم .

إن المجهود الذي بذله « اتحاد الكيميائيين العرب » الموقر في مضمار تعريب الكيمياء وصناعة المعاجم ، منذ قيامه ، لا يتناسب والقرارات والشعارات التي رفعها في ندواته واجتماعاته . فإن كان هناك من يشك في هذا القول ، فما عليه إلا أن ينظر في حصيلة ما أنتجه « الأيوبياك IUPAC » ، او الاتحادات العربية الأخرى ، أو الأشخاص ، في ميدان صناعة المعاجم .

و « مشروع الاتحاد » هذا لا يصح أن يتخذ معياراً دقيقاً لمهارة اللغة العربية وقدرتها على التعبير ، بأية حال . بل إنه يوحى ، في جانب من مصطلحاته وتسمياته ، بعجزها عن مسيرة المصطلح **الأوربي** .

فمعظم مصطلحاته لا ي تعدى الكلم البسيط ، وتعوزه دقة الصنعة وصحة الدلالة ، إلى جانب ابتلاعه بالأوهام والأغلاط اللغوية والكيميائية كما سنرى .

ولعل من أكثر الأخطاء ضرراً على مستقبل العربية إسرافه في استعمال مخلفات النحو والاشتقاق من الألفاظ الأجنبية ، فقدم لنا مصطلحات حوشية ياباها الذوق السليم ، فضلاً عن تعذر الاشتراك بها أو تصريفها . مثال ذلك : (كهرطيسي electromagnetic ، كهرجائي electropositive ، يُؤسِّن acetonate ، مُبورٌ borated ، كربَّلة carbonylation ، كربوكسْلَة carboxylation ، إيوأكسدة epoxidation وغيرها كثير .

لقد خرجنا من دراستنا النقدية لمشاريع « مشروع الاتحاد » بجملة ملحوظات جوهرية ، نلخصها بالنقاط الآتية :

- ١ - افتقاره إلى المنهجية ، لغوية واصطلاحية وكيميائية .
- ٢ - كثرة الأخطاء اللغوية .
- ٣ - كثرة الألفاظ الحوشية من مخلفات النحو والاشتقاق من الدخيل .
- ٤ - التبخر بين ما ينبغي ترجمته وتعريفه .
- ٥ - افتقار قسم من مصطلحاته إلى دقة الدلالة .
- ٦ - دس الأحرف الأجنبية في سياق المصطلح العربي .
- ٧ - التذبذب في كتابة المصطلح العربي ورسم حروفه .

وسوف نحاول مناقشة تلك الملاحظات باختصار شديد آملين أن يتمكن « الاتحاد » من مراجعة أولوياته واهتماماته فيما نعنى « مشروع المعجم » رعاية أكبر في المستقبل .

لم ينعقد إجماع الرأي على مسألة من المسائل التي تخصل صناعة المعجمات العلمية العربية كما انعقد على حاجتها إلى المنهجية العلمية والفنية الحديثة . تلك المنهجية التي كانت ، ولا تزال ، تثير دروب الفكر المعجمي الغربي . ويكاد يستوي في هذا الأمر جميع المعجمات العلمية العربية المتداولة ، باستثناء القليل جداً منها .

فنحن إنأخذنا واحداً من بين أفضل المعجمات وأوفرها حظاً بين القراء ، ونعني به « المعجم الطبي الموحد » ، على تواضع ذخيرته من الألفاظ ، لوجدناه يضطرب في اختيار المصطلحات المناسبة الصحيحة ، وبخاصة المصطلحات المركبة .

فهو ، على سبيل المثال ، ينقل اللفظتين (uricacidemia) و (uricemia) ، وهما متادفاتان ، مرة تحت اسم (زيادة البوليك في الدم) وأخرى باسم (بوليكيمية) . حصل ذلك في الطبعة الثانية من المعجم المذكور . لكننا نراه يبدل هاتين التسميتين ، بغتة ، في طبعته الثالثة إلى (فرط البيريسيمية) ! ، من غير سبب منطقى واضح . هذا على افتراض أن التسمية المعدلة جاءت سليمة ودقيقة .

لفظة (بوريسيمية) المعربة وحدها تفي بأغراض الدلالة دونما حاجة إلى كلمة (فرط) التي خلا منها الأصل ، والتي تقابل (- hyper) ، إحدى السوابق الدلالية المعروفة .

ومن الغرابة ، أن يكون مصطلح الطبعة الثانية (زيادة البوليك في الدم) أقرب إلى روح العربية وإلى القراء من بديله المعرب ، بالرغم من ضعف صياغته . فهي أقرب ما تكون إلى الشكل السردي منه إلى الشكل المصطلحي . وكنا قد اجتهدنا في تسميتها حيث قلنا : (دُمَائِيَّةُ الْحَامِضِ الْبُولِيِّ) أو (دَمَوَيَّةُ الْبُولِيِّ) . وستندنا المنطقى في ذلك ، أن لفظة (دُمَائِيَّة) قد صيفت على (فَعَالٌ ... يَة) ، وهو تركيب مزجى من (فعال) للدلالة على المرض او الشذوذ ، ومن الياء والتاء ، علامة المصدر الصناعي ، للدلالة على الظاهرة .

والرأى السائد عندنا ، أن مرد ذلك الاضطراب يعود إلى غياب النهجية العلمية ، بكل تفاصيلها وأجزائها الفنية الدقيقة ، والتي تستند إلى المنطق التحليلي للألفاظ العربية والأجنبية بغية دراستها قبل الإقدام على بناء المصطلحات العربية القياسية أو المعيارية التي تحاكى المصطلحات الدوليَّة .

وإذا ما تفحص المرء مصطلحات «المشروع»، مفردة فمفردة، لما أحسن بوجود أثر يذكر لأية منها منهجية مما ذكرنا. فمصطلحاته اصطنعت ارتجالاً من غير تدقيق. ولنا على ذلك شواهد كثيرة، نذكر منها، على سبيل التمثيل لا الحصر، ما يأتي:

phosphoric acid	١ - حمض الفسفوريك
phosphorous acid	٢ - حمض الفسفوري
hypophosphoric acid	٣ - حمض تحت الفسفور
hypophosphorous acid	٤ - حمض تحت الفسفوري
sulphuric acid	٥ - حمض الكبريت
sulphurous acid	٦ - حمض الكبريتوز

فلو أنعمنا النظر مليأً في الأمثلة الستة، ثبت لنا أن «اللجنة» لم تلتزم بأية منها منهجية للتعبير عن التكافؤ، أو عدد التأكسد، لكل من عنصري الفسفور والكبريت.

ففي المثال الأول أشارت إلى التكافؤ العالي للفسفور باللاحقة الإنكليزية (- يك) (- ئ) ، بينما هي أغفلت ذلك في المثال الخامس، فلم تقل (كبريتيك) وإنما أشارت إلى تكافؤ الكبريت العالي بصيغة الإضافة العربية. وهي صيغة سليمة ومحبولة.

وتكرر ذلك الأضطراب في المثال الثاني، حين أشارت إلى التكافؤ المنخفض للفسفور بصيغة النسبة. وهي جزء متصل بصيغة الإضافة. غير أنها أشارت إلى التكافؤ المنخفض للم الكبريت في المثال السادس باستعمال اللاحقة الإنكليزية (- و ز) (- ous) . فما هو مبدأ التوحيد الذي أكده «الاتحاد» في قراراته وفي عنوان «المعجم»؟ .

لقد كان حرِيًّا به « اللجنة » أن تستعين بنظام (الإضافة والنسبة) للتعبير عن عدد التأكيد ، وهو نظام ألماني الأصل استعمل في عدد من أقطار العرب . أو أن تأخذ بقاعدة (ستوك) (stock's rule) الأوسع انتشاراً والأكثر قبولاً .

ومن الشواهد الأخرى على انعدام المنهجية نذكر الأمثلة القليلة الآتية :

- | | |
|------------|-------------------|
| aniso - | ١ - مُتفاوت |
| anisomeric | ٢ - لا مُتصاوغ |
| anisotonic | ٣ - مُتفاوت الضغط |

ففي المثال الأول ، لم يذكر « المشروع » لفظة (لا مُتصاوغ) إلى جانب لفظة (مُتفاوت) في مقابل (aniso) ، باعتبارهما من الألفاظ المتكررة أو الفاظ الدلالة .

كما أن اختيار صيغتي المفرد وهما (متفاوت) و (متصاوغ) لم يكن دقيقاً ، وذلك لأن اللفظتين بحاجة إلى ما ينبعى أن يقع عليه فعل (الصوغ) أو فعل (الفوت) من أسماء مناسبة وبصيغة الكثرة (مثنى أو جمْع) حتى تستقيم العبارتان .

والفعلان (صاوغ) و (فاوت) ، كلاهما من أفعال المشاركة . قال تعالى : « مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُتٍ ». فيكون ، عندئذ ، صواب التسميتين المذكورتين : مركبات (لا مُتصاغة الجُزئيَّتين) أو (لا مُتصاغعة الجُزئيَّات) . ومعحاليل (مُتفاوتة الضغوط) . فلو كان محلولاً واحداً لقلنا : محلول (مُفاوت الضغط) .

واختيار لفظتي (لا متصاغة) و (متفاوتة) جاء موفقاً من الوجهة اللغوية - الاصطلاحية . فهما تعبران ، بدقة ، عن لفظة (aniso) اليونانية ، ومعناها (لا متساوية) أو (متفاوتة) . كما أن ترجمة (merōs) بلفظة جُزئيَّات (parts) هي الأخرى ، ترجمة سليمة دقيقة . وهي غير (الجُزئيَّات) (molecules) بطبيعة الحال .

وهناك من يرى الإبقاء على لفظة (أنانيزومر) على حالها ، ملحاً إلى أن اللغة الإنكليزية مؤهلة أكثر من العربية في هذا المضمار ! .

والحقيقة أنها لا نرى وجه حق لذلك الادعاء أبداً ، ومن آية زاوية رصدنا المسألة . فالكيميائي العربي يفهم ، وبلمح البصر ، معنى عبارة (مركبات مُتفاوتة الجزيئات) ، وقد لا يفهم مقابلتها : (مركبات أنازيزوميرية) ! .

ومن أخطاء «المشروع» وتحريفاته اللغوية - الاصطلاحية نذكر النماذج القليلة الآتية ، لعلها تكفي للتبيه عليها :

bromoaniline

١ - بروم الأنيلين

bromobenzene

٢ - بروم البنزين

إن من يتفحص هذين المثالين لا بد أن يخرج بانطباع مفاده أن «معجم الاتحاد» غير معني بالمصطلح الكيميائي .

فقد نقل هاتين الصيغتين إلى العربية بالسياق الأجنبي ، فقلب المعنى رأساً على عقب .

فالكيميائي ، حين يقرأ الاسم العربي الأول ، سرعان ما يفهم منه أن المركب المذكور هو (بروم) أضيف - لغة - إلى جزء الأنيلين . فبدذلك أصبح (البروم) ، وهو المضاف ، المكون الرئيس ، وأن (الأنيلين) ، وهو المضاف إليه ، أصبح المكون الثانوي في المركب . وهذا خلاف المقصود بالتسمية الإنكليزية .

والمركب ، من حيث الأصل ، جزء الأنيلين أضيفت إليها ذرة (بروم) ، فوصفت بها بوساطة حرف الوصل (- O -) الذي يقابلها بالعربية ياء النسبة . عندئذ ، تكون التسمية السليمة (برومي الأنيلين) ، أي (المركب بروماني الأنيلين) . وعلى هذه الشاكلة يصبح اسم المركب الثاني (برومي البنزين) .

إن من يدقق النظر ملياً في (بروم الأنيلين) و (بروماني الأنيلين) يلمس الفرق الواضح بين دلالي التسميتين . وهو الفرق الذي ينحده بين العبارتين (مُعْدِن السَّيِّكَةِ) وعُمَلَة (مُعْدِنِيَّة السَّيِّكَةِ) .

ومن العجب ، أن « لجنة المعجم » يؤيدها بعض الكيميائيين ، لا يرون ضرراً من الاحتفاظ بالصيغة المركبة بإثبات حرف الوصل (-) ، بذرية أنها أسماء أجنبية مُعرَّبة ، متاجهليين قرارات مجتمع اللغة العربية القائلة بأن التعريب ينبغي أن يتم على وفق قواعد العربية وانظمتها اللغوية . فلا يصح ، مثلاً ، القول : (كتاب إنكليش) بل (كتاب إنجليزي) ، أو (دولة أوروأيشيان) بل (دولة أفريقية - آسيوية) .

ولأننا بحاجة إلى التأكيد بأن المواطن الإنكليزي لا ينقل العبارة العربية (نفط عراقي) إلى قوله على (petroleum iraqi) وإنما يعكسها تماماً .

وكثيراً ما يخلط « المشروع » ما بين موقع المضاف والمضاف إليه في المصطلحات المركبة المتماثلة . فقد قال : (مجموعة الأسيتيل) في مقابل (acetyl group) وكان مصرياً في ذلك . لكنه قلب عبارة متماثلة لها رأساً على عقب حين قال : (أسيتيل أستر) في مقابل (acetylesther) ، متاجهلاً كونها مركبة من مقطعين .

لقد لاحظنا على « اللجنة » كثرة خلطها ما بين دلالة الإضافة ودلالة النسبة ، فتستبدل إحداهما بالأخرى دونما رؤية .

فقد تناولت المصطلح (radiation chemistry) فأسمته (ألكيميا الإشعاعية) ، وكان حقه أن يسمى (كيمياء الإشعاع) ، على القياس ، وبناء على ما تقتضيه خصائص الإضافة ، وذلك لأن لفظة (كيمياء) قد اختصت بـ (الإشعاع) ذاته وبتأثيراته في المواد الأخرى . وهو ما نعرفه عن هذا الموضوع الكيميائي الحيوى .

يعكس ما توحى به صيغة النسبة من وصف عام . وهو ما فطن اليه الكيميائي الإنكليزي ، فالتجأ إلى صيغة الإضافة . لكنه استعمال بالنسبة في تسمية الـ (radiochemistry) .

نعود إلى « اللجنة » التي وجدت مخزونها من الألفاظ العربية قد نصب ، وهي تواجه الـ (radiochemistry) حتى اهتدت إلى العبارة الخلاصية (راديو كيمياء) فأقصتها به . في حين كان عليها أن تقول (الكيمياء الإشعاعية) ، على القياس أيضاً .

وما يدعو إلى الاستغراب ، أن من الكيميائيين من يزعم بأن لا فرق بين (كيمياء الإشعاع) و (الكيمياء الإشعاعية) من حيث التسمية والدلالة ! .

وكنا قد تناولنا تطور الدلالات ما بين صيغتي الإضافة والنسبة في المصطلح الكيميائي .

ومن جميل الصدف ، أن اسم (الجمهورية العراقية) قد تحول إلى (جمهورية العراق) منذ أشهر قليلة . وذلك يؤيد ما ذهبنا إليه سالفاً .

و « لجنة المعجم » ، جرياً على نهجها الارتجالي ، قد دأبت على استبطاط أسماء الآلة من ألفاظ لا صلة لها بخصائص الآلة المعنية ولا بوظيفتها .

فقد ترجمت (spectroscope) بـ (مطياف) ، وهي ترجمة غير دقيقة ومضللة .

والمصطلح الإنكليزي مؤلف من لفظتين هما (- spectr) و معناها (الطيف) و (- scope) و معناها (مِنْظَار) ، وقد تم الوصل بينهما بالحرف (- O -) .

والمعرف عن تلك الآلة أنها لا تصنع الطيف ، وإنما هي مِنْظار يُنْظَرُ به إلى . لذا كان على « اللجنة » أن تشتق اسم الآلة من الفعل (نَظَرَ) (scope) ، لا من الصفة (طَيْفِي) (spectro) ، لقول : (المِنْظَارُ الطَّيْفِيُّ) .

ومن أوهامها اللغوية أيضاً قولها : (ظاهري) في مقابل (apparent) وكان عليها أن تكتفي بلفظة (ظاهر) فقط . أما (ظاهري) فهي نسبة إلى اسم (ظاهر) ، نحو قولنا : (المدرسة الظاهيرية) .

وأكدت « اللجنة » تفضيلها الأسماء العربية على ما سواها . غير أن واقع الحال يشير إلى عكس ذلك . فقد قالت (حمض كلورواوريك) (chloroauric acid) ولم تقل (كلوري حامض الذهب) ، وقالت (آرسenic) (arsenic) الدخيلة ولم تقل (زَرْنيخ) المعربة الشائعة .

ومن أغلاطها اختيار الألفاظ غير المناسبة . فقد استعانت بالفعل (elude) وب مصدره (elusion) من حيث قصدت فعلاً آخر هو (elute) ومصدره (elution) . ومعنى المصطلح الأول (زاغَ زُوغَانًا) ، بينما يعني الثاني (شَطَّفَ شَطَّفًا) ، وهو المقصود بالتسمية .

ومن أبرز سقطاتها ، فشلها في اتباع منهج واضح في نقل المصطلحات المركبة إلى العربية ، وهي كثيرة في الكيمياء .

فالمعرف ، أن هذا اللون من المصطلحات يتطلب معرفة دقيقة بأسرار الأبنية والتركيب الإنكليزية والإغريقية واللاتينية ، إلى جانب التمكن من قواعد العربية والإحاطة بدقائقها . ففي المثالين :

١ - نَزَعُ الْأَلْكَلَة

٢ - نَزَعُ الْأَلْكِيل

يلمس القارئ الأخطاء الآتية :

١ - التعسف في اشتقاق الأسماء والمصادر والأفعال من الألفاظ الأجنبية . مثال ذلك (الكلة) (alkylation).

٢ - استعمال لفظي (الكلة) و (الكيل) وكأنهما متراجدان .

٣ - التجاوز على مبدأ توافق الدلالات أو المعاني بين عناصر الجملة الواحدة .

فقد قال في المثال الأول (نَزَعُ الْأَلْكَلَة) ، وهو اجتهاد غير موفق ، ذلك أن (الكلة) مصدر يصف عملية كيميائية معروفة . والعملية لا تنتزع وإنما تُبطل أو تُعجل أو تُحول .

وقد بلغ الاضطراب الذروة في الأمثلة الآتية :

١ - أكسيد نحاسي أمونياكي

٢ - منترب

٣ - التحليل بظيف اللهب

٤ - الرياضيات الكيميائية !

ففي المثال الأول لا نكاد نلمس أثراً يذكر لكلمة (أكسيد) في النص الإنكليزي . ولعل « اللجنة » تخيلت نفسها تُعدُّ كتاباً في الكيمياء ، فقامت بتعريف ذلك المركب . وهذا الأسلوب لا يصلح للمعاجم ، كما هو متفق عليه ، والذي يقوم على المبدأ القائل : اسم في مقابل اسم ، ودلالة في مقابل دلالة .

اما المثال الثاني (مُتّرت) فقد خلا منه ما يدل على السابقة الانكليزية (- de) ، ومعناها (نزع) ، حتى جاء المعنى بعكس المراد به .

ونلمس في المثال الثالث أكثر من كبوة لغوية وعلمية . فقد وردت فيه لفظة (طيف) spectrum ولا نعلم مصدرها . فهي غير شاخصة في النص الانكليزي . كما خلا المقابل العربي لما يدل على المقطعين (- photo) و (- metric) ، وهما يؤلفان نصف المصطلح .

وبوධنا أن نسأل « اللجنة » بما يقابل عبارة (التحليل بطيق اللهب) فيما لو ردت ، بدقة ، إلى الأصل ، غير (flâme - spectrum analysis) . فهل هذا المصطلح هو الأصل ؟ !.

إننا نتعجب على « اللجنة » وعلى أمثالها من الكيميائيين ، وبكل إخلاص ، أن يعوا عيّن المخطر الذي يتهدد مستقبل العربية والكيمياء العربية من جراء انتشار تلك الفوضى المصطلحية بين الكيميائيين .

أما فيما يتعلق بالمصطلح الرابع (stoichiometry) ومقابله العربي (الرياضيات الكيميائية) ! ، فبودنا أن يكون ذلك من أغلاط الكتابة ، وليس من إبداعات « اللجنة » ! . ومن أكثر ما يدعو إلى العجب والأسف ، حقاً ، أن القوامين على « المشروع » ، وهم المتخصصون في الكيمياء ، كانوا قد استعاروا لفظة واحدة من الدخيل العرب ، هي (سَلْفَنة) للتعبير عن أربع عمليات كيميائية متميزة ، إذ قالوا :

- | | |
|----------------|--------------|
| Sulphation | ١ - سَلْفَنة |
| Sulphination | ٢ - سَلْفَنة |
| Sulphonation | ٣ - سَلْفَنة |
| Sulphonylation | ٤ - سَلْفَنة |

و « اللجنة » هنا ، مطالبة بإيضاح هذه الكبورة الكيميائية - اللغوية . ثم نسألها : كيف يميز الكيميائي بين معانٍ المصطلحات العربية الأربع إذا ما عثر عليها في كتاب للكيمياء العضوية حرر بالعربية !؟ ولنفترض أيضاً ، أن المصطلحات الأربع هي أسماء عربية لأربعة أدوية ، فكيف سيتسنى للطبيب أو الصيدلي أو المريض التمييز بينها !؟

والحق ، فإن صناعة المصطلحات وإعداد المعجمات ، شأنها شأن الأعمال العلمية رفيعة المستوى ، ينبغي أن تراعي فيها مهارة الصنعة ، وحسن التوايا والشعور العالمي بالمسؤولية لأن تلقى على عواهنتها .

ومصطلحات الإنكليزية التي قابلها « المشروع » بلحظة (سلفنة) ليست عسيرة النقل إلى العربية .

والمعلوم ، أن لكل لغة من اللغات منهجها وخصائصها وأياتها . فلا يصح ، مثلاً ، استعارة لفظة من لغة معينة إلى لغة أخرى ، لتصبح جزءاً من نسيجها ، ما لم تهأ لها ظروف ملائمة . فعملية نقل الألفاظ لا تختلف في شيء عن عملية نقل الأعضاء البشرية من شخص إلى آخر .

لقد دأبت بعض المعجمات العلمية العربية على التعسف الجائر في استعارة الكلمات والعبارات الأجنبية المعقدة والموغلة في العجمة ، فأخضعتها ، قسراً ، إلى قواعد العربية وأياتها . وهو ما لم تفعله لغة من اللغات الحية . والاستثناء المقبول من ذلك هو تلك الألفاظ البسيطة التي تستجيب للاشتغال . وفي اللغة العربية كثير من ذلك . نحو : أَيْنَ ، غَلَنْ ، غَلَونْ ، أَكْسَدْ .

اما المصطلحات المعقدة ، رسمأ ونطقاً ، نحو :

(iodination) ، (alkylate) ، (epoxidation) ، (carboxylate) (iodization) ، بالإضافة إلى الأمثلة الأربعية التي كنا بصدد تقويمها ، فلا يصح إخضاعها إلى قواعد العربية من اشتراق وتصريف ، لكونها تأبى ذلك ، بل وترفضه ، كما يرفض جسم الإنسان الأعضاء الغريبة عنه .

ولعل من أكثر الوسائل يسراً في نقل المصادر الأربعية التي قابلتها « اللجنة » بلفظة (سُلْفَتَة) ، إضافة (مصدر) عربي مناسب إلى الجذر الكيميائي الإنكليزي ، بعد رده إلى أصوله ، ليقوم مقام اللاحقة المصدرية (- ation) .

ومن تلك (المصادر) نذكر : (إدخال) و (إضافة) و (تحول) و (تفاعل) و (مُفاعلة) ، ليصبح المصطلحات الأربعية على التحو الآتي :

١ - تفاعل بالكبريتات ، مُفاعلة الكبريتات

٢ - مُفاعلة السُّلْفِنَاتِ

٣ - تفاعل السُّلْفُونَاتِ

٤ - إدخال السُّلْفُونِيل

وبذلك تكون قد حصلنا على أربعة مصطلحات عربية ، سليمة البناء ، واضحة الدلالة ، متميزة الهرمية . وفي الوقت عينه حفظنا للإنكليزية جمالها وأصالتها من العبث والتشويه .

ولهذا الأسلوب البسيط مجالات واسعة في مضمار الاشتراق . ففي الاشتراق من جذر الـ (- sulphon) يمكن أن نقول أيضاً :

to sulphon - ate

يُدخل السلفونات

to be sulphon - ated

مُعامل بالسلفونات

sulphon - at - or

مُدخل السلفونات . وعاء السلفونات

كما نقول في غيرها :

to epoxid - ize

يَحْوِلُ إلى الأيوكسيد (وليس : بُؤيكسد)

epoxid - ation

التحول إلى الأيوكسيد (وليس : إبواكسدة)

لقد فوجئنا بـ « اللجنة » وهي تزج بعدد من الألفاظ الأعممية والعامية في مفردات « المعجم ». مثال ذلك قولها : (مُنج) في مقابل (anesthetic) و (زنمار) في مقابل (patina) و (مقياس ضبطية) في مقابل (chronometer) .

كما أساءت إلى اللغة العربية وإلى « المعجم » معاً ، حين ضمنت المصطلح العربي رموزاً أجنبية فحضرتها حسراً في سياقه ، كجزء من بنية الأساسية . فقد ذكرت : (رابطة π) ترجمة لـ (π - bond) و (مقياس الـ pH) ترجمة لـ (pH - meter) ... إلخ .

اما اعترافنا على هذا الأسلوب فنلخصه بالنقاط الآتية :

أ - إن اختلاف أنظمة اللغتين العربية والإنكليزية يجعل من انسياط العبارة العربية في اتجاهين متراكبين أمراً صعباً إن لم يصبح متعدراً في بعض الأحيان .

ويحق لنا أن نتساءل : لو قرأ قارئ بحثاً كتب بالعربية واصطدم بالعبارة الرياضية ($B - A$) ، فإية كمية من الكميتين A و B تتفق عن الأخرى ؟ . وهل يقرأ العبارة من اليمين إلى الشمال أو بالعكس ؟ . ثم نتساءل ثانية : هل يقرأ الرمز (pH) على شكل (H) ثم (p) أو بالعكس ؟ . وما الذي يرشد القارئ إلى ترجيح القراءة الأولى على الثانية ، أو العكس بالعكس ؟

إن دعوة هذا الأسلوب الخلاسي يريدون من القارئ العربي أن يكون عارفاً بأسرار الكيمياء قبل أن يبدأ بقراءة تلك العبارات أو أمثلتها في كتاب للكيمياء أو في نشرة لدواء موجهة إلى المواطنين . وهو أمر يخالف الغرض الأساس من القراءة ، وهو أن نقرأ لنفهم وليس العكس . وبذلك ، فإنهم لا يختلفون في شيء عمن يضع العربية أمام الحصان ! .

إن غاية اللغة ، وهي أداة للتعبير والإدراك والتفاهم ، أن تكون ميسرة ، واضحة ، ومحببة إلى القلوب ، وكأنها مقطوعة موسيقية رقيقة آمرة من حيث تناغم أصواتها وجرسها ، وتجانس ألفاظها وعباراتها .

ب - إن حشر الرموز والحرروف الأجنبية في سياق المصطلح العربي يتغلب إضافة علامات وأنظمة كتابية جديدة إلى النظام اللغوي العربي وإلى آلات الطبع . وهي عملية باهضة الكلفة ، فضلاً عن مضارها الأكيدة .

ج - إن حشر الحروف الأجنبية في قلب المصطلح العربي لا بد وأن يحيط من قدر اللغة العربية ويدنس هييتها عند أبنائها . بل إن الأحساس الدفين بالإحباط وبالدونية وبالتالي قد يستولي على مشاعرهم ، فتتكسر نفوسهم وخواطرهم ، وهم يرون ، بأم أعينهم ، لغتهم العظيمة وهي تتوكأ على عكاز أوروبي .

وبخلاف تلك الصورة القاتمة ، فإنهم لا بد أن يشعروا بالغبطة والفخر والزهو إن هم قرأوا نصاً كيميائياً حرر بلغة عربية بلغة صافية ، أو طالعوا بحثاً علمياً أصيلاً كتب بلغة إنجليزية رفيعة المستوى . وقد تكتمل المسرات إن قام أحددهم بإلقاء بحث قيم في مؤتمر عالمي بمثل تلك اللغة الرفيعة .

ونعود ثانية إلى مسألة الرموز ، لنقول إن التعبير عنها بالعربية لم يكن ، يوماً ما ، أمراً صعباً أو متعدراً .

فرموز مثل : (∞ و \emptyset و π و λ و C و F) يمكن التعبير عنها بوسائل متعددة .
علنا نذكر هنا بعضاً منها :

١ - أن ينقل صوت الرمز الأجنبي بصوت ورسم عربين . نحو قولنا : (ألفا وبيتا
وباي وميو وسي وأيف) .

وكان العلماء الإنكليز قد التجأوا إلى هذا الأسلوب البسيط منذ أمد بعيد . علماً بأن اللغة الإنكليزية لا ترفض استقبال الرموز المذكورة ضمن نسيجها . فقد قالوا :
(pi و sigma و phi و delta و psi) بدلأ عن (π و δ و ϕ و ψ) ، خارج نطاق المعادلات الرياضية .

٢ - أن يتم اختيار أقرب أصوات الأبجدية العربية إلى أصوات الحروف الأجنبية
المناظرة .

ففي الأمثلة الستة السابقة يمكن القول : (أو ب و پ و م و س و ف) .
علمأً بأن مجتمع اللغة العربية قد أجازت استعمال حروف إضافية مثل :
پ و چ و گ و ۋ .

٣ - أن يتم اختيار حرف عربي مناسب للتعبير عن دلالة الحرف الأجنبي . فقد سبق للمدارس والكليات العراقية ، ومنذ أكثر من نصف قرن ، أن استعملت حرف الـ (ط) للدلالة على النسبة الثابتة (π) في الهندسة ، والحرفين (س) و (ص) في مقابل (X) و (ي) في الجبر ، ومئات غيرها فيسائر العلوم . وكان مجمع اللغة العربية الأردني قد اقترح الآلوف من الرموز العلمية العربية في مشروعه الدائع الصيغت .

وتزخر كتب الكيمياء العربية ، في العراق وفي غيره من الأقطار العربية ، بالألفاظ والعبارات المرموزة ، قد كتبت بلغة عربية سليمة دون أن يشكل ذلك ضرراً على مستوى التحصيل العلمي للدارسين ، أو أن يقف حائلاً دون إكمال تحصيلهم العالي خارج أقطارهم .

ومن المصطلحات العربية المرموزة نذكر : (أشعة إكس ray - X) و (كبريتات calc - ate) و (نحاسوز cupr - ous) و (كالسيت calcite - ite) و (مالتizer malt - ase) .

ففي كل مثال من الأمثلة الخمسة السابقة رمز كيميائي أجنبي قد جرى نقله بأحرف عربية ، وهي على التسلسل : (- x و - ate و - ous و - ite و - ase) .

ومن العجب ، أن يتعرض بعض النقاد الكيميائيين على وجود الـ (ate - و ous - و ase -) تحت بند الرموز . فهم يرونها تختلف عن الرموز (x و π و pH و δ) التي ألفوها ! .

والواقع ، أننا لا نرى فرقاً فنياً أو اصطلاحياً بين المجموعتين ، فهي جمیعاً من العلامات أو الإشارات (signs) التي تتضوی تحت لواء الرموز (symbols) (<) . وقد أفاد قاموس وبستر ، الطبعة الدولية ، في تعريف الرمز وأعطى أمثلة كثيرة عليه .

لقد كانت مسألة استعمال الرموز والإشارات الأجنبية في اللغة العربية ، ولا تزال حتى الآن ، من بين أشد المسائل الخلافية خطورة على وحدة الثقافة العلمية العربية كما أكدت ذلك ندوة عُمان عام ١٩٨٧ .

وكنا نستشف من خلال مشاعر المشاركون في الندوة ، من المناصرين للرمز الأجنبي ، أنهم كانوا يستمدون الأسباب والمسوغات من منابع ثقافية ونفسية تعود إلى تاريخ مضى ، وليس من أصول لغوية - اصطلاحية بحت . وهذا الحديث يطول شرحه .

لكننا نؤكد أنه ما من أمة سوية كتب أدبها وشعرها وثقافتها وفلسفتها بلغة ، ثم كتبت علومها وفنونها بلغة ثانية . والرموز من بعض اللغة .

ونحن لا ننكر أن هناك إشارات وعلامات ورموزاً عالمية ، قل عددها أو كثير ، يتحتم على الجميع تعلمها ومعرفة دلالاتها ، مثل رموز الرياضيات والملك والاسلكي والمروor والطيران الدولي . إلا إنها ، مع ذلك ، ستظل من بين الاستثناءات القليلة الضرورية .

ومع كل ذلك ، فنحن لا نرى سبيلاً لغرياً أو تقنياً يحملنا على نسف السذود أمام هذا السيل الجارف من المصطلحات والرموز الأجنبية التي بلغت أعدادها أرقاماً خيالية ، بذرية أن تبقى صلتنا وثيقة بالمصطلح الأوروبي .

ولعل المناصرين للمصطلح الأجنبي يتخيلون حال اللغة العربية بعد حين من الدهر ، وهي فلول شتى من الكلمات العربية بين ملايين المفردات الغربية .

وفي خضم تلك الصور الاصطلاحية المضطربة ، والتي نحسب أن « مشروع الاتحاد » يُعد أحد نماذجها الفذة ، ينبري نفر من المشتغلين في العلوم فيزعم أن اللغة العربية قد هرمت فأصابها العجز ، ولم تعد تعبر عن أفكار العالم العربي ! .

ومن العجب ، أن الخط من مقدرة العربية لم يأت من ذوي الاختصاص والدرایة بأسرارها وأفانينها ، أو من أحسنوا اختبار مزاياها العلمية والفنية في مجال المصطلح . وإنما صدر عن أولئك الذين لم تتح لهم فرصة التعرف على فلسفتها ومنهجها وأالياتها . والأبجدية العربية ، وبشهادة علماء الألسنية المعاصرین ، كانت في الماضي كفواً للأبجديتين الإغريقية واللاتينية . وكذلك هي الآن ند للإنكليزية ، لغة العلوم المعاصرة ، بالرغم من حاجتها الشديدة إلى تطوير بعض أدواتها في التعبير عن العلوم المتقدمة .

وحقيقة الأمر ، فإن كان هناك اتهام بعجز ، فينبغي أن يوجه إلينا ، نحن المشغلين بالعلوم ، وبالكيمياء على وجه خاص . وآية ذلك أنه ما من أحد بينما قد شمر عن ساعديه فاقتطع ساعة من يومه ، أو حتى من عامه ، لاستبار قدرات العربية في مجال المصطلح الكيميائي فحسب ، وبالأسلوب ذاته الذي يعالج فيه مشكلات الكيمياء ، مستعيناً بمناهج البحث التي خبر فنونها ومستنداً إلى ما تعلمه من علوم العربية في مراحل التعليم العام .

إذن ، فالمسؤولية الأولى لتطوير المصطلح الكيميائي لا بد أن يتحمل أصحابها الكيميائيون أنفسهم ، كما حمل الأدباء أصحاب تطوير لغة الأدب . ودليلنا على ذلك تلك الأعداد المذهلة من المصطلحات والتسميات الكيميائية التي نهض بجميع أصحابها الكيميائيون الأوروبيون وفي طليعتهم البريطانيون ، من عملوا في كنف « الأيوبارك » أو خارجه .

نحن لا ننكر أن شطراً من مسؤولية تخلف المصطلح العربي يقع على عاتق بعض رجال اللغة من ذوي الحل والعقد . فقد عانى الكيميائيون من عنتهم وغضرنهم . حتى إنهم كانوا يُكَفِّرون من نسب إلى الجمع أو إلى غير الأصل . أو أضاف لفظاً عربياً إلى آخر أجنبي في تركيب مزجي ، وهو كثير جداً في الكيمياء ، أو استعمل لغة رمزية غير مألوفة لدى العامة ، إلى غير ذلك مما أجزاء فقهاء العربية القدامي .

والخلاصة ، فقد كانت هذه المقالة عرضاً سريعاً لـ « مشروع معجم المصطلحات الكيميائية الموحد » ، تناولنا فيها ، بالدرس والتمحيص ، نماذج قليلة من مصطلحاته ورموزه ، فخلصنا إلى جملة ملحوظات أساسية ومهمة ، لعل أكثرها خصورة افتقار هذا العمل إلى منهج علمي وتقني واضح ، مما أوقع القائمين عليه في سلسلة متلاحقة من الأغلاط والأوهام .

كما كانت المقالة فرصة سانحة للدفاع عن قيم العربية دفاعاً فنياً بحثاً لا أثر للعاطفة أو الهوى فيه كما قد يظن البعض .

لقد أوحى « المشروع » إلى القارئ بعجز العربية ، وهي منه براء . فمن يطالع مفراداته ورموزه ، على تواضع أعدادها ، يأخذ العجب من بساطتها وضعفها وكثرة الأخطاء فيها . فهو لم يضف شيئاً ذا قيمة نوعية أو كمية إلى ما هو متوفّر من معجمات ، إن لم يكن بليني الضّرر فيما لو وجد سبيلاً إلى القراء الكرام .

فمثل هذا العمل المرتجل لا يسيء إلى العربية فحسب ، وإنما يسيء أيضاً إلى « اللجنة » التي قامت لإعداده وإلى « الاتحاد » نفسه . وهو ، على صورته الحاضرة لا يصلح للنشر إلا إذا أعيد النظر فيه جملة وتفصيلاً .

وختاماً ، لا يسعنا إلا أن نشيد بالجهود الذي بذله « الاتحاد » في إثارة الاهتمام بهذا الموضوع الخطير الشأن ، وبمدى حاجة الكيميائيين العرب إلى معجم كيميائي حقيقي ، يكون عوناً لهم على أداء رسالتهم العلمية ، والله من وراء القصد .

المراجع

- ١ - اتحاد الأطباء العرب ، المعجم الطبي الموحد ، ط ٣ ، ١٩٨٣ .
- ٢ - مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، المعجم الوسيط ، ط المكتبة العلمية ، بلا تاريخ .
- ٣ - المؤلف ، مشكلات المصطلح الكيميائي العربي ، المحاضرات العامة في جلسات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٩ .
- ٤ - المؤلف ، مناجم المصطلح الكيميائي العربي ومقاييسه ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ع ٣٧ ، ١٩٨٩ ، ص ١٢١ .
- ٥ - خلاصة أعمال لجنة الأصول ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٠ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٤ .
- ٦ - مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية ، مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٨٥ .
- ٧ - اتحاد المجاميع اللغوية العلمية العربية ، الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية ، ١٩٨٨ .

أخبار مجتمعية

رسالة من مكتب صاحب السمو الملكي الأمير الحسن
إلى رئيس الجمع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

تلقي الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس الجمع رسالة من السيد ميشيل حمارنة مدير مكتب صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولد العهد يلتفه فيها ثناء سمو الأمير وشكره لإهداء الجمع سموه نسخاً من المطبوعات التي أصدرها الجمع ،
هذا نصها .

« يسرني أن أنقل إليكم خالص تحيات وأطيب تمنيات صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولد العهد المعظم وشكر وتقدير سموه حفظه الله لإهدايكم سموه نسخة من المطبوعات التي أصدرها مجمع اللغة العربية الأردني . هذا وقد أثني سموه على جهودكم الخيرة التي تبذلونها في سبيل إثراء المكتبة الأردنية .
مع أطيب التمنيات لكم بدوام التوفيق والنجاح واقبلوا فائق الاحترام »

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

- انطلاقاً من حرص الجمع على انتشار كافة الفاعلة في المؤتمرات العلمية والأدبية التي تعقد داخل الأردن وخارجه فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس الجمع في ندوة «أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم» ، التي عقدت بضيافة مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية الخيرية في لندن في الفترة من الثلاثاء من حزيران حتى الثاني من تموز سنة ١٩٩٦ م.
- شارك الأستاذ الرئيس في المؤتمر الثقافي العربي الثالث الذي كان موضوعه العام «دور الثقافة في التضامن العربي» وقد عقد في القاهرة في الفترة بين الثاني وال السادس من كانون الأول سنة ١٩٩٦ م ، وألقى فيه بحثاً بعنوان «اللغة العربية أساس وحدة أمتنا» .
- افتتح في قاعة الندوات والمحاضرات مؤتمر «التكنولوجيا العربية الإسلامية» ، الذي أقامته الجمعية الأردنية لتأريخ العلوم ، وذلك يوم الرابع والعشرين من أيلول عام ١٩٩٦ م برعاية الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس الجمع.
- ألقى الدكتور جورج عبد النسيع ، رئيس قسم الماجمجم في مكتبة لبنان محاضرة بعنوان «صناعة المصحف والمجمع العربي» وذلك في قاعة الندوات والمحاضرات في الجمع في الثالث من تشرين الثاني سنة ١٩٩٦ .
- شارك الأستاذ الدكتور حميد الحاج مندوباً عن مجمع اللغة العربية الأردني في ندوة اتحاد الجامعات العلمية المغربية العربية التي عقدت في دمشق في الثاني من كانون الأول سنة ١٩٩٦ واستمرت حتى الخامس منه .
وكان موضوع الندوة «معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة» .

• القى الدكتور عبدالهادي التازى عضو الأكاديمية المغربية وعضو مجمع اللغة العربية الأردنى محاضرة بعنوان «دور الوثيقة الدبلوماسية في الحفاظ على اللغة العربية» وذلك في الخامس عشر من كانون الأول سنة ١٩٩٦ .

تعيين عضو عامل

صدرت الإرادة الملكية السامية بموافقة على قرار مجلس مجمع اللغة العربية الأردنى بتعيين الأستاذ الدكتور أحمد شيخ السروجية عضواً عاماً في الجمع وذلك اعتباراً من السابع عشر من جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ الموافق الثلاثاء من تشرين الأول ١٩٩٦ م .

الموسم الثقافي الخامس عشر

عقدت لجنة الندوات والمحاضرات في الجمع اجتماعين هذا العام ، ناقشت فيما موضوع اختيار أخور الرئيسي للموسم الثقافي الخامس عشر لعام ١٩٩٧ م ، وتحديد محاضراته .

وقد أقرت اللجنة ما يأتى :

أولاً : يتألف الموسه الثقافي الخامس عشر من سبع محاضرات موزعة على الشحو الآتى :

١ - اللغة العربية وتعريب التعليم العلمي في سوريا في الحاضر ونظرة إلى المستقبل ...
قضايا وحلول .

٢ - اللغة العربية وتعريب التعليم العلمي في مصر في الحاضر ونظرة إلى المستقبل ...
قضايا وحلول .

٣ - اللغة العربية وتعريب التعليم العلمي في العراق في الحاضر ونظرة إلى المستقبل ...
قضايا وحلول .

- ٥ - اللغة العربية والتعريب العام الجامعي في الجزائر في الحاضر ونظرة إلى المستقبل ... قضايا وحلول .
- ٦ - اللغة العربية والتعريب الجامعي في السودان في الحاضر ونظرة إلى المستقبل ... قضايا وحلول .
- ٧ - اللغة العربية والتعريب العلمي في الأردن في الحاضر ونظرة إلى المستقبل ... قضايا وحلول .

ثالثاً : يبدأ امرسون الثقافي الخامس عشر للمجمع في الأسبوع الثاني من شهر نيسان عام ١٩٩٧ م.

رسائل الماجستير والدكتوراه

حرصاً من الجميع على التعاون والتسيير بينه وبين المؤسسات العلمية والأكاديمية بعامة ، والجامعة الأردنية بخاصة ، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في الجميع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية .

١ - رسالة دكتوراه بعنوان

«قواعد المقاديد عند الأئم الشاطبي ... عرضاً ودراسة وتحليلاً» .

مقدمة من الطالب عبد الله حمن إبراهيم زيد الكيلاني .

وقد تألفت لجنة المناقشة من :

الأستاذ الدكتور محمد فتحي الدريري ... المشرف رئيساً وعضوية : الأستاذ الدكتور أبو اليقظان الجبورى ، والدكتور على الصوا واندكتور محمد شبير .

وذلك يوم الأربعاء السابع عشر من صفر ١٤١٧ هـ الموافق الثالث من تموز سنة ١٩٩٦ م.

٢ - رسالة دكتوراة بعنوان « الأخلاق في النقد العربي من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري »
مقدمة من الطالب غسان إسماعيل عبد الخالق الفطافطة .
وقد تألفت لجنة المناقشة من :

الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن المشرف رئيساً وعضوية كل من الأستاذ الدكتور محمود السمرة ، والأستاذ الدكتور إحسان عباس ، والأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين .
وذلك يوم الأربعاء الرابع والعشرين من صفر ١٤١٧هـ الموافق العاشر من تموز ١٩٩٦م.

٣ - رسالة دكتوراة بعنوان « الصحراء في الشعر الجاهلي »
مقدمة من الطالب : أحمد موسى أحمد التوتى
وقد تألفت لجنة المناقشة من :

الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن المشرف رئيساً ، وعضوية كل من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، والأستاذ الدكتور هاشم ياغي والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن .
وذلك يوم السبت الرابع من ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق العشرين من تموز ١٩٩٦م.

٤ - رسالة دكتوراة بعنوان « عوامل ضعف النسل والتدابير الشرعية مواجهتها »
مقدمة من الطالب : نمر محمد خليل النمر
وقد تألفت لجنة المناقشة من :

الدكتور علي الصوا المشرف رئيساً وعضوية كل من الأستاذ الدكتور قحطان الدوري والأستاذ الدكتور محمود السرطاوي والدكتور عبد خليل أبو عبد ذلك يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق التاسع والعشرين من تموز ١٩٩٦م .